الأمة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

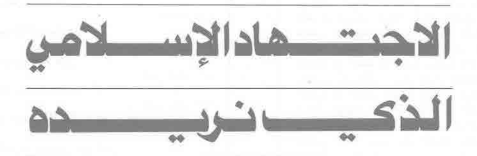
الاجتهاد الإسلامي الذي نريده: د. يوسف القرضاوي

المؤدبون في الأرض: سعد مكاوي



زخرفة إسلامية في جامعة قطر الجديدة

● حدثت فى عصرنا تغيرات ضخمة فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، وهذه التغيرات تفرض على الفقيه الاسلامى أن يعرض عن بعض الأقوال القديمة وأن يختار بعض الآراء المهجورة





الاجتهاد فى عصرنا يمثل حاجة بل ضرورة للمجتمع المسلم ، الذى يريد أن يعيش بالاسلام ، وهنا قد يبدر سؤال :

هل يجوز لنا أن نجتهد ؟ فقد يدور هذا فى خلد بعض الناس ، نتيجة لما شاع فى بعض الأوقات من أن باب الاجتهاد قد أغلق وهى مقولة يكذبها المنقول والمعقول والتاريخ والواقع ، ومن ذا الذى يملك إغلاق باب فتحه الله ورسوله ؟

وجواب السؤال بالإيجاب يقيناً ، ولا يتصور فى منطق الاسلام أن يحتاج الناس الى شيء ثم يحرمه الله تعالى عليهم ، فإذا ثبتت الحاجة الى الاجتهاد فجوازه لابد ثابت .

وأكثر من ذلك أن الاجتهاد اليوم ليس جائزاً فحسب ، بل هو فرض كفاية على المسلمين ، مثل كل فروض الكفايات التى بها قوام أمر الدين والدنيا ، بحيث إذا توافر من يقوم بها ويسد ثغراتها بكفاية وجدارة ، سقط الاثم عن سائر الأمة ، والا أثمت الأمة كافة ، وأولو الأمر فيها خاصة ، لأنهم مسئولون عن تهيئة من يقوم بفروض الكفايات العامة .

ولقد ذهب الحنابلة ومن وافقهم إلى أنه لا يجوز أن يخلو عصر من العصور من مجتهد يرجع الناس إليه فيما يلم بهم من نوازل ، فيفتيهم بحكم الشرع الذى يستنبطه من الأدلة التفصيلية .

وقد كتب الحافظ جلال الدين السيوطى (ت ٩١١ هـ) رسالته القيمة التى يعبر عنوانها عن مضمونها « الرد على من أخلد الى الأرض ، جهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض » .

ولهذا كان الأهم من السؤال عن جواز الاجتهاد لعصرنا هو السؤال عن نوع الاجتهاد الذى ننشده اليوم : أهو اجتهاد ترجيحى انتقائى أم هو اجتهاد إبداعي إنشائي ؟

والاجتهاد المطلوب لعصرنا نوعان :

— اجتهاد نسميه «الاجتهاد الانتقائى».
— واجتهاد نسميه «الاجتهاد الإنشائى».

الاجتهاد الانتقائى

ونعنى بالاجتهاد الانتقائى : اختيار أحد الآراء المنقولة فى تراثنا الفقهى العريض للفتوى أو القضاء به ، ترجيحاً له على غيره من الآراء والأقوال الأخرى .

ولست مع الذين يقولون : إن أى رأى فقهى نقل إلينا عن أحد المجتهدين نقلا صحيحاً يجوز لنا أن نأخذ به دون بحث عن دليله ، وخصوصاً إذا كان منسوباً الى أحد المذاهب المتنوعة .

فالواقع أن مثل هذا الأخذ تقليد محض ، وليس من الاجتهاد الذى ندعو إليه فى شىء ، لأنه مجرد أخذ قول غير المعصوم ، بلا حجة .

انما الذى ندعو إليه هنا : أن نوازن بين الأقوال بعضها وبعض ، ونراجع ما استندت إليه من أدلة نصية أو اجتهادية ، لنختار فى النهاية ما نراه أقوى حجة وأرجح دليلا ، وفق معايير الترجيح وهى كثيرة . ومنها : أن يكون القول أليق بأهل زماننا ، وأرفق بالناس ، وأقرب الى يسر الشريعة ، وأولى بتحقيق مقاصد الشرع ومصالح الخلق ، ودرء المفاسد عنهم .

ومما لا يجهله دارس أن عندنا ثروة من الآراء والأقوال المختلفة فى أكثر مسائل الفقه ، فإن المجمع عليه قليل جداً بالنسبة للمختلف فيه ، بل كثير مما ادعى الاجماع عليه ، ثبت أن فيه خلافاً .

ولابد للفقيه المعاصر أن يختار من الآراء المذكورة رأياً يرجحه ، ولا يدع الناس فى حيرة بين الرأى وضده ، حتى إنها أحياناً لتغطى كل احتمالات القسمة العقلية .

وهذا واضح فى مثال قتل المكره ، أعنى من قتل انسانا تحت ضغط الاكراه الملجىء ، فعلى من يكون القصاص ؟

قيل : القصاص على المكره (بفتح الراء) ، لأنه هو الذى باشر القتل .

وقيل : القصاص على من أكرهه ، لأن القاتل بمثابة آلة له .

وقيل : القصاص عليهما ، الأول بمباشرته ، والثانى باكراهه .

وقيل : لا قصاص على أى منهما ، لأن جناية كل واحد منهما لم تتكامل .

الخلاف الفقهى ليس شراً

ولا يحسبن القارىء أن هذا الخلاف الفقهى شر أو خطر ، كلا ، فهو دليل على مرونة شريعتنا ، وخصوبة مصادرنا ، وثراء فقهنا ، وتسامح أئمتنا . فقد تعايشت هذه الأقوال والآراء جنباً الى جنب ، فى عصور الاجتهاد ، برغم اختلاف نوازعها ، وتعدد مشاربها ، ولم يكن بينها إلا التعاون والاحترام المتبادل . وأقص ما قاله مجتهد عن نفسه : رأيى صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب .

بل كان هناك من يرى أن رأى كل مجتهد صواب ، وأن حكم الله فى المسألة هو ما انتهى إليه المجتهد فى اجتهاده . وهؤلاء هم الذين يسمون « المصوبة » وما ذهب إليه عدد من كبار الفقهاء والأصوليين . بل رأينا فى داخل المذهب الواحد خلافاً ، يقل ويكثر ، ويضيق ويتسع ، بسبب تعدد الروايات عن امام المذهب ، وأقوال أصحابه ، واختيارات من بعدهم ، وحتى مذهب الامام أحمد الذى يظن انه يقوم على الأثر ، قد ملأ الخلاف المذهبى فيه صحائف اثنى عشر مجلداً ، وذلك فى كتاب « الانصاف فى الراجح من الخلاف ، على مذهب الامام المبجل ، أحمد بن حنبل » .

إنما الذى نريده هنا أن ننتقى من هذه التركة الغنية ما نراه أوفق بمجتمعاتنا وعصرنا ، بعد البحث والموازنة والتمحيص .

وقد رأينا صاحبي أبى حنيفة : أبا يوسف ومحمداً يخالفانه فى بعض القضايا لتغير زمانهما عن زمانه ، ويقول فى ذلك علماء المذهب : هذا اختلاف عصر وزمان وليس اختلاف حجة وبرهان .

سعة دائرة الترجيح والانتقاء

وفى دائرة هذا الانتقاء يجوز لنا أن نرجح رأياً من داخل المذاهب الأربعة ، ربما كان هو الرأى المفتى به فى المذهب ، وربما كان غير المفتى به ، لأن المفتى به فى عصر معين ، وفى بيئة معينة ، وفى ظل ظروف معينة ، قد يصبح غير صالح للافتاء به إذا تغير العصر ، أو تغيرت البيئة ، أو تغيرت الظروف ، وهو ما عبر عنه علماؤنا بتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال والعرف .

ومن أجل هذا اختلفت التصحيحات والترجيحات داخل المذهب الواحد من عصر الى عصر ، فكم قول فى مذهب كان مهجوراً ، جاء من أبرزه وشهره ، وكم من قول كان مرجوحاً ، ثم جدت وقائع وأحوال ، جعلت بعض العلماء يرجحه ويقويه ، حتى أصبح هو المعتمد والمفتى به . والأمثلة على ذلك كثيرة داخل المذاهب الأربعة .

وقد تأخذ فى مسألة بمذهب مالك ، وفى أخرى بمذهب أبى حنيفة ، وفى ثالثة بمذهب الشافعى ، وفى رابعة بمذهب أحمد .

كما اذا أخذنا فى مصارف الزكاة مثلا بمذهب مالك فى بقاء سهم (المؤلفة قلوبهم) وبمذهب أبى حنيفة فى جواز نقل الزكاة لذى رحم محرم ، أو لمن هو أشد حاجة وبمذهب الشافعى فى اعطاء الفقير والمسكين ما يكفيه طول عمره ، ولا يحوجه الى الزكاة مرة أخرى .

وبمذهب احمد فى صرف الزكاة فى شراء السلاح والكراع ونحوها باعتبارها « فى سبيل الله » دون قصرها على الغزاة المتطوعين (١) .

وقد تأخذ فى جزء من المسألة بمذهب أحدهم ، وفى جزء آخر بمذهب غيره وليس هذا تلفيقاً كما ذهب إليه المتأخرون ، ومنعوه فى بعض الصور . لأن التلفيق المقصود يعنى ترقيع بعض الأقوال ببعض بغير دليل ، إلا التقليد المحض ، واتباع ما يشتهى لا ما يصح ويترجح .. بخلاف ما ندعو إليه هنا ، فإنه اتباع للدليل حيث كان ، سواء وافق هذا المذهب أم لم يوافق ، وانما تذكر الموافقة من باب الاستئناس والتقوية .

وهذا ما ترجح للعلماء الناظرين فى المعاملة التى تجريها (المصارف الاسلامية) والتى اطلق عليها « بيع المرابحة للآمر بالشراء » فقد رجحوا جوازها ، بناء على أن الأصل فى المعاملات الإذن والاباحة ، وان الأصل فى البيوع الحل « وأحل الله البيع » ووافقوا فى هذا مذهب الشافعى الذى نص عليه فى الأم بقوله : (واذا أرى الرجل الرجل السلعة ، فقال : اشتر هذه واربحك فيها كذا ، فاشتراها الرجل ، فالشراء جائز ، والذى قال أربحك فيها بالخيار ، ان شاء أحدث فيها بيعاً ، وان شاء تركه) .

ولكنهم خالفوا الشافعى هنا ، حيث رأى أن

الآمر بالشراء أو الواعد به ، مخير بعد شراء المأمور السلعة بالفعل : ان شاء أمضى البيع المتواعد عليه ، وان شاء ترك .

والذى رآه هؤلاء — ورأيته معهم — أن وعده بالشراء بعد طلب السلعة ملزم له ، بناء على وجوب الوفاء بالوعد ديانة ، كما تدل عليه ظواهر النصوص من القرآن والسنة ، وكما ذهب إليه عدد من علماء السلف والخلف ، وان كل ما هو واجب ديانة يجوز الالزام به قضاء .. وبعضهم كان قاضياً يلزم بالوعد ، وقد كتبت في ذلك دراسة ضافية (٢) .

وفى دائرة الانتقاء يجوز لنا الخروج على المذاهب الأربعة ، لاختيار رأى قال به أحد فقهاء الصحابة أو التابعين ، أو من بعدهم من أئمة السلف .

ومن الخطأ الظن بأن رأى أمثال عمر وعلى وعائشة وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت ومعاذ وغيرهم من علماء الصحابة ، أو رأى مثل ابن المسيب والفقهاء السبعة وابن جبير ، وطاووس وعطاء والحسن وابن سيرين والزهرى والنخعى أو مثل الليث بن سعد والأوزاعى والثورى والطبرى وغيرهم دون رأى الأئمة المتبوعين .

ولهذا لم أجد حرجاً أن آخذ فى قضية الرضاع برأى الليث بن سعد وداود بن على ، وأصحابه من الظاهرية ومنهم ابن حزم ، وهو احدى الروايتين عن الامام أحمد : فى اعتبار الرضاع ما كان عن طريق التقام الثدى وامتصاص اللبن منه ، دون الوجور — الصب فى الحلق — أو السعوط — الصب فى الأذن — ونحوهما ، لأن هذا ما تدل عليه كلمة « الرضاع » و « الرضاعة » و « الارضاع » التى رتب عليها التحريم فى القرآن والسنة . وهو ما وقف عنده ابن حزم ووضحه بكل قوة ، وعلى أساسه أجزت « بنوك الحليب » اذا دعت إليها الحاجة ، واقتضتها المصلحة ، بالاضافة الى عنصر الشك فيمن أرضعت ، وكم أرضعت ، واختلاط لبنها بلبن غيرها .. مما يضعف فى النهاية القول بالتحريم . كما نصت عليه كتب المذهب الحنفى .

وقد ذهب العلامة الشيخ عبد الله بن زيد المحمود فى رسالته « يسر الاسلام » الى جواز الرمى قبل الزوال فى الحج ، موافقاً فى ذلك رأى فقيهين من فقهاء التابعين هما عطاء وطاووس ، ومستنداً الى عدد من الحجج والاعتبارات الشرعية القوية منها :

(١) الحاجة التى تبلغ مبلغ الضرورة فى بعض الأعوام حينما يشتد الزحام حتى يهلك الناس تحت الأقدام ، كما فى الموسم الفائت (١٤٠٣ هـ) حيث بلغ عدد الحجاج نحو ثلاثة ملايين .

(٢) اليسر الذى قامت عليه الشريعة بصفة عامة ، وفى الحج بصفة خاصة ، حتى إن النبى صلى الله عليه وسلم ، ما سئل عن أمر قدم ولا أخر من أفعال الحج إلا قال : أفعل ولا حرج .

(٣) أن الرمى من الأمور التى تحدث بعد التحلل النهائى من الاحرام بالحج .

(٤) أن أبا حنيفة أجاز الرمى قبل الزوال فى يوم النفر ، لحاجة المسافر الى التبكير .

(٥) أن الحنابلة أجازوا للحاج أن يؤخر الرمى كله الى اليوم الأخير .

(٦) أنهم أجازوا تأخير الرمى الى الليل .

(٧) أن القصد من الرمى هو الذكر — كما فى الحديث ، انما جعل رمى الجمار ، والسعى بين الصفا والمروة ، لاقامة ذكر الله تعالى ، رواه الترمذى وقال : حسن صحيح . وقال تعالى : « واذكروا الله فى أيام معدودات » ، وأجمعوا على انها أيام التشريق الثلاثة من الحادى عشر الى الثالث عشر من ذى الحجة .

وذكر الله فى هذه الأيام هو التكبير فى ادبار الصلوات ، والدعاء والتكبير عند رمى الجمار ، ولهذا كان النبى صلى الله وسلم يخص هذا المقام بتطويل الوقوف للذكر والدعاء والابتهال ، كما رواه عنه ابن عمر وهو فى صحيح البخارى .

قيل فى العصور القديمة إن المرأة تصلى فى بيتها ولا تخرج إلى المسجد فهل يصح هذا القول الآن ؟

ابن تيمية يقول :
التسعير واجب إذا تلاعب التجار بالأسعار واحتكروا السلع

(٨) أنه لم يأت نص بالنهى عن الرمى قبل الزوال ، وكل ما ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم رمى بعد الزوال . ومجرد فعله عليه الصلاة والسلام لايدل على أكثر من المشروعية أو الاستحباب . أما الوجوب فلابد له من تدليل آخر . وقوله صلى الله عليه وسلم : « خذوا عنى مناسككم » لا يدل على أن كل أفعال الحج المأخوذة عنه واجبة ، كما أن قوله « صلوا كما رأيتمونى أصلى » لايدل على أن أفعال الصلاة المروية عنه واجبة ، ففيها الركن والواجب والمستحب .

ومن العجائب — والعجائب جمة — أن الناس يلقون مصارعهم ، وتدوسهم أقدام المتزاحمين على الرمى بعد الزوال — ولا تبالى هذه الأمواج البشرية بما تزهق من أرواح مؤمنة ... ومع هذا لا يزال أكثر علمائنا متشبثين بفرضية الرمى بعد الزوال ، وليمت من يموت !

عوامل عصرية مؤثرة فى الانتقاء

ولاريب أن هناك عوامل جدت فى عصرنا ، ينبغى أن يكون لها تأثيرها القوى فى الانتقاء والترجيح بين الآراء المنقولة فى تراثنا .

من هذه العوامل المؤثرة :

١ — التغيرات الاجتماعية والسياسية المحلية والعالمية :

فمما لا ينازع فيه أحد أن عصرنا قد حدثت فيه تغيرات ضخمة فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، وهذه تفرض على الفقيه أن يعرض عن بعض الأقوال القديمة التى لم تعد تلائم الأوضاع الجديدة بحال ، وأن يختار بعض الآراء التى لم يكن لها الأرجحية من قبل ، بل لعلها كانت مرجوحة أو مهجورة .

ولا بأس أن نذكر لذلك بعض الأمثلة .

ذكر معظم الفقهاء فى العصور المتأخرة أن المرأة تصلى فى بيتها ولا تخرج الى المسجد ، وبخاصة الشابة ، وعلى أبيها أو زوجها أن يعلمها أمور دينها .

فهذا إن قيل به فى العصور الماضية يوم كانت المرأة حبيسة بيتها ، لا يجوز أن يقال به اليوم ، بعد أن خرجت المرأة الى المدرسة والجامعة والسوق والمنتزه والعمل وأصبح المكان الوحيد المحرم عليها هو المسجد ! وغدونا نرى كل نساء العالم يذهبن الى

معابدهن : النصرانية تذهب الى الكنيسة ، واليهودية الى البيعة ، والوثنية الى المعبد . والمسلمة هي الوحيدة المحرومة من المشاركة فى العبادة فى مساجد الاسلام .

على أن المسجد ليس داراً للعبادة فحسب ، بل هو جامع للعبادة ، وجامعة للعلم ومنتدى للتعارف ، ومركز للنشاط ، يلتقى فيه ابناء البلد أو الحي ، فيتفقهون ، ويتأدبون ويتعارفون ويتآلفون ويتعاونون . وهذا يشمل المؤمنين والمؤمنات . « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » .

وإذا كان الفقهاء السابقون قد وكلوا الى الأب أو الزوج تعليم المرأة وتفقيهها فى دينها ، فالواقع يقول : إن الآباء والأزواج لم يقوموا بمهمتهم ، لأنهم أنفسهم كانوا وما زالوا فى حاجة الى من يفقههم ، وفاقد الشيء لا يعطيه .

هذا مع أن الحديث الصحيح يقول : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » . وكان النساء فى عصر النبوة يذهبن الى المسجد ، ويحضرن الجماعة ، ومازال (باب النساء) فى المسجد النبوي معروفاً الى اليوم .

ومن ذلك ما ذهب إليه الشافعية ، والمالكية ، ومعظم الحنابلة : أن من حق الأب أن يجبر ابنته البكر البالغة الرشيدة على الزواج بمن يريد ، وإن لم يستأذنها بل يزوجها وإن كانت كارهة رافضة ، بناء على أن الأب أعلم بمصلحتها ، وغير متهم فى أمرها . وربما يقبل هذا فى زمن لم تكن تعرف الفتاة : عمن يتقدم لخطبتها شيئاً الا عن طريق وليها وأهلها .

ولكن الظروف الاجتماعية الحديثة التى هيأت للمرأة أن تتعلم وتتثقف وتعمل ، وتطلع على الكثير من شئون الحياة والمجتمع والعالم ، تجعل الفقيه المعاصر يختار فى هذه القضية ، مذهب أبى حنيفة ، وأصحابه ومن وافقهم من الأئمة ، الذى جعل الأمر الى الفتاة ، واشترط رضاها واذنها . وهو ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة : « إن البكر تستأذن واذنها صماتها » كما في الصحيحين . « والبكر يستأذنها أبوها » كما فى صحيح مسلم ، وفى سنن النسائى وغيره : « أن أبا زوج ابنته من ابن أخيه وهي له كارهة . فشكت ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فجعل الأمر إليها . فلما تقرر لها هذا الحق قالت : يا رسول الله قد اجزت ما صنع أبي ، ولكن اردت أن يعلم الآباء أن ليس لهم من الأمر شيء ! » .

حقيقة الشبهات التى أثيرت حول تحريم التصوير والرد عليها

هل يجوز نسبة الابن لأكثر من أب واحد ؟!

ومن التغيرات المعاصرة المهمة . التغير فى المجال الاقتصادى ، ولاسيما ما كان فى صالح الفئات الضعيفة والمسحوقة فى المجتمع .

وهذا ما يوجه الفقه الاقتصادى الى ترجيح الأقوال التى تشد أزر هؤلاء ، وتقلل الفوارق بين الطبقات ، فتحد من طغيان الأغنياء ، وترفع من مستوى الفقراء .

ومن هنا رجح الفقه المعاصر هذه الأقوال :

قول أبى يوسف : كل ما يضر بالناس حبسه فهو احتكار ، سواء أكان قوتا أم غيره .

قول الشافعي : إن الفقير يعطى من الزكاة ما يغنيه طول عمره ، ولا يحوجه الى أخذها مرة أخرى ، مادام فى حصيلة الزكاة متسع لذلك . وهو ما جاء عن عمر رضى الله عنه فى قوله : اذا أعطيتم فأغنوا .

قول ابن تيمية وغيره : إن التسعير جائز بل واجب اذا تلاعب التجار بالأسعار واحتكروا السلع ، لرفع الضرر عن الناس ، والزام التجار بالعدل الذى الزمهم الله به .

بل جواز تدخل الدولة حماية لأى طرف ضعيف ــ وبخاصة الجمهور ــ فى مقابلة الطرف القوى ــ سواء كان القوى المحتكر ، يتمثل فى المنتج أو التاجر أو العامل ، ويكون ذلك بتحديد ثمن المثل ، وأجر المثل . كما بين ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية فى رسالة الحسبة .

قول ابن حزم :

« وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك ، ان لم تقم الزكوات بهم . ولا فىء سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لابد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك وبمسكن يقيهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة » .

وفى المجال السياسي عرف الناس فى عصرنا تنظيم حق الشعوب فى اختيار حكامها ومحاسبتهم وتقييد سلطتهم ، وعزلهم اذا خانوا ، دستور البلاد .

ومثل هذا المناخ الفكرى يجعل القول بأن الشورى معلمة لا ملزمة ، لم يعد قولا مقبولا فى هذا العصر . وغدا القول المتصور اليوم فى نظر الفقه العصرى : ان الشورى ملزمة . ولا يجوز للحاكم المسلم ان يستشير أهل الحل والعقد ثم يضرب بآرائهم ــ أو بآراء أغلبيتهم ــ عرض الحائط ، وينفذ ما يراه هو ! واى قيمة للشورى حينئذ اذا كان رأى الحاكم هو الذى يمضى ؟ وماذا يحل أو يعقد أهل الحل والعقد اذا كانوا يشاورون ويخالفون ؟

وفى المجال الدولى نرى العالم قد تقارب حتى غدا كأنه مدينة واحدة ، بل قال بعض فلاسفة العصر : العالم قريتنا الكبرى !

وقد ربطت جملة من المواثيق والمعاهدات الدولية السياسية والثقافية والاقتصادية بين دول العالم بعضها وبعض ، وأصبح الجميع أعضاء فى الأمم المتحدة ، وما يتفرع عنها من مؤسسات .

وهذا كله يوجب على الفقيه المعاصر أن ينظر فى الفقه الموروث حول العلاقات الدولية ، وعلاقة دار الاسلام بدار الكفر : هل الأصل هو السلم أو الحرب ؟ وهل يقاتل الكفار لكفرهم أم لعدوانهم ؟ وما وضع غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى ؟ وما وضع المسلمين فى مجتمع غير اسلامى ؟ .

كل هذه وغيرها لا يكفى ان يلتزم فيها مذهب واحد ، بل لابد من النظر في جميع المذاهب والأقوال لنأخذ منها ما هو أرجح في نظرنا اليوم ، وأليق بتحقيق مصالح المسلمين ، ودرء الخطر عنهم ، ودفع الشبهات والمفتريات عن دينهم .

(٢) : معارف العصر وعلومه :

ومن العوامل المؤثرة فى ترجيح رأى على آخر فى

عصرنا ، ما توافر لدينا اليوم من علوم ومعارف لم تكن لدى اسلافنا من فقهاء الأمة ، وخصوصاً في مجال العلوم الطبيعية والكونية التي يعرف التلميذ في المرحلة الابتدائية منها مالم يكن يعرفه أكبر الفلاسفة في العصور الماضية .

فهذه المعارف الجديدة قد صححت للمعاصرين كثيراً من المعلومات القديمة في الطبيعة ، أو الفلك والكيمياء والأحياء والطب والتشريح ووظائف الأعضاء وغيرها كما أنها أعطت الانسان أدوات للمعرفة الصحيحة ، ومقاييس لاختبارها ، لم تكن معروفة من قبل .

وهذه المعارف التي تتسع وتنمو يوما بعد يوم ، بل ساعة بعد ساعة ، تمنح الفقيه المعاصر قدرة على أن يحكم على بعض الأقوال الفقهية الموروثة بالضعف وعلى أخرى بالصحة والرجحان .

لنأخذ مثلا لذلك مذهب من قال : ان الخمر هي ما اتخذ من العنب فقط خلافاً لمن قال : كل مسكر خمر .

فالعلم الحديث يثبت أن المادة الفعالة في الاسكار هي (الكحول) .

وهو موجود فيما يتخذ من العنب ، كما يوجد فيما يتخذ من البلح أو التفاح أو الشعير أو البصل أو غيرها .

وبهذا يتفق العلم اليوم مع الحديث الصحيح « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام » .

ومثل آخر : هو ما ذكره الفقهاء في أقصى مدة يمكثها الحمل في بطن الأم ، من سنتين عند الحنفية ، بناء على ماروي في ذلك عن عائشة رضي الله عنها ، وهو رأي عند الحنابلة ، الى أربع سنوات عند الشافعية والحنابلة ، الى خمس عند المالكية بل روى عندهم : سبع سنوات ! اعتماداً على أقوال مروية عن بعض النساء .

وعلم العصر القائم على الملاحظة والتجربة ، يرفض هذه الأقوال المبالغة التي لا تؤيدها المشاهدة والاستقراء . والحق أنها لم يقم عليها دليل من كتاب أو سنة حتى رفضها كلها رجل مثل ابن حزم الظاهري ، واكتفى بالرجوع الى عادة الناس المتكررة في ذلك ، ورأى أن مدة الحمل تسعة أشهر . وذهب غيره (محمد بن عبد الله بن عبدالحكم) الى أن أقصى الحمل سنة قمرية ، وبه أخذ بعض قوانين الأحوال الشخصية المعاصرة .

ولو كان لهذه الأقوال المذكورة سند من الواقع المبني على الاستقراء ما غاب ذلك عن أجهزة الرصد والاعلام ، التي تجري وراء كل واقعة نادرة أو شاذة ولو كانت في أقصى أطراف الأرض ، ولطيرت أخبارها الى أنحاء العالم ، كما رأينا ذلك فيمن تلد عدة توائم ، حيث تتناقل وكالات الأنباء أخبارها ، وتثبتها في أرجاء المعمورة .

يقول العلامة الشيخ أبو زهرة في كتابه عن (الأحوال الشخصية) :

« والحق في هذه القضية أن هذه التقديرات لم تبن على النصوص ، بل على ادعاء الوقوع في هذه المدد ، وان الاستقراء في عصرنا الحاضر لا يجد من الوقائع ما يؤيد التقدير بخمس ، ولا أربع ، ولا سنتين ، وانما الوقائع تؤيد التقدير بتسعة أشهر ، وقد يوجب الاحتياط التقدير بسنة ، ورجح بعض الفقهاء المتقدمين ذلك فقد قال ابن رشد : « وهذه المسألة الرجوع فيها الى العادة والتجربة ، وقول ابن الحكم والظاهرية هو الأقرب الى المعتاد » .

ولقد كان العمل بمقتضى مذهب أبي حنيفة ، وهو اعتبار أقصى مدة الحمل سنتين . ولكن جاء القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ فعد أقصى مدة الحمل سنة شمسية (٣٦٥) بالنسبة لسماع دعوى النسب كما تقرر ذلك بالنسبة لثبوت الارث للحمل وثبوت الوصية له .

وهذا قريب من مذهب ابن عبد الحكم ، وليس هو النص ، لأن السنة عند ذلك الفقيه المالكي هلالية ، ولأن الأساس عنده الا يثبت النسب ، ان جاء الولد بعدها لا الا تسمع الدعوى فقط .

ومن ذلك ما قاله جماعة من الفقهاء : ان الولد يمكن أن ينسب الى أبوين رجلين وبعضهم قال ينسب الى ثلاثة إذا ادعوا نسبه ، أو ألحقه بهم القافة (أي الخبراء الذين يحكمون بالشبه) خلافاً لمذهب الشافعي الذي قال : لا يلحق الولد بأبوين ، ولا يكون للانسان إلا أب واحد ، ومتى ألحقته القافة باثنين سقط قولهم .

وحجته أن الله قد أجرى عادته أن للولد أباً واحداً ، وأماً واحدة ، ولم يعهد قط في الوجود نسبة ولد الى أبوين قط .

ومن ألحق باثنين قالوا : ان الولد قد ينعقد من ماء رجلين كما ينعقد من ماء الرجل والمرأة . !

وقال الآخرون : إذا جاز تخليقه من ماء رجلين جاز تخليقه من ماء ثلاثة وأربعة وخمسة (٣) .

وهذا كله مرفوض بمنطق العلم الحديث ومسلماته التي دلت عليها الملاحظة والتجربة وآلات الاختبار والتصوير وغيرها !

فقد أصبح من أوليات العلم اليوم : أن الجنين يتكون من حيوان منوي واحد من الرجل وبويضة من المرأة ، يلتقي بها فيلقحها ويغلق عليها الرحم ، ويتكون منهما كائن حي ينمو ويتطور يوماً بعد يوم ، وأمكن رصد نموه ، وتصويره منذ المرحلة الأولى .

ولهذا تكون هذه الافتراضات التي جوزت أن يتخلق الولد من ماء اثنين أو أكثر لا محل لها .

وهذا يرجح مذهب الشافعي ومن وافقه هنا ، وهو الموافق للشرع والعادة في نسبة الانسان الى أب واحد لا أكثر .

(٣) : ضرورات العصر وحاجاته :

وعامل آخر له أهمية في مجال الاجتهاد الانتقائي ، وهو ضرورات العصر وحاجاته ، التي تفرض على الفقيه المعاصر الاتجاه إلى مراعاة الواقع والتيسر والتخفيف في الأحكام الفرعية العملية ، سواء في العبادات أم المعاملات ، ولا سيما من كان يجتهد لعموم الناس ، فإن المطلوب منه رعاية الضرورات والأعذار والحالات الاستثنائية عملا بالتوجيه القرآني « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (البقرة : ١٨٥) . والتوجيه النبوي « يسروا ولا تعسروا » متفق عليه .

هذه الضرورات العصرية هي التي جعلت الفقه المعاصر يتجه الى اجازة سفر المرأة في الطائرات ونحوها ، بغير محرم ـ بموافقة زوجها أو أهلها ـ اذا توافر شرط الأمن والطمأنينة عليها ، كما هو قول ابن حزم الذي استدل لذلك بحديث (الظعينة) التي تسافر من الحيرة الى الكعبة لا تخاف الا الله !

وهذه الضرورات هي التي جعلت علماء العصر لا يرون حرجاً في بيع المصحف ، لحاجة الناس إلى ذلك ، رغم نص كثير من الفقهاء على كراهة بيعه أو تحريمه .

وهي التي جعلت الكثيرين من أهل الفتوى يأخذون برأي ابن تيمية وابن القيم في جواز طواف الحائض في الحج طواف الافاضة ـ بعد تحفظها واحتياطها من نزول الدم ـ اذا كانت لا تستطيع التخلف عن رفقتها ، ومواعيد رجوعها في الباخرة أو الطائرة ونحوها ، لا هذا هو المستطاع لها .

وهي التي جعلتهم يفتون أيضاً بجواز الرمي قبل الزوال في منى ، نظراً لضرورات الزحام الهائل الذي جعل الناس يرمون من الصباح الى منتصف الليل ولا تنقطع الأمواج البشرية المتلاطمة .

الاجتهاد الانشائي

ونعني بالاجتهاد الانشائي : استنباط حكم

جديد فى مسألة من المسائل ، لم يقل به أحد من السابقين ، سواء كانت المسألة قديمة أو جديدة .

ومعنى هذا أن الاجتهاد الانشائى قد يشمل بعض المسائل القديمة بأن يبدو للمجتهد المعاصر فيها رأى جديد لم ينقل عن علماء السلف ولا حجر على فضل الله تعالى .

والقول الصحيح الذى نرجحه أن المسألة الاجتهادية التى اختلف فيها الفقهاء السابقون على قولين ، يجوز للمجتهد فيما بعد أن يحدث قولا ثالثاً ، وإذا اختلفوا على ثلاثة أقوال ، يجوز أن يحدث رابعاً ، وهلم جراً .

وذلك لأن الخلاف فيها يدل على أنها قابلة لتعدد وجهات النظر ، واختلاف الآراء ، وآراء أهل النظر والاجتهاد لا يجوز تجميدها ولا إيقافها عند حد معين .

وهذا ما جعلنى اختار فى زكاة الأرض المستأجرة : ان يزكى المستأجر الزرع والثمر الذى يحصله من الأرض ــ اذا بلغ نصاباً ــ محسوماً منه مقدار الأجرة التى يدفعها لمالك الأرض ومؤجرها له ، باعتبارها ديناً عليه ، وبذلك يزكى ما خلص له من زرع الأرض .

وأما المالك المؤجر فهو يزكى ما يقبضه من أجرة الأرض ــ اذا بلغ نصاباً ــ محسوماً منه ما يدفعه من ضرائب عقارية مفروضة على رقبة الأرض . وبذلك يزكى كل منهما ما وصل إليه من مال عن طريق الأرض ، كما لو اشتركا فيها بطريق المزارعة ، فإن كلا منهما يزكى نصيبه .

وهذا القول بهذه الصورة لم يذهب إليه أحد ممن سبق . وانما قال أكثرهم : زكاة الزروع والثمار فى الأرض المستأجره على المستأجر ، وقال أبو حنيفة : على المالك المؤجر .

وسبب الخلاف كما قال العلامة ابن رشد فى (بداية المجتهد) : هل الزكاة ــ أو العشر ــ حق الزرع أو حق الأرض ، أو حق مجموعهما ؟ إلا أنه لم يقل أحد : انه حق لمجموعهما ، وهو فى الحقيقة حق مجموعهما (٤) .

ومثل ذلك اجتهادنا : أن يكون للزكاة فى النقود اليوم نصاب واحد لا نصابان وان الأولى أن يقدر النصاب بقيمة نصاب الذهب لا الفضة ، وان هذا

الشورى ملزمة فى نظر الفقه العصرى

ليس خروجاً على النص ولا الاجماع ، كما هو مبين فى موضعه .

على أن أكثر ما يكون الاجتهاد الانشائى فى المسائل الجديدة ، التى لم يعرفها السابقون ولم تكن فى أزمانهم ، أو عرفوها فى صورة مصغرة ، بحيث لا تكون مشكلة ولا تدفع الفقيه الى البحث عن حل لها باجتهاد جديد ، فكما أن الحاجة هى التى تدفع الى الاختراع ، فإن معاناة المشكلة هى التى تدفع الى الاجتهاد .

من ذلك ماذهب إليه علامة زمانه مفتى الديار المصرية : الشيخ محمد بخيت المطيعى فى رسالته « القول الكاف فى اباحة التصوير الفوتوغراف » ان هذا التصوير حلال ، لأن علة التحريم هى مضاهاة خلق الله ، وهذا التصوير ليس مضاهاة لخلق الله تعالى ، وانما هو خلق الله نفسه انعكس على الورق ، كما تنعكس الصورة فى المرآة ، واستطاع الانسان بالعلم أن يثبتها بوسائط معينة ... الخ .

وهذا فى نظرى اجتهاد انشائى صحيح ، يؤيده أن أهل قطر والخليج يسمون التصوير (عكساً) والصور (عكوساً) والمصور « عكاسا » ويقول أحدهم للمصور (اعكسنى) .

ولو أن الناس سموا هذا التصوير أول ما عرف فى بلادنا (العكس) ، ولم يطلقوا عليه لفظ (التصوير) ما ثارت الشبهة فى اذهان كثير من المتشددين الذين يحرمون كل (عكس) ولو كان (تليفزيونياً) مع أن الصورة التى تشاهدها فى التلفاز هى انعكاس خلق الله نفسه ، وليس صورة مضاهية له .

ومن ذلك ما ذهب إليه جماعة من علماء العصر من وجوب الزكاة فى ايراد العمارات السكنية المؤجرة وكذلك المصانع ونحوها ، وهو رأى المشايخ محمد أبى زهرة وعبدالوهاب خلاف ، وعبدالرحمن حسن ، وهو ما رجحناه وأيدناه بالأدلة فى كتابنا « فقه الزكاة » .

ومن ذلك ما ذهب إليه الشيخ عبدالله بن زيد المحمود رئيس المحاكم الشرعية فى دولة قطر من جواز الاحرام من جدة لركاب الطائرات .

فهذا اجتهاد انشائى جديد ، حيث لم يكن لدى السابقين طائرات ، وقد استند الشيخ حفظه الله الى أن الحكمة فى وضع المواقيت فى اماكنها الحالية كونها بطرق الناس ، وانها على مداخل مكة ، وكلها تقع بأطراف الحجاز ، وقد صارت جدة طريقاً لجميع ركاب الطائرات ، ويحتاجون بداعى الضرورة الى تعيين ميقات أرضى يحرمون منه لحجهم وعمرتهم ، فوجبت اجابتهم ، كما وقت عمر لأهل العراق ذات عرق ، اذ لا يمكن جعل الميقات فى أجواء السماء ، أو فى لجة البحر ، الذى لا يمكن الناس فيه من فعل ما ينبغى لهم فعله ، من خلع الثياب ، والاغتسال للاحرام ، والصلاة ، وسائر ما يسن للاحرام ، اذ هو مما تقتضيه الضرورة ، وتوجبه المصلحة ، ويوافقه المعقول ولا يخالف نصوص الرسول ــ صلى الله عليه وسلم .

وقد علق الشيخ على الحديث الشريف الذى ورد فى المواقيت المعروفة « هن لهن ، ولمن أتى عليهن من غير أهلهن » فقال :

« ومن المعلوم أن مرور الطائرة فوق سماء الميقات ــ وهى محلقة فى السماء ــ لا يصدق على أهلها أنهم أتوا الميقات المحدد لهم لا لغة ولا عرفاً ، لكون الاتيان هو الوصول الى الشيء فى محله ... فلا يأثم من جاوزها فى الطائرة ولا يتعلق به دم عن المخالفة » .

وهذا تيسير عظيم على الناس فى هذا الزمان ، بدل تكليفهم الاحرام فى الطائرة مع ما فيه من حرج ، أو الاحرام من بيوتهم فى بلادهم ، ولم يلزمهم الله بذلك .

وقد كنت قرأت لبعض علماء المالكية أقوالاً لها اعتبارها ، فى جواز تأخير الاحرام فى البحر لركاب السفن ، حتى ينزلوا الى البر فى جدة ، مستدلين بمثل الاعتبارات التى ركن إليها فضيلة الشيخ ، ولا ريب أن راكب الجو المعلق بين السماء والارض ، أولى بالتيسير من راكب البحر .

يوسف القرضاوي

الهوامش

(١) راجع فى هذه الترجيحات كتابنا « فقه الزكاة » .
(٢) نشرتها « دار القلم » بالكويت تحت عنوان « بيع المرابحة للآمر بالشراء » كما تجريه المصارف الاسلامية » .
(٣) انظر ما ذكره ابن القيم فى زاد المعاد جـ٥ ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ ط مؤسسة الرسالة ــ بيروت
(٤) بداية المجتهد جـ١ ص ١٨٠ ط دار الفكر . وراجع فقه الزكاة جـ١

حتى لا ندس رؤوسنا في الرمال

التقدم بأساليب التخلف

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

في آخر عام ١٩٨٠ أصدر الصحفي والسياسي الفرنسي جان جاك سيرفان شرايبر كتابه « التحدى العالمي » الذى لقى عند ظهوره اهتماماً منقطع النظير وترجم في آن واحد الى خمس عشرة لغة . في هذا الكتاب عقد سيرفان شرايبر فصلا عنوانه « انديرا تتساءل » ، تحدث فيه عن مشاكل الهند وعن طموحات انديرا غاندى ، وكانت قد عادت مجدداً الى الحكم ، في اخراج بلدها من وهدة تخلفها ، وعن احتمالات تحقق تلك الطموحات .

عند عودة انديرا غاندى الى الحكم في مطلع عام ١٩٨٠ كانت أحوال الهند على درجة من السوء كبيرة . كان فيها حقاً نخبة متميزة من العلماء والمفكرين ورجال الأعمال والصناعة ، ولكن هذه النخبة ليست الا ذرة في صحراء الجوع والجهل والمرض التى تمثلها القارة الهندية . متوسط الدخل للفرد الهندى سنوياً لا يتجاوز مائتى دولار ، بينما يبلغ هذا الدخل المتوسط في بلاد الغرب وفي اليابان عشرة آلاف دولار . عدد الأميين في الهند أربعمائة مليون ، والعاطلون فيها عن العمل عشرات الملايين . الكوارث والأوبئة والمجاعات ، الى جانب تزايد السكان المستمر ، تجعل الأفق حالك السواد في عينى رئيسة الوزراء الجديدة ، ابنة جواهر لال نهرو ، التى تطمح الى أن ترفع حياة الشعب الهندى الى المستوى اللائق بكرامة الانسان في هذا العصر .

لم يكن أحد يشك في الصفات الايجابية لسيدة الهند الأولى ، من قوة شكيمة واخلاص لبلدها ، ومن مقدرة سياسية وذكاء . وفوق ذلك فهى متواضعة لا تتردد في الاقرار بأنها قاصرة المعرفة في بعض الأمور ، وبأنها مستعدة لأن تتعلم . كانت تقول عن نفسها إنها لا تدرك مثلا الفرق بين الصناعة والتكنولوجيا وتعتبرهما شيئاً واحداً . ولما عرفتها الدراسات الاقتصادية المعمقة بأن مستوى الدخل الفردى في الهند لن يرتفع من مائتى دولار سنوياً الى ثلاثمائة دولار ، ما دامت فعاليات الهند في مستواها الحالى ، الا في عام ٢٠٠٠ ، ادركت أن عليها أن تجد وسيلة تخرج بها بلادها من هذا القدر السيء . إن الغرب لم يبلغ ما بلغه في المجال الحضارى الا عن طريق التقدم التكنولوجي ، لذا قررت انديرا أن تلحق الهند بركب العصر الحاضر عن طريق التصنيع الذى هو والتكنولوجيا ، في نظرها ، شيء واحد .

بدا لرئيسة وزراء الهند ، كما بدا لكثير من قادة العالم الثالث الذين يتوقون مخلصين الى تحرير بلادهم من تخلفها ، أن التصنيع ، مجرداً ، هو الوسيلة المثالية لهذا التحرير . حتى لقد تحول التصنيع لشدة الالحاح عليه من وسيلة الى هدف مثالي في نظر كثير من أولئك القادة . اليس هو الذى يؤمن العمل للملايين العاطلة لاحتياجه الى ملايين السواعد . فيقضي بذلك على البطالة وشرورها الكثيرة وأخطارها ؟ وهكذا بشرت انديرا غاندى بانفتاح الهند على عالم الصناعة وخططت لانشاء المعامل الكثيرة . معامل للصناعات الثقيلة وللصناعات الكيماوية وحتى لصناعات الفضاء . كما رحبت برؤوس الأموال الأجنبية وبالشركات المتعددة الجنسيات من كل لون ، مادامت تكفل للهند تحقيق خطتها التصنيعية الجبارة .

كل هذا أورده جان جاك سيرفان شرايبر في كتابه الذى صدر ، كما قلت ، في آخر عام ١٩٨٠ . وفي عام ١٩٨٤ : أعني بعد أربعة أعوام من صدور ذلك الكتاب ، وقبل أن تنضج في الهند ثمرات التصنيع المرجوة ، سقطت انديرا غاندى صريعة برصاص حراسها السيخ . لم يكن للتصنيع يد في مصرعها بلاشك . الا أن يده ظاهرة في ما حدث في آخر هذه السنوات الأربع حين جنت الهند ثمرة بالغة المرارة لما خططت له رئيسة وزرائها . هذه الثمرة هى كارثة بهوبال التى تسببت بها واحدة من كبريات الشركات الصناعية المتعددة الجنسيات ، شركة يونيون كاربايد الأمريكية

الأصل . حصيلة هذه الكارثة الفان وخمسمائة قتيل في الدفعة الأولى من الضحايا ، وعشرات الآلاف من العمي والمشوهين ، ومدينة سكانها ثمانمائة ألف نسمة يخيم فوقها شبح الموت والدمار الذى تسرب من فتحات صهاريج غاز ايزوسيانات الميثيل في تلك المدينة المنكوبة .

* * *

هل تعتبر انديرا غاندى مسؤولة عن الخلل في خطة التصنيع التى وضعتها للهند ، وكانت هذه الكارثة من عقابيلها ؟

ليس منصفاً من يفكر بأن يحمل رئيسة وزراء الهند الراحلة أية مسؤولية فيما حدث في بهوبال . ولكن حدوثه في الهند ، وهي واحدة من أبرز بلدان العالم الثالث ، يدعو كل ذى فكر الى التأمل في مسبباته ، بغية استنتاج الدرس المفيد في التوقي من أمثال هذه الفاجعة في هذا العالم الثالث نفسه .

نحن نعرف أن كارثة بهوبال ليست الوحيدة بين كوارث التصنيع في هذا العصر ، لا في العالم الثالث ولا في غيره . فقبل سنوات قليلة فجعت مدينة مكسيكو بكارثة مماثلة كان ضحاياها مئات من سكان تلك المدينة هلكوا تسمماً بالغاز المميت . وفي خلال ست سنوات ، بين عامي ١٩٧٢ و ١٩٧٩ ، سجلت المراكز الدولية المتخصصة عدة حوادث خطيرة من هذا القبيل ، لعل أكثرها اثارة للذعر العالمي كان حادث تسرب المواد المشعة من المفاعل النووى في مركز ثرى مايل آيلاند في ولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٩ . الا أن الفارق بين ما يجرى في البلدان المتقدمة وما يجرى في البلدان النامية هو أن الضحايا البشرية في كوارث التصنيع في الغرب لا تتجاوز الآحاد ، بينما هي بالمئات وبالألوف في العالم الثالث . هذا عدا ما يتكبده هذا العالم الأخير في كوارثه من ضربات فاجعة لاقتصاده ولمسيرة التطور الاجتماعي فيه . فلماذا هذا الفارق المأساوى بين ما يجرى هنا وما يجرى هناك ؟

نستطيع أن نجيب على هذا السؤال بجواب بسيط ، نسكت به ضمائرنا أو نخدرها به ، بأن نقول انها جريمة الغرب ، الرأسمالي الاستعمارى ، الناهب لثروات العالم الثالث والمتآمر على أرواح شعوبها . انه جواب يقول جزءا من الحقيقة ويتناسى كثيراً منها ، وبه ندس رؤوسنا في الرمال شأن النعامة أمام الخطر الداهم . وأنا أعلق على جواب مثل هذا بايراد احصائية آسف على أن مصدرها ليس بين يدى الآن لأذكر أرقامها بدقة . فقد ورد في احصائيات عام ١٩٨٣ عن حوادث المرور في العالم أن ضحايا الطرق العامة في انكلترا ، التى تجرى فيها على تلك الطرق ثلاث عشرة مليون سيارة ، بلغ عددهم خمسة آلاف قتيل . وأن ضحايا تلك الطرق في واحد من البلدان العربية لا تتجاوز سياراته المليونين في العدد بلغوا في الفترة نفسها سبعة آلاف قتيل ! ولنا أن نتساءل هنا عما إذا كان هذا الفارق من صنع الغرب الرأسمالى الاستعمارى أم أن علينا نصيباً من الوزر فيه ؟

عندما يقر السياسيون وواضعو الخطط الاقتصادية في عالمنا المتخلف بأن جزءاً ، صغيراً كان أو كبيراً ، من مسببات كوارث التصنيع يقع على عاتق أبناء هذا العالم نفسه ، فانهم سيدركون أن عليهم أن يحسبوا عند التخطيط حساب نقاط الضعف في مواطنيهم . ما من شك في أن شركة يونيون كاربايد الأمريكية ، بجشعها ولا مبالاتها بقيمة الأرواح البشرية للعاملين في مصانعها في الهند ، مسؤولة أكبر المسؤولية فيما جرى في بهوبال . الا أنه ما من شك أيضاً في أن العمال الذين كانوا ينظفون صهاريج ايزوسيانات الميثيل ، وهو الغاز المميت ، دون ان تكون لهم الدراية الكافية بذلك ، كانوا هنوداً . وكانوا هنوداً أيضاً المهندسون الذين عليهم الاشراف على التنظيف ثم تغيبوا عنه تهاوناً وانعدام احساس بالمسؤولية . وكان على انديرا غاندى ، ومثلها كل من يخطط لتصنيع يحمل خطراً من نوعية ما يحمله غاز ايزوسيانات الميثيل ، أن يعرف في أى الأيدى يضع مثل هذا العامل الفتاك ، وبأية احتياطات يجب أن يتم تصنيعه ، وأية صفات نفسية وخلقية يجب أن تتوفر في العاملين في تصنيع عصرى معقد كي يمنح البلاد الحياة والرفاه لا أن يجعل اليها الموت والدمار .

* * *

كل هذا نتحدث عنه وعن مسؤوليات القادة في العالم الثالث ، الذين يريدون خير بلادهم وهم مخلصون في نواياهم ونزيهون في تصرفاتهم . فماذا لو أننا تحدثنا عمن تفتقد فيهم النزاهة ويفتقد الاخلاص ؟

من أخبار الأسابيع الأخيرة في أفريقيا أن الشرطة في مالي كانت في انتظار السيد محمد ديوارا عند هبوطه من طائرته ، فالقت القبض عليه ونقلته سجيناً الى احدى الثكنات العسكرية . ديوارا هذا كان وزيراً سابقاً للتخطيط في جمهورية ساحل العاج ثم أصبح أحد كبار المسؤولين في صندوق المجموعة الاقتصادية الافريقية الغربية . والتهمة التى اعتقل من أجلها وزير التخطيط السابق هذا هى اشتراكه مع طغمة من كبار المسؤولين أمثاله في اختلاس ما يعادل ٣٢٠ مليون فرنك فرنسي من صندوق المجموعة ، وهو صندوق معد لتنمية عدد من دول أفريقيا الناطقة بالفرنسية . هذا المسؤول الكبير نموذج للذين توكل إليهم مقدرات بلاد متخلفة فيسيرون بها الى الوراء مراحل عديدة باسم التخطيط لتقدمها . ومثله كثيرون من المصممين لمشاريع وهمية لا تنفذ ، أو من المقيمين لمصانع تغلق ابوابها فور اكمالها ، بعد أن تكون أفرغت في اقامتها جيوب الشعب . ذلك لأن تلك المشاريع لم تصمم وتلك المصانع لم تقم الا لملء جيوب ذووى النفوذ من المخصصات المرصدة لها . أما الشعب فليس له منها الا الانبهار بالواجهات البراقة أو الانخداع بالشعارات الطنانة .

حدث قبل الحرب العالمية الأولى ان زار امبراطور الصين مدينة نيويورك فبهرته أنوارها المتلألئة التي تحيل الليل نهاراً . وعند عودته الى بلاده استدعى رئيس وزرائه وأمره بأن يتولى انارة بكين العاصمة كما هى نيويورك منارة . قال رئيس الوزراء إن ذلك يكلف خزينة الدولة مليون تايل ، وهى عملة الصين في ذلك الحين ، فأذن له الامبراطور بصرف ذلك المبلغ في سبيل أن يغرق النور بكين كما يغرق نيويورك . دعا رئيس الوزراء آنذاك وزير الداخلية وكلفه بأن ينير بكين حتى تصبح مثل نيويورك ، واعطاه لذلك نصف مليون تايل . فما كان من وزير الداخلية الا أن استقدم محافظ بكين وسلمه ربع مليون تايل كي ينفقها على اضاءة بكين حتي تتوهج ليلا توهج نيويورك . وظلت مهمة الانارة تنتقل من مسؤول الى من هو أدنى منه ، وظل المبلغ المخصص لها يتضاءل شيئاً وراء شيء ، حتى انتهى أمرها الى مخاتير حارات العاصمة الصينية الذين لم تصل الى أيديهم الاتايلات عددها أقل من عدد أصابع اليدين . وهنا قام مخاتير الحارات بواجبهم على ما يرام ، فاطلقوا المنادين ينادون في أزقة الأحياء بأن على كل مواطن أن يعلق على باب منزله مصباحاً ورقياً يضاء بالزيت ، وأن يشعله حالما تغيب شمس النهار ، كي تصبح بكين مضيئة كما هى نيويورك ! .. وتقول الحكاية إن الامبراطور ، عندما صعد إلى سطح قصره في ذات مساء ، فرأى عشرات الآلاف من المصابيح المشتعلة تنير أزقة بكين امتلأ صدره حبوراً واطمأن الى أن أوامره قد نفذت حرفياً ، والى أن عاصمة بلاده أمست تسبح في النور مثل أكبر مدن الولايات المتحدة الأمريكية ..

إنها حكاية مضحكة قد لا تتناسب والحديث عن مأساة بهوبال التى بدأت بها هذه السطور . الا أنها ، على كل حال ، تصلح مثالا بريئاً للتقدم اذا اتبعت في الوصول إليه الأساليب المتخلفة . هذا في زمن كان التقدم فيه بتلك الأساليب قليل الخطر . فهو لم يكن يعرض آلاف الأرواح البشرية للهلاك ولا يهدد مصائر بلاد برمتها أو وجودها بالفناء ، كما أصبح يعرضها التقدم بأساليب التخلف في آخر القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين .

الرقة — سورية

من رحمة الله وحكمته أنه لم يحجر على العقول أن تفكر ،
وجعل شريعته محققة لمصالح الناس ومستوعبة لحاجاتهم



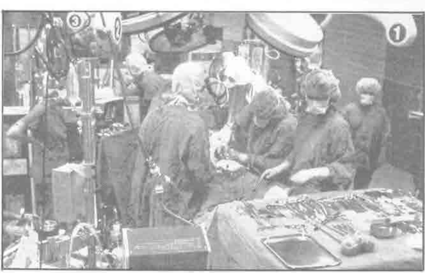
بقلم: عبد القادر بن محمد العماري

تحدث القرآن عن خَلْق الإنسان (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث) «١» (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين «٢» (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً) «٣» (يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) «٤» . (أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مَنيٍّ يُمنى ثم كان علقة فخلق فسوى) «٥» . (أقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق) «٦» .

لاشك أن في هذه الآيات اعجازاً طبياً عظيماً ، وهي لاتتعارض أبداً مع كل الحقائق العلمية التي اكتشفت حديثاً عن الإنسان (ألا يعلم من خلق؟) إلا أن هذه الآيات كما نرى مجملة غير مفصلة ، وذلك انسجام مع هدف القرآن ومهمته ، فهو ليس كتاباً في العلوم ولا في الطب ولكنه كتاب هداية وإرشاد ، وأتى بهذه الحقائق المجملة في الخلق ليلفت نظر المشركين إلى عظمة الله وتفرده في التصرف في الكون والخلق لاثبات ألوهيته واقامة الحجة عليهم بأنه الواحد الأحد الفرد الصمد .

ونلاحظ في هذه الآيات ذكر الخلق ، ولكنها لم تتعرض لحياة الإنسان وكيفية بدايتها ونهايتها ، وذكرت الحياة وذكر الموت في آيات عديدة ، ولكن لم تبين أيضاً كيفية بداية الحياة ونهايتها (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور) «٧» (كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة) «٨» (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون) «٩» (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) «١٠» (الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) «١١» (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا) «١٢» (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) «١٣» (والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير) «١٤» (وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور) «١٥» .

هذه الآيات وآيات غيرها تذكر الحياة والموت . ولكن لم تبين لنا متى يكون الإنسان ميتاً أو حياً ؟ ومع ذلك رتب الشارع أحكاماً على الموت والحياة فما السبب في عدم التبيين وعدم التوضيح في هذا



كان الأطباء يحكمون على الشخص أنه ميت إذا توقف القلب ، أما الآن فإن موت جذع الدماغ هو الموت الحقيقي

الشأن وكيف نحكم على الإنسان أنه ميت أو حي ؟

والجواب أن التشريع السماوي يريد من كل الناس في كل بيئة وفي كل عصر أن يعملوا لتطبيق أحكامه وتكاليفه حسب إمكانياتهم وفي حدود طاقاتهم وما تستسيغه عقولهم وتستوعبه مداركهم ، إذ لو حدد لهم أمراً معيناًمخالفاً لما يدركونه ويلمسونه قد يحدث عندهم ردة فعل فتثير تشككا وترددا يضر بالعقيدة . ومن رحمة الله وحكمته أنه لم يحجر على العقول أن تفكر ، وجعل شريعته محققة لمصالح الناس ومستوعبة لحاجاتهم ، واجتهد الفقهاء رضي الله عنهم فيما عرض عليهم من أمور لم يرد فيها نص قطعي : ولم ير أحد منهم أن رأيه ملزم لأحد ، ولا يدعي أحد منهم أن رأيه هو الحكم الشرعي الوحيد ، بل كانوا يقولون فإن كنا مصيبين فالحمد لله وان كنا مخطئين فنستغفر الله . والمخطىء له أجر والمصيب له أجران . وأحيانا يكون للرأي أصل شرعي وأحياناً لايكون له أصل شرعي وإنما هو عادي أو حسي استند فيه الفقيه إلى الاستقراء والخبرة . فهي مجرد ملاحظات من الواقع والممارسة . وقول أهل الشأن كما في مسألة أقصى مدة للحمل قال مالك : خمس سنين وقال الشافعي : أربع وهو رأي عند المالكية ورأي الحنابلة . وعن أحمد أن مدة الحمل سنتان وهو رأي الحنفية . وقال محمد بن الحكم وهو فقيه مالكي : إن أقصى مدة الحمل سنة قمرية . وقالت الظاهرية : تسعة أشهر ولا يزيد على ذلك . قال الشيخ محمد أبو زهرة : والحق في هذه القضية إن هذه التقديرات لم تبن على النصوص بل على ادعاء الوقوع في هذه المدد ، وإن الاستقراء في عصرنا الحاضر لايؤيد من الوقائع مايؤيد التقدير بخمس ولا أربع ولا سنتين ، وإنما الوقائع تؤيد التقدير بتسعة أشهر . وقد يوجب الاحتياط التقدير سنة ورجح بعض الفقهاء المتقدمين ذلك فقد قال ابن رشد : وهذه المسألة الرجوع فيها إلى العادة والتجربة ، وقول ابن الحكم والظاهرية هو الأقرب إلى المعتاد ، وقد كان العمل (في مصر) بمقتضى مذهب أبي حنيفة وهو اعتبار أقصى مدة الحمل سنتين ولكن جاء القانون رقم ٢٥ لسنة (١٩٢٩) فعد أقصى مدة الحمل سنة شمسية (٣٦٥) يوماً بالنسبة لسماع دعوى نفقة العدة وسماع دعوى النسب كما تقرر ذلك بالنسبة لثبوت الارث للحمل وثبوت الوصية «١٦» .

الفقهاء وحياة الجنين

وقد استند هذا القانون إلى قول الأطباء وهو موقف مهم للفقه المعاصر .

ورأي الفقهاء هنا غير ملزم . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : إن رأي العالم من الصحابة والتابعين والأئمة ، إن كان لهذا الراي مأخذ شرعي فيعتبر رأياً شرعياً عند اختلاف الآراء ، أما إذا كان مأخذه عاديا أو حسياً أو نحو ذلك مما قد يكون أهل الخبرة به أعلم من الفقهاء الذين لم يباشروا ذلك فهذا في الحقيقة لايعتبر رأياً في ميزان الآراء الشرعية المختلف حولها . وإنما هو أمر من أمور الدنيا لم يعلمه العالم فإن العلماء ورثة الأنبياء وقد قال صلى الله عليه وسلم (أنتم أعلم بشؤون دنياكم فأما ماكان من أمر دينكم فإلي) «١٧» .

وبعض الفقهاء قسم حياة الجنين إلى قسمين ، قسم قبل نفخ الروح وقسم بعد نفخ الروح . وقالوا : إن نفخ الروح يكون بعد مائة وعشرين يوماً ، وأجازوا الاجهاض قبل هذه المدة وحرموه بعدها . وبنوا حكمهم هذا على فهمهم لحديث نبوي رواه ابن مسعود وهو في البخاري ومسلم (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم تكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات ويقال له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح) وبعضهم كالإمام أبي حامد الغزالي عندما عرض لمسألة الإجهاض قال : إن الجنين حتى قبل نفخ الروح فيه حياة محترمة هي حياة النمو والاغتذاء ، فلا يجوز اسقاطه وفرق بين الإسقاط والعزل فقال : وليس هذا (العزل) كالإجهاض والوأد لأن ذلك جناية على موجود حاصل ، وأول مراتب الحياة أن تقع المادة في الحمل وتختلط بماء المرأة (البويضة) وتستعد لقبول الحياة ، وإفساد ذلك جناية ، فإن صارت نطفة فعلقة كانت الجناية أفحش ، وإن نفخ فيها الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشاً ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال «١٨» .

وفي هذا العصر الذي تقدم فيه علم الطب واخترعت الأجهزة التي ترصد حركة الجنين في الأسابيع الأولى وحتى دقات قلبه تسمع بواسطة هذه الأجهزة ، استقر علمياً أن الجنين منذ بدايته بيضة ملقحة تشرع في الانقسام والتكاثر حتى ينمو ويتطور دون أن يوجد خط فاصل بين حياتين ، بل إن الحياة متصلة بالحيوان المنوي حتى قبل قذفه وفي البويضة حتى قبل إباضتها ثم بعد التقائهما ، ولكن يمكننا أن نقول : إن بداية حياة الإنسان تكون من اتصال الحيوان المنوي بالبويضة ، أما حياة الحيوان المنوي ذاته قبل اتصاله بالبويضة فليست حياة إنسانية وإن كان في ذاته حيا ، لأنه لايكون مصيره انسانا إلا إذا اجتمع بالبويضة ، كما أن البويضة ليست إنسانا وإن كانت فيها الحياة ؛ ولا تكون إنسانا إلا إذا اجتمعت بالحيوان المنوي .

ويلاحظ أن الفقهاء يقولون إنه لاحياة حقيقية للجنين قبل أربعة أشهر أي قبل نفخ الروح عملا بظاهر حديث ابن مسعود ، لأنه لم يكن الطب في وقتهم متقدماً وليست هناك أجهزة كما هي اليوم

ترصد تحركات الجنين داخل البطن ، ولذلك يقول ابن القيم في كتابه التبيان في أقسام القرآن : (وذلك التخليق يتزايد شيئاً فشيئاً إلى أن يظهر للحس ظهوراً لا خفاء به كله والروح لم تتعلق به بعد فإنها إنما تتعلق به في الأربعين الرابعة بعد مائة وعشرين يوماً كما جاء في الحديث وذلك مما لاسبيل إلى معرفته إلا بالوحي إذ ليس في الطبيعة مايقتضيه فلذلك حار فضلاء الأطباء وأذكياء الفلاسفة في ذلك وقالوا إن هذا مما لاسبيل إلى معرفته إلا بحسب الظن البعيد) .

والفقهاء الأقدمون معذورون في فهمهم إن نفخ الروح معناه دبيب الحياة في الجنين وأنه لاحياة في الجنين قبل نفخ الروح لعدم مشاهدتهم لذلك ، اذ أن الاكتشافات الحديثة وتقدم الطب هو الذي أبان حقيقة حياة الجنين ، وما جعلهم يفسرون نفخ الروح بدبيب الحياة هو أن المرأة الحامل لاتحس بحركة الجنين إلا بعد هذه المدة لأن الكيس المائي الذي يسبح فيه الطفل في البداية كبير وفسيح بالنسبة لحجمه الصغير ، وإذا كبر تستطيع ركلاته ولكماته أن تطال جدار الرحم فتشعر به الحامل بعد أربعة أشهر ، وإذا كان الأمر كذلك فكيف نفسر نفخ الروح بعد مائة وعشرين يوماً الذي فهم من الحديث ؟ وكيف نوفق بين الحديث وبين الواقع المشاهد المحسوس ؟ والجواب : أنه لاتعارض بين الحديث النبوي وبين الواقع المكتشف حديثاً وانما التعارض بين الواقع المحسوس وبين تفسير بعض الفقهاء للحديث وفهمهم أن نفخ الروح هو الحياة بعينها ، وإذا تأملنا الحديث لانجده ينفي الحياة عن الجنين قبل هذه المدة ، ولم يخبر بصراحة عن بدء الحياة في الجنين ، وعدم نفخ الروح فيه لايعني كونه جسماً ميتاً بل إن إشارة الحديث إلى تطوره من نطفة إلى علقة إلى مضغة ، واستمرار نمائه يدل على وجود نوع من الحياة فيه قبل نفخ الروح ، فالروح التي يعنيها الحديث هي الروح التي يرسلها الله في وقت معين ، وهي من الأمور الغيبية ؛ ألا ترى إنها ارتبطت بكتابة الأجل والرزق والسعادة والشقاوة ! كما أن الحياة التي في الجنين يشترك فيها الإنسان والحيوان ، وهذه الأمور لاتخص الحيوان ولا تشمله ، فالروح التي يعنيها الحديث إذاً لاتخص إلا النفس البشرية ، فالجنين حي قبل نفخ الروح فيه وبعد نفخ الروح فيه صار إنسانا وصار بشرا تكريما له ، كما كرم آدم عندما نفخ فيه الروح بعد أن سواه وأمر الملائكة بالسجود له . قال تعالى (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) «١٩» ولا يشك أحد أن الروح من أمر الغيب (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) «٢٠» .

روايات متعددة

وهناك قاعدة : إن الحس والواقع يؤول لأجله ظواهر الأحاديث الصحيحة ولا تنكر مانراه ونشاهده بأعيننا ، ويقول ابن القيم (إن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدق بعضه بعضا ويفسر بعضه بعضا ويطابق الواقع في الوجود ولا يخالفه وإنما يخبرنا بما لا يستقل الحس والعقل بإدراكه) «٢١» .

ثم يجب أن نلاحظ مع تسليمنا بصحة هذا الحديث سنداً ، أنه روي عن ابن مسعود بروايات مختلفة ، ولم تذكر تلك الروايات نفخ الروح ماعدا رواية واحدة هي رواية زيد بن وهب ، وكل الرواة الذين رووا عن ابن مسعود ماعدا زيد هذا ، ذكروا كتابة الرزق والأجل والشقاوة والسعادة ولم يذكروا نفخ الروح ، وكل كتب السنة أو أكثرها بما فيها صحيح مسلم ذكرت مسألة إرسال الملك وكتابة الرزق والأجل والشقاوة والسعادة فقط ولم تزد على ذلك . بينما رواية زيد بن وهب فقط هي التي جاء فيها مسألة نفخ الروح ، وكذلك بالنسبة للأربعينات في التخليق فقد انفرد هذا الراوي بذكر أربعين يوما نطفة وأربعين يوماً علقة وأربعين يوماً مضغة ، أما الرواة الآخرون من الصحابة فقد رووا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم . إذا مر بالنطفة أربعون ليلة ، وبعضهم قال اثنتان وأربعون ليلة ، وبعضهم قال خمسة وأربعون ، وبعضهم قال بضع وأربعون ، وكل هذه الروايات صحيحة (انظر صحيح مسلم جـ ٥ كتاب الشعب تحقيق أبو زينة من صفحة ٤٩٧ — إلى ٥٠١) .

وقد حاول ابن القيم أن يجمع بين هذه الأحاديث وحديث ابن مسعود فقال أولا (ان داخل الرحم خشن كالاسفنج وجعل فيه قبولا للمني كطلب الأرض العطشى للماء فجعله طالباً مشتاقاً اليه بالطبع فلذلك يمسكه ويشتمل عليه ولا يزلقه بل ينضم عليه لئلا يفسده الهواء فيأذن الله لملك الرحم في عقده وطبخه أربعين يوماً وفي تلك الأربعين يجمع خلقه قالوا : إن المني إذا اشتمل عليه الرحم ولم يقذفه استدار على نفسه واشتد إلى تمام ستة أيام فينقط فيه ثلاث نقط في مواضع القلب والدماغ والكبد ثم يظهر فيما بين تلك النقط خطوط خمسة إلى تمام ثلاثة أيام ثم تنفذ الدموية فيه إلى تمام خمسة عشر فتميز الأعضاء الثلاثة ثم تمتد رطوبة النخاع إلى تمام اثنى عشر يوماً ثم ينفصل الرأس عن المنكبين بحيث يظهر للحس في أربعة أيام فيكمل أربعين يوماً فهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم يجمع خلقه في أربعين يوماً وفيه تفصيل ما أجمل ولا ينافي ذلك قوله ثم تكون علقة مثل ذلك فإن العلقة تنتقل من صورة المني ويظهر التخطيط فيها ظهوراً خفياً على التدريج ثم يتصلب في الأربعين يوماً يتزايد ذلك التخليق شيئاً فشيئاً حتى يصير مضغة مخلقة ثم استطرد قائلا (وهنا تصويران أحدهما تصوير خفي لا يظهر وهو تصوير تقديري كما تصور حين تفصل الثوب أو تنجر الباب مواضع القطع والتفصيل فيعلم عليها ويضع مواضع الفصل والوصل وكذلك كل من يضع صورة في مادة لاسيما مثل هذه الصورة ينشىء فيها التصوير والتخليق على التدريج شيئاً بعد شيء لا وهلة واحدة كما يشاهد بالعيان في التخليق الظاهر في البيضة) «٢٢» .

وهذه الأحاديث عدا حديث ابن مسعود المشار اليه توافق مايقوله الطب الآن وما بينته الأجهزة الطبية الحديثة فالتخليق يبدأ في الأربعين منذ بداية دخول النطفة في الرحم ، فالكتل البدنية يبدأ ظهورها في الأسبوع الثالث على هيئة أزواج وتبدأ في الظهور على التوالي منذ الأسبوع الثالث حتى تكتمل إلى بضع وأربعين كتلة بدنية على كل جانب من جوانب الجنين في نهاية الأسبوع الرابع حيث تتكامل المضغة في هذا الأسبوع ، وفي الأسبوع الخامس والسادس تتحول إلى الفقرات التي هي عظام الظهر ، وفي الأسبوع السادس والسابع تظهر العضلات من هذه الكتل البدنية ثم تكسو العضلات العظام ، وهذه المراحل في التخليق تتفق تماماً مع الآية الكريمة (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) «٢٣» .

والمرجح أن الأربعين في حديث ابن مسعود هي واحدة لا أربع وأن كل مراحل التخليق تتم في الأربعين الأولى أو بزيادة يومين إلى خمسة وتكون (ثم) التي جاءت في الحديث بمعنى الواو أو أنها

« هل يجوز نزع أجهزة الانعاش عن مريض ميئوس من حياته ؟

« حقيقة معرفة نوع الجنين بين الدين والطب

للترتيب الذكرى وليست للترتيب الزماني فاننا نجد القرآن في بعض الآيات عبر بثم وفي بعضها عبر بالفاء فقال (ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً) وفي الآية الأخرى (ثم من علقة ثم من مضغة) مما يدل أن التراخي غير مقصود وقد عرف في أساليب العرب التعبير بثم ولا يقصدون به الترتيب الواقعي فمن ذلك قول الشاعر :

ان من ساد ثم ساد أبـــوه
ثم قد ساد قبل ذلك جده . «٢٤»

وقد اختلفت روايات الحديث في الكتابة والنفخ فبعضها يقدم الكتابة على النفخ وبعضها يقدم النفخ على الكتابة وقال الشراح في هذا اما أن يكون من تصرف الرواة برواياتهم بالمعنى واما أن يكون المراد ترتيب الأخبار فقط لا ترتيب ما أخبر به . فالترتيب الواقعي قد لايكون مقصوداً مثل ماجاء في قوله تعالى في سورة السجدة (وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه) والمراد بالإنسان هنا آدم عليه السلام ومعلوم أن تسويته ونفخ الروح فيه كان قبل جعل نسله من سلالة من ماء مهين .

هل يمكن معرفة الجنين ؟

وهنا أيضا ملاحظة أن الذكورة والأنوثة يحددها الحيوان المنوي الذي يلقح البويضة بإرادة الله تعالى عندما يريد أن يهب الذكر أو الأنثى (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى).

والنطفة التي تمنى هي نطفة الرجل التي تحتوي على مئات الملايين من الحيوانات المنوية فيفوز أحدها فقط بالولوج في البويضة فيتم التلقيح فإذا كان على الحيوان المنوي اشارة الذكورة (Y) كان ذكراً وإذا كان يحمل اشارة الأنوثة (X) كان أنثى وعلى ذلك فإن المَلَكْ الذي يقول (ذكراً أو أنثى) إنما يقول ذلك في أول الأمر ، أى عندما يقترب الحيوان المنوي من البويضة وليس حسب الترتيب في الأحاديث فان الترتيب هنا غير مقصود والسؤال الذي يقفز إلى الذهن هنا هو هل يمكن التعرف على الجنين في بطن أمه ذكراً أو أنثى ؟ وهل ذلك يتعارض مع قوله تعالى (ويعلم ما في الأرحام) باعتبار أن معرفة الجنين ذكراً أو أنثى وهو في بطن أمه من أمور الغيب ؟

والجواب أنه من المكن علمياً معرفة الجنين ذكراً أو أنثى وهو في بطن أمه حتى قبل تشكل الجهاز التناسلي للجنين وذلك بغرز ابرة تسحب نقطة من السائل الأمبوسي (الرهل) لفحص خلايا الجنين هل يحمل اشارة الأنوثة أو إشارة الذكورة وبالذات فحص أجسامها الملونة (الكروموسومات)

> ● ليس هناك مايمنع من اتمام عملية الحمل بين الزوجين بطريق صناعي لا يخرج عن نطاق الاتصال الشرعي بين الزوج وزوجته

فيمكن تحديد نوع الجنين ذكراً أو أنثى أما التكوين الجنسي فيبدأ في الأسبوع السادس أي بعد اثنين وأربعين يوماً وهذا يتفق مع ماجاء في الحديث الشريف (إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب ذكراً أو أنثى فيقضي ربك ما يشاء) مع ملاحظة أن الترتيب هنا غير مقصود ويظهر تمييز الأعضاء التناسلية في بداية الشهر الرابع ومعرفة جنس الجنين بالطرق العلمية لا يتعارض أبداً مع عقيدة تفرد الله سبحانه وتعالى يعلم الغيب فالله جل جلاله علمه أزلي لا يشاركه في علمه أحد فمعرفة الطبيب لجنس الجنين بالوسائل العلمية لايتعارض إطلاقاً مع الآية الكريمة التي تقول (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت) «٢٥» وكذلك الآية التي تقول : الله يعلم ماتحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) «٢٦» . فالله سبحانه وتعالى ليس في حاجة إلى أجهزة وفحص بواسطة وسائل حتى يعلم ما في الأرحام والله قد أعطى عباده علوماً محدودة فهم مثلا يعرفون نزول الغيث بامارات واشارات وعلامات وعلم الله غير علم البشر فإذا قال شخص مثلا لرجل سأعطيك غداً مبلغ كذا فقد علم الرجل أنه سيكسب غداً مبلغ كذا فهل معنى ذلك أن هذا الرجل يعلم كعلم الله ؟

حقيقة موت الإنسان

وإذا قال الأطباء مثلا لمريض جاء للعلاج في بلادهم ورأوا أن حالته ميئوس منها نصحوا أهله بأنه لافائدة من العلاج وعليه أن يذهب إلى بلاده ليموت هناك فهل معنى ذلك أن الأطباء والمريض وأهله علموا كعلم الله وأن المريض علم بالأرض التي سيموت فيها التي نفت الآية علمه بها ؟ فالله سبحانه علام الغيوب ولايحيط بعلمه أحد ويبقى قول الله سبحانه لاتدري نفس ماذا تكسب غداً ولا تدري نفس بأي أرض تموت حقيقة أزلية أبدية أما علم الناس فمحدود مثل علم التنبؤات الجوية التى تصدق حيناً ولا تصدق حينا آخر.والذين يتسرعون بانكار كل شيء ويتشبثون بفهمهم لظواهر الألفاظ يجب أن يعرفوا أنهم يجنون على الإسلام وكأني برسول الله صلى الله عليه وسلم يزجرهم قائلا لهم : أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟

أما بالنسبة لموت الإنسان ومتى نحكم عليه أنه ميت ؟ وكيف يتحدد الموت حتى يترتب على هذا التحديد ما يترتب من قضايا فقهية وقانونية فان الإجابة على هذا السؤال لازالت محل شد وجذب ولازال الفقهاء والأطباء في حوار مستمر حولها .

فكما يبحث أهل الفقه وأهل الطب اليوم في تحديد الموت فقد سبق أن جرى البحث بين علماء الكلام والفلسفة من أهل السنة والمعتزلة واختلفوا في تعريفه فقال أهل السنة : إنه صفة وجودية تضاد الحياة وتزول بزوال قوة الإحساس والنماء والتعقل فلا يعرى الجسم الحيواني عنها ولا يجتمعان فيه . وعرف المعتزلة أنه صفة عدمية أي عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حياً لأن الموت قطع مواد الحياة عن الحي . وقال البعض : إنه عرض من الأعراض يضاد الحياة وهناك خلاف كبير في علاقة الروح بالجسم ومفارقتها له وغير ذلك مما لانرى داعياً لبحثه الآن . غير أن الفقهاء قالوا : إن هناك علامات للموت فالذي يموت بعلة مثلا تعرف ذلك باسترخاء قدميه فلا تنتصبان ويميل أنفه أو ينخسف صدغاه أو تمتد جلدة وجهه أو ينخلع كتفاه عن ذراعيه وقال بعضهم إذا كان هناك شك واحتمل أن يكون به سكتة لعدم العلة أو ظهرت امارات فزع أو غيره آخر إلى اليقين بتغير الرائحة وغيرها .

وإذا كنا نتلمس معرفة حقيقة الموت بالعلامات التي ذكرها الفقهاء فإن الصورة قد تغيرت الآن بتطور المعرفة البشرية في مجال الطب وأصبح الأطباء يقولون الآن إن الموت الحقيقي هو موت جذع الدماغ وبدأت فكرة تحديد الموت بواسطة العلامات الدالة على موت الدماغ مع امكان استمرار التنفس بواسطة أجهزة صناعية وهذه الأجهزة تجعل التنفس يستمر حتى فيمن يصاب إصابة قاتلة فإذا أصيب شخص في رأسه ودماغه أمكن استمرار التنفس الصناعي وفي هذه الحالة يستمر القلب في النبض أياماً بعد أن يكون الدماغ قد توقف بل بعد أن يكون قد بدأ في التحلل وكان الأطباء سابقاً يحكمون على الشخص أنه ميت إذا توقف القلب أما الآن فإن موت جذع الدماغ هو الموت

الحقيقي في نظرهم مع ملاحظة أن جذع الدماغ قد يكون حياً في مرضى مصابين بغيبوبة أو بمرض يمنع الكلام أو يمنع الحركة أو يمنع الادراك وهم يجعلون لهذا اعتباره فلا يدرجونه تحت تعبير موت جذع الدماغ بشروطه المحددة والمبينة عند التشخيص وإذا شخص الطبيب الدماغ واطمأن إلى موته فهل له أن يتخذ قراراً بوقف أجهزة الانعاش الصناعية التي بسببها يكون الشخص مستمراً في التنفس حتى إذا مد الطبيب يده إلى هذه الأجهزة وأطفأها توقف القلب والتنفس وهو عندما يوقف الأجهزة لايوقف علاجاً وإنما يوقف عملية لاطائل من ورائها غير تعب المريض وأهله ومنع المرضى الآخرين من الاستفادة بالجهاز الذي قد يكون سبباً في إنقاذ حياة مريض مع العلم أن التكاليف التي يتطلبها استمرار عمل الجهاز باهظة لايتحملها أكثر الناس واستمرار هذه الأجهزة في العمل في هذه الحال لايزيد عن كونه استمراراً في المعاناة من غير أن يكون هناك أي أمل في انقاذ المريض واعادة الحياة اليه ماعدا استمرار التنفس وبنبض القلب مدة قد تمتد إلى شهرين أو أكثر ويستتبع هذا السؤال سؤال آخر وهو هل يجوز أخذ أعضاء من هؤلاء الموتى لزرعها في الأحياء ؟

بعيداً عن التصادم

ونرى أنه في الإمكان أن يسير الفقه والطب في اتجاه واحد من غير تصادم بينهما إذا سلم كل للآخر بما هو من اختصاصه وكان الهدف هو مصلحة الإنسان وكرامته وذلك هو غرض التشريع الإسلامي ومن هذا المنطلق نرى ألا نعتبر الحياة شرعاً قد انتهت ونحكم على الشخص أنه في عداد الموتى إلا إذا كانت هناك امارات واضحة ظاهرة كما قال الفقهاء فترتب على ذلك الارث والعدة وغيرها من الأحكام الشرعية لأن ترتيب الأحكام على أمور واضحة يطلع عليها أكبر عدد من الناس العاديين أولى من ترتيبها على أشياء لايطلع عليها إلا المختصون فالتقيد بما قاله الفقهاء في مسألة إرث الجنين وغيره من الأحكام سيمنع كثيراً من المشاكل التي ستحدث لو أننا رتبنا هذه الأحكام على قول الطبيب ولانرى أننا نستطيع أن نحدد الحد الفاصل بين الحياة والموت وإذا كان الأطباء قد قالوا سابقاً إن توقف القلب عن العمل هو الحد الفاصل وقالوا الآن إن موت الدماغ هو الحد الفاصل وما يدرينا أن يكتشف العلم في المستقبل وسائل جديدة لانعاش المريض وتنشيط الدماغ مثل ماحصل للقلب مع التسليم أن كثيراً من الأحكام الشرعية تبنى على قول الطبيب الماهر وشهادته ومن ذلك مثلاً في تقرير المرض المخوف في مسائل الوصية ويعاقب في الشرع الإسلامي الطبيب الذي يدعي المهارة في الطب ويضمن ما يسببه من ضرر ولا يضمن الطبيب الماهر إذا أخطأ من غير تعمد ولا إهمال وما ذلك إلا للمكانة التي للطب في الفقه الإسلامي ، ولكننا الآن بصدد الاحتياط والأخذ بالأحوط في هذه المسائل .

أما مسألة نزع الجهاز إذا مات الدماغ فإن هذا المريض ميئوس من حياته وليس هناك دليل شرعي يلزم الطبيب أن يبقي عليه هذه الأجهزة التي تطيل النزع والاحتضار بما لافائدة منه وقد قال الفقهاء إن حكم من هو في حال النزع حكم الميت ولا يعتبر الطبيب قاتلاً له إذا هو مد يده إلى اطفاء الجهاز لينفع به المرضى الآخرين الذين هم في حاجة إليه لأن الحياة المتوقفة على جهاز غير طبيعي ليست حياة في الحقيقة ومسألة نقل الأعضاء من الميت وزرعها في مرضى آخرين هم في حاجة اليها أفتى بجواز ذلك علماء الأزهر الشريف وعلى رأسهم الشيخ عبد المجيد سليم رحمه الله سنة (١٣٦٨) ٢٧، وهناك أيضاً من المسائل التي يدور حولها الجدل مسألة التلقيح الصناعي وهذه قضية حديثة طبعاً ولكن الإسلام له قواعد ثابتة لاتتغير وفي إمكاننا أن نستخلص الحكم من هذه القواعد ، فلو فرضنا أن زوجة تعذر عليها أن تحمل من زوجها بالطريق المألوف وكانت هناك رغبة ملحة عند الزوجين للانجاب فليس هناك مايمنع من اتمام عملية الحمل بين الزوجين بطريق صناعي لا يخرج عن نطاق الاتصال الشرعي بين الزوج وزوجته وتكون هذه حالة ضرورة تقتصر على نطاق الضرورة . أما أن يتم التلقيح بين مادتين تناسليتين ليست للزوجين فهذا مالايقره دين الإسلام ولا تقبله النفوس الكريمة . والنسل المتكون من هذا التلقيح يكون كالنسل المتكون من الزنا (٢٨) وعلى المسلمين ألا يسمحوا بهذه الفوضى والاباحية أن تستشري بينهم .

مجالات الاجتهاد

وقبل أن أضع القلم أحب أن أقول للمغرمين المولعين بكل جديد والمتعصبين والمتشبثين بكل قديم : إن هناك ثوابت وهناك متغيرات . فالثوابت لامجال للاجتهاد فيها ونقضها وأما المتغيرات فهي مجال اجتهاد البشر والنظريات العلمية تتغير من عصر إلى عصر والحقائق العلمية هي التي لاتتغير بحال ، كما أن الآراء الاجتهادية في الفقه يجب أن تتغير بحسب الظروف والبيئات والنصوص القطعية في الدلالة والورود هي التي لا تتغير ولا مجال فيها للاجتهاد فإذا فهمنا ذلك حقاً واستوعبناه وطبقناه أمكننا أن نحافظ على إسلامنا ونمشي مع المسيرة الحضارية بثبات أما إذا أسأنا فهم ذلك وشغلنا أنفسنا بالنظريات والمناقشات العقيمة وتشبثنا بكل قديم أو اندفعنا وراء كل جديد فقد أسأنا إلى أنفسنا وخذلنا الإسلام وبقينا في مؤخرة الصفوف وتخلفنا عن ركب الحضارة وقل على الإسلام والمسلمين العفاء ولكن الأمل في شباب الإسلام أن يتنبه لذلك ويسير في الطريق الصحيح (لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية) (٢٩)

عبد القادر بن محمد العماري
القاضي بالمحكمة الشرعية الأولى

هـوامـش

(١) الزمر : ٥-٦ .
(٢) المؤمنون : ١٢ — ١٤ .
(٣) الإنسان : ١ —٢ .
(٤) الحج : ٣ — ٤ .   (٥) القيامة : ٣٦ —٣٨ .
(٦) : العلق : ١ — ٢ .
(٧) : الملك : ١ —٢ .
(٨) آل عمران١٨٥   (٩) الأنبياء : ٣٤ — ٣٥ .
(١١) النساء : ٧٨ .
(١١) آل عمران : ١٦٨ .
(١٢) آل عمران : ١٤٥ .
(١٣) الرحمن : ٢٥ —٢٦ .
(١٤) آل عمران : ١٥٦ .
(١٥) الحج : ٦٦ .
(١٦) الأحوال الشخصية .
(١٧) مجموعة الفتاوي مجلد ٢٩ ج ٩ .
(١٨) الأحياء جـ ٢ ص/ ٥١ ط/ دار المعرفة .
(١٩) سورة الحجر : ٢٨ — ٢٩ .
(٢٠) سورة الإسراء : ٨٤ — ٨٥ .
(٢١) التبيان في أقسام القرآن !
(٢٢) التبيان في أقسام القرآن وفي إمكان القارىء أن يرجع إلى شرح ابن القيم الطويل في هذا الكتاب .
(٢٣) سورة المؤمنون : ١٢ — ١٤ انظر كتاب خلق وانسان بين الطب والقرآن للدكتور محمد علي البار .
(٢٤) الدكتور سالم مدكور في كتاب الجنين .
(٢٥) سورة لقمان : ٣٣ — ٣٤ .
(٢٦) سورة الرعد : ٧ — ٨ .
(٢٧) مجلد مجلة الأزهر — العدد ٢٠ شعبان ١٣٦٨
(٢٨) يسألونك في الدين والحياة : د . احمد الشرباصي
(٢٩) الآية ١١ سورة الحاقة

لحظة البوح في حياة المبدعين :

الإمساك بهم متلبسين بفعل الإبداع



بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

كان سر الابداع ــ لدى الأدباء والفنانين ــ ومايزال من الأسرار النفسية والكونية المحتجبة عن امكانية التحليل والتحديد والتعريف العلمى أو الفكرى الواضح ، الثابت ، المتفق عليه ، شأنه فى ذلك شأن سر الخلق ، وسر الالهام ، وسر الكشف ، وسر التواصل الحدسي المباشر عن بعد ، وسر الاستشعار ، وغير ذلك من أسرار النفس الانسانية وأسرار الظاهرة الكونية كلها .

وقد تقرأ لأديب أو لشاعر الكثير من أعماله فلا تهتدى من خلالها الى سره الابداعى ، ولا تجد فيها ما يضع يدك على تلك البؤرة الخفية الدالة الى ذلك الطريق السرى الموصل الى « النبع » الابداعي فى أعماقه النفسية .. الى أن تعثر على رسالة خاصة من رسائله أو سطر هنا وهناك فى مذكراته الشخصية ، أو عبارة اعتراف عابر فى حديث ، أو خاطرة سجلها فى مقال ، فينكشف أمامك فى لحظة سره الفنى الكبير ، ويقف أمامك عارياً كما يكون دائماً فى لحظات ابداعه أو فى لحظات صراعه العنيد من أجل الوصول الى ذلك الابداع . ذلك أن الأديب ، فى أعماله الفنية الكبيرة ، يختفى خلف أقنعة الفن وموضوعية التكنيك والشخصيات الروائية ، والمظاهر الطبيعية ، فتبعد أعماقه الداخلية عن النظر المباشر للقارىء أو المتذوق .

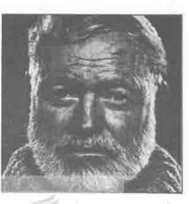
الاعتراف فى سطور

أما فى تلك الخطرات العفوية والرسائل والاعترافات فيكون أقرب الى سجيته ، وأكثر انطلاقاً فى التعبير عن مادته النفسية الخام ، فيبوح بالسر كله دفعة واحدة .. ويلقيه فى كلمة أو عبارة أو مقطع قصير ، يكون بمثابة هدية العمر للناقد أو الباحث الأدبى الذى أمضى سنوات وهو يحلل ويدرس آثار الأديب موضع البحث ، فلا يصل إلا الى افتراضات ، حول طبيعته الابداعية ، مستقاة من أعماله الفنية الكبيرة . وبلاشك فإن ايحاءات هذه الأعمال لها قيمتها ، لكنها تتأكد بصفة نهائية عندما تتم مقارنتها بالاعترافات المباشرة للأديب ، ويتم استيضاح فعاليتها وما كانت تومىء إليه من معان غير مستقرة وغير محدودة فى ثنايا تلك الأعمال الفنية من قصائد أو روايات أو مسرحيات .

فعندما نصل الى الروائى ارنست همنغواى وهو يسر إلينا بالاعتراف التالى مباشرة :

« كان النفاذ الى الشىء الحقيقى (فى الحياة) بتتابع حركته وتفصيلاته الحية التى تهز

الإمساك بهم متلبسين بفعل الإبداع



أرنست همنجواى : هل يمكننا أن نفهم ونفسر مشاهد العنف والصراع والدم فى رواياته؟



د. هـ. لورنس : أين يكمن السر الابداعي فى أعماله ذات النكهة المتميزة فى الأدب الأوربى الحديث؟

الشعور ، والقابلة للبقاء موحية على مر الزمن ، مهما تقادمت . إن أحسن التعبير الدقيق عنها كان النفاذ الى ذلك الشيء الحقيقي يتخطى فى أغلب الأوقات مقدرتى على اقتناصه . وكنت أكثف الجهد فى سبيل التوصل إليه ما استطعت الى ذلك سبيلا . وكان المكان الوحيد الذى تستطيع أن تشهد فيه تقابل الحياة والموت وجهاً لوجه . أعنى الموت الدموى العنيف ، فى غير ساحة الحرب ، هو ساحة مصارعة الثيران . وكنت شديد الحرص على الذهاب الى أسبانيا لدراسة هذا المشهد ، فقد كنت أحاول تعويد نفسي على الكتابة عن أبسط الأشياء فى الحياة وأعتقد أن من أبسط الأشياء وأكثرها أصالة ورسوخاً فى صميم الحياة هو الموت عن طريق العنف الدموى . فهذا الموت لا تحيط به تعقيدات الموت عن طريق المرض ، أو ما يسمى بالموت الطبيعى ، كما لا يشبه موت صديق تحب ، أو موت شخص تكره . انه الموت هكذا ببساطة . وهو ما يستحق أن يكتب عنه الانسان . وقد حاولت أن أقرأ الكثير عن مثل هذا الموت ولكنى وجدت ان الذين كتبوا عنه ، إما انهم لم يشهدوه عن كثب بوضوح . أو انهم أغلقوا أعينهم لحظة وقوعه ، لفظاعة اللحظة ، كما تغلق عينيك عندما ترى قطاراً يندفع نحو طفل . فلا تستطيع أن ترى الفاجعة لحظة وقوعها . ولا تستطيع ايقافها . لذلك فإن ما وصفه أولئك كان ما يسبق الموت ، وليس الموت فى حد ذاته . ليس ضربته القاضية بالتحديد . هذه الضربة القاضية فى عملية الموت العنيف ، كما يحدث فى ساحات الاعدام ، هى ما يجدر بالفنان تصويره ، دون إغماض العينين ، كما حاول «غويا» أن يفعل فى كتابه كوارث الحرب(١)» .

عندما نكتشف هذا النص لارنست همنغواى وهو يعترف بولعه الفنى بمشهد الموت الدموى العنيف ، فى لحظة الضربة القاضية بالذات ، نستطيع أن نفهم ونفسر مشاهد العنف والصراع والدم فى رواياته ، وندرك سبب اختياره لهذه الأجواء والموضوعات ، ولهذا أمضى حياته حول حلبات المصارعة الدموية فى أسبانيا ، أو فى غابات الصيد الوحشى فى أمريكا وأفريقيا .

.. وسر النهاية

ثم عندما نقف أمام هذا النص فى التحليل النهائى ، ونستعيد نهاية ارنست همنغواى نفسه : برصاصة انطلقت من بندقية كان يمسك بها ، فى ظروف غامضة . هل نستطيع أن نقاوم صدق اللحظة .. لحظة الضربة القاضية التى يجب أن يعايشها ويعانيها الانسان الفنان ، فى اعتقاد همنغواى ، فنستبعد ان همنغواى فى تلك اللحظة قد قرر أن يتقدم الخطوة النهائية فى ولعه بهذا المشهد ، فينتقل من المشاهدة بالحواس .. الى الاختبار المباشر بتذوق طعم الضربة القاضية بنفسه ، فيجتاز بذلك الخيط الدقيق الفاصل بين الحياة والموت عن طريق العنف الدموى الأثير لديه طوال حياته ، وتمسي المسألة لديه فى النهاية تجربة حياة معمدة بالدم لا مجرد حافز ابداع فني ، وتتحقق بذلك معايشة الفنان لفنه ، أو موته بأسلوبه الفنى ذاته ، تأكيداً لتعانق الفن والحياة ، لدى الفنان ، فى أصدق لحظات الحياة ، أو أبسطها وأكثرها أصالة ورسوخاً ، حسب تعبير همنغواى ، وهى لحظة الموت الفجائى الفاجع ؟

هل يمكن حقاً ان نستبعد هذا الاحتمال ، عندما نقرأ ذلك النص ــ الاعتراف لهمنغواى الذى كتبه فى شبابه الفنى ؟

هكذا فإن هذا النص يبقى العمود الفقرى لتفسير سر الابداع لدى همنغواى ، وسر طبيعته الروائية ومشاهدها وأجوائها ، وسر مسلكه فى حياته الخاصة ، ثم سر النهاية .. بتلك الرصاصة الغامضة التى قامت بدور الضربة القاضية ، التى أوصانا همنغواى بألا نغمض أعيننا عنها ، رغم فظاعتها .. لادراك حقيقة ذلك الخط الفاصل بين الحياة والموت !

سر لورنس ..

ولننتقل الآن الى المحراب السرى لفنان كبير آخر ، لنرى أين يكمن سره الابداعي . ولنلحظ ان أسرار الابداع تتعدد وتختلف بتعدد واختلاف الأرواح الفنية الكبيرة .

يقول الروائي الانجليزي د. هـ. لورنس :

« أروع شيء ، للانسان ، أن يكون حياً للانسان . كما للزهرة والحيوان والطير ، الظفر الأكبر أن يكون ممتلئاً بالحياة ، مكتملا بها . أياً كانت خبرة الذين لم يولدوا بعد ، أو الراحلين عن الحياة . فإنهم لا يشاركون الأحياء هذه التجربة المحددة المشخصة : الاحساس بجمال وروعة الحياة المتجسدة في اللحم والدم . يجب أن ترقص بابتهاج لاحد له لأننا احياء في الجسد ونشكل جزءاً من الكون المتجسد الحي ! .. فأنا جزء من الشمس ، كعيني التي هي جزء مني . وقدماي تعرفان تماماً بأني جزء من الأرض ، كما ان دمي جزء من البحر . وتدرك روحي بأني جزء من الجنس البشرى ، روحي التي هي جزء من الروح الانسانية الكبرى . كما أن نفسي جزء من أمتي ومن عائلتي . لا شيء هناك في كياني يقف متعزلا أو منفرداً بذاته ، حتى الوعي الذاتي ستجد أنه ليس سوى التماع ضوء الشمس على صفحة المياه . لذلك فإن فرديتي ليست سوى وهم . أنا جزء من الكل الأعظم وليس أمامي من مهرب أو مفر . طبعاً بامكاني قطع روابطي وصلاتي بالكل والتحول الى جزء مقطوع . لكني في هذه الحالة ، أكون قد حكمت على نفسي بالهلاك . ما نحتاجه حقاً هو أن ندمر روابطنا الزائفة غير العضوية ، خاصة ما تعلق منها بالمال ، وإعادة تلك الروابط والصلات العضوية الحية بالكون الكبير المحيط بنا ، بالشمس والأرض ، بالبشر والأمة والعائلة . لنبدأ بالشمس وسيأتي الباقي بالتدريج شيئاً فشيئاً .. ! (٢) » .

نجد هنا ، لدى د . هـ . لورنس ، أن التركيز ينصب على الحياة ذاتها ، وليس على المقابلة الدموية الفاجعة بين الموت والحياة ، كما لدى ارنست همنغواي .

وأي نوع من الحياة ؟ إنها الحياة الكلية التي تربط جميع الأجزاء الحية من انسان وحيوان وطير ، بالكل الأعظم ، بالأكوان والشموس والمحيطات ، وتهدف الى تجاوز حواجز الحس وجزئيات الوجود الى حقيقته الكلية الكبرى المتمثلة في الخالق الأعظم سبحانه . فهى نظرة صوفية في جوهرها . لكن التعبير عنها ، بلغة لورنس ، يتخذ لهجة التصوف الطبيعي السائدة في أوربا الحديثة المغرقة بالعقل والمادة ، أكثر مما يتخذ لهجة التصوف الروحي الذي نعرفه في الشرق .

لكنه في جوهره هو الموقف الصوفي الرافض لتجزيئية العقل المادي الحديث ، الذي يعتبر د . هـ . لورنس من أبرز الثائرين عليه والرافضين له في التراث الأوربي ، من أجل العودة الى أصالة الموقف الكلي الشمولي من الحياة والكون .

معاني التواصل

وفي ضوء هذا النص لـ د . هـ . لورنس ، يمكن أن ندرك معاني تلك الأنواع من « التواصل » التي حرص هذا الروائي على ابرازها في أعماله القصصية .

التواصل بين الرجل والمرأة ، التواصل بين الآباء والأبناء ، التواصل بين الأصدقاء ، والتواصل بين الأفراد والكون الأكبر المحيط بهم الذي هو بيت القصيد .

حتى التواصل الذي يتخذ مظهر الميل الجنسي في بعض قصصه ، قصد به لورنس تحدي التجزيئية المادية الأوربية التي قصرت معنى العلاقة بين الرجل والمرأة على مجرد الاحتكاك الجسدي ، وأراد تصعيده الى المعنى الروحي الأعمق ، كما يتضح مثلا في الشعر الصوفي الذي يتخذ مظهر الغزل لدى ابن الفارض أو ابن عربي أو غيرهما من متصوفة الشرق ، حيث لم يكن المظهر الغزلي في شعرهم غير تعبير عن أشواق أعمق وأطهر الى الحقيقة الكونية ، والى ما هو أبعد من تلاقي الأجزاء والأفراد في عالم المظاهر والمادة والحس .

هكذا فإن هذا النص الذي استشهدنا به يصلح مدخلا لكل عمل أدبي من أعمال د. هـ. لورنس لأن من يقرأ كتبه بمنطوقها الظاهرى ، سيبقى زمناً طويلا ، دون أن يمسك بكلمة « السر » في أعمال هذا الكاتب ذي النكهة المتميزة في الأدب الأوربي الحديث .. والذي يتصوره البعض من كتاب الجنس في أوربا ، كما تصوروا المتصوفة من شعراء الغزل !

لماذا .. هذه المقالة ؟!

إن مثل هذه الإضاءات الشمولية لأعمال الأدباء والفنانين الكبار ضرورية في تقديم أعمالهم الى جمهرة القراء ، والى الأجيال الجديدة ، لأنها تقي القارىء المتذوق من الضياع في الجزئيات والتفاصيل التي يحفل بها العمل الفني ، وتساعده على ربطها بذلك السر الابداعي الكبير الموحد لأعمال الكاتب كلها ، بما يؤدي الى الخروج بفهم أفضل للنتاج الأدبي مرتبط بالقضايا الحياتية الأساسية في حياة المبدعين ، تلك القضايا التي كانت بمثابة النبع الأصلي لتدفق روافد ابداعهم في مختلف المجالات والأشكال الفنية . وحبذا لو اهتم الأدباء والفنانون العرب ، بشكل أفضل ، بتسجيل مثل هذه الخطرات والاعترافات الابداعية التي يمكن أن تضيء أعمالهم اضاءة موحدة شاملة ، وتساعد جمهورهم ومتذوقيهم ونقادهم على فهمهم بصورة أوفى وأعمق . والملاحظ في تقاليد الكتابة العربية غياب مثل هذه الاعترافات الصريحة الجريئة المباشرة عن النفس والحياة والكون ، لاعتبارات تتعلق بالخجل أو الرهبة ، وهي اعتبارات لم يتوقف عندها كتاب مبدعون في تراثنا القديم مثل أبي حامد الغزالي في « المنقذ من الضلال » ، أو أبي حيان التوحيدي في معظم آثاره .

وعودتنا في هذه المقالة الى مثل هذه الينابيع الحياتية الأصيلة ، ليست من باب الاهتمام الأكاديمي ، ولكنها محاولة للتذكير بماهية الأدب الأصيل ، المتصل بينابيع الحياة والكون والحقيقة ، على امتداد التراث الانساني الرحب ، بما يتجاوز أدبيات وبكائيات ومعميات هذه المرحلة الخانقة من الكتابات العربية الراهنة ..

والى لقاء آخر مع مثل هذه اللحظات الكشفية المستوعبة لأبعاد الكون الرحب ، المتجاوزة لاختناقات المرحلة الآنية .. !

محمد جابر الأنصاري

هـــوامـــش

(١) هذه الفقرة والفقرات التالية من ترجمة كاتب المقال عن النص الأصلي :

ERNEST HEMINGWAY, Death in the After-noon, 1932.

(2) **D.H. LAWRENCE, Apocalypse, Viking Press, New York.**

القروي
شاعر العروبة
سيرته في ذكريات



الشاعر القروي (رشيد سليم الخوري)

بقلم: أكرم زعيتر

شَغَلْتُ قلبي بحُبِّ المصطفى وغَدَتْ عُروبتي مَثَلي الأعلى وإسلامي

أنا مُوَلَّه.. أنا مُدَلَّه.. أنا عاشق..
أنا مُسْتَهَام باللغة العربية
القروي

قبل أن أواصل الحديث عن الشاعر القروي تلقيت من الأديب المتمكن الأستاذ وديع فلسطين رسالة يحمد فيها «للدوحة» عنايتها بذكرى الشاعر الكبير ويقول: «أنعم وأكرم بذكرياتك عن صديقنا القروي. أطال الله بقاءك وجعلك أمثولة لا تتكرر في يومنا هذا للوفاء والإنصاف والتقدير الحق للرجال» ثم يواصل القول: «وكان في استقبال القروي لدى عودته الى الوطن صديقنا الأديب الراحل الأستاذ فؤاد الشايب، ولما سمع القروي ينشد:

بنت العروبة هيئي كفني
أنا عائد لأموت في وطني

قال له: «كلا بل قل:

بنت العروبة هيئي سكني
أنا عائد لأعيش في وطني»

وهاتفني الأديب الصديق الدكتور عيسى الناعوري لافتاً النظر إلى أن العصبة الأندلسية قد تألفت سنة ١٩٣٢ وليس سنة ١٩٣٥ كما ورد في مقالي.

* * *

وبعد، فقد كانت سنة ١٩٥٨ سنة الهزاهز والثورات والانقلابات في شرقنا العربي: وكان المرحوم الرئيس عبد الناصر يمتلك ناصية الدعاية العربية ويخلب الألباب بما يثير من حملات، وبما يطلق من شعارات: وكان الشاعر القروي يتزعم التيار الناصري في المهجر، ويرسل قصائده في تمجيد عبد الناصر وقد اشتهر قوله في الرد على فرعوني النزعة من المصريين:

من يبك عهد الموامي(١) والدمى فأنا
والحمد لله قد حطمت أصنامي
شغلت قلبي بحب المصطفى وغدت
عروبتي مثلي الأعلى واسلامي
«بناصري» وبأسواني فخرت إذا
باهى الدعي بفرعون وأهرام

وفي صيف تلك السنة (١٩٥٨) وصل شاعرنا إلى ميناء بيروت. فلقى من أنصار الرئيس اللبناني كميل شمعون تجهماً بسبب حملته على الرئيس في البرازيل. فواصل الإبحار إلى اللاذقية ميناء «الإقليم الشمالي للجمهورية العربية المتحدة» كما كانت تدعى في عهد الوحدة، فأحسن استقباله، ويمم شطر دمشق، عاصمة الإقليم، حيث قوبل بمزيد من الحفاوة وبالغ التكريم، قرير العين هانىء النفس.

وكنت في نابلس ـ رد الله غربتها وفرج كربتها ـ فأبرقت إليه مرحباً، وواعداً باعتمار دمشق للسلام عليه. وما لبثت حتى تلقيت رسالة



صورة تذكارية في مصيف بحمدون في لبنان . ويظهر من الشمال : الشاعر القروي ، اميل البستاني ، خليل تقي الدين ، اكرم زعيتر ، بدوي الجبل ، الياس فرحات (رافعا اصبعه) ، كامل مروة ، محمد قره علي

جوابية وجيزة وهي على مافيها من «ألف تحية» تخلو من الحرارة التي عرفتها في رسائله : هذا نصها : دمشق ١٩٥٨/٨/٢٩ : الأستاذ أكرم زعيتر ـ الأردن ـ نابلس . سيادة الأخ الكريم : شكراً لكم برقيتكم الناضحة بأصدق الود وألف تحية من صديقكم رشيد سليم خوري .

فعدلت عن الشخوص إلى دمشق ثم علمت بعد شهر أنه يمم بيروت وأن غبطة البطريرك الماروني بولس المعوشي ـ وكان على خلاف مع الرئيس شمعون ـ قد استضافه في الصرح البطريركي (بكركي) ، ومن يجرؤ حينئذ على التحرش بالشاعر ، ضيف البطريرك ؟ ؟

ويممت بيروت . واصطحبت المفكر الأديب الدكتور منوال يونس ، إلى بكركي ، وبعد السلام على المعوشي ، أقبلنا نعانق القروي ، ونتبادل التحايا والأشواق ثم تجولنا في حديقة الصرح .. وفي التجوال شاهدنا طيوراً من الكناري تغرد في أقفاصها .. وقد أوحت إلى الشاعر أن يخاطب صاحب الصرح الذي أخذ البعض من مسلمي بيروت يلقبونه ببطريرك العرب قائلاً :

أيا بطريرك العرب من كل ملة
ومن كل قطر ، لابرحت منـاراً
أسرت فؤادي ، وهو في آخر الدنا
طلق وقبلي كم أسرت منـارا
فغرد في «صنبول» باسمك هاتفاً
وصفق مشتاقاً اليك وطارا ..

* * *

ثم كان بعد ذلك «الإنفصال» بين سورية ومصر ، وانهيار الجمهورية العربية المتحدة ، الأمر الذي فجع القروي ، وأثار حنقه ، وأدى اختياري سفيراً للأردن في سورية فإيران إلى انقطاع المكاتبة بيننا ولكن حدث في أثناء زيارتي لبيروت أن دعا العلامة المرحوم جميل بيهم نخبة من أدباء لبنان لمأدبة عشاء تكريمية للقروي وكنت في المدعوين .. ولحظت أن تسليم القروي علي متسم بشيء من الفتور ، وأجلست على يمينه وحاولت أن استجليه سبب هذه الجفوة فبدل الموضوع وسألني : «هل نفدت طبعة كتاب ذكرى شقيقك المرحوم عادل ؟» فأجبته : «هذا كتاب لم نعرضه للبيع وانما أهديناه إلى الأصدقاء الذين اشتركوا في تأبينه وعزوا فيه وأنت منهم .» ثم رأيتني أسأله : «ألم أكن أنا الذي أطلقت عليك لقب قديس الوطنية العربية واشتهر هذا اللقب ؟» فأجاب : «ولا أزال وسأظل كما عرفتني قديساً للوطنية العربية» .



أ يا قلمي ويا لسان ضميري ... ويا شاهدي في احترام الوداد
أريدك والسيف أمرٌ يجور ... وأرجوك مثلي عفيفاً جواد
علامَ ارتجفت وتقلصتَ كفّي ... أتخشى أسوقك ردّ انتقاد ؟
وعهدك بي ان سود النوايا ... أردّ عليها ببيض الأيادي
[illegible]

جورج صيدح

[illegible] ٢٠/٩/١٩٧١

صورة الجزء الأخير من قصيدة الشاعر الكبير جورج صيدح المسماة «مأساة القلم المداد» . وكان قد أهداها الى الشاعر القروي .. وهي موقعة باسمه وتحمل تاريخ ٢٠ سبتمبر ١٩٧١ م

قلت : «فما هذه الجفوة بيننا ؟» فأومأ إلى ماطرق سمعه من مخالفتي إياه في المنحى العام ! !

وفي اليوم التالي أقام الأديب محمد قره علي ، مأدبة غداء في بحمدون تكريماً للشاعرين القروي وفرحات حث عليها صديق الأدباء المهندس إميل البستاني ، وكان في عداد حضورها ـ عدا الشاعرين ـ بدوي الجبل ، وخليل تقي الدين ، وكامل مروة ، وأميل البستاني ، وكانت مناسبة لإزالة بعض اغبرار في نفس القروي مما بلغه خطأ عن مواقفنا من أحداث في مصر وسوريا ولبنان .. وأقول استطراداً : في تلك الجلسة ، توثقت آصرة الصداقة بيني وبين الشاعر الياس فرحات ، وكانت الرسائل بيننا قبل ذلك موصولة .. وحدث أن أقيم في «كفر شيما» مسقط رأس الشاعر فرحات ، حفل تكريمي كبير ، اضطررت إلى أن أتغيب عنه فأبرقت إلى لجنة التكريم ببرقية تليت في الحفل وفيها أقول :

«تكريم الشاعر فرحات تكريم للشمائل الأنيقة والقومية الشماء ، والعربية الأنوف والشعر الأصيل ينسكب عطراً ، ويشرق فجراً . إن إلياس فرحات بكى آلام أمته سحراً وبياناً ، وهلل في أعياد أمته أنغاماً وأوزاناً ، وترك للدنيا القادمة ولأجيالها زهو التاريخ العربي سلاماً وعبيراً ، وعنفوان كفاحهم زئيراً وهديراً» .

وأبى نبل الشاعر فرحات إلا أن يزورني في الفندق صبيحة اليوم التالي شاكراً لي برقيتي .. ثم رافقته إلى الحفلة التي أقامها تكريماً له وزير الأنباء اللبناني الصديق علي بزي حيث علق على صدره وسام الأرز من رتبة فارس ، والحفلة الوداعية التي أقامها الأستاذ كامل مروة في دار «الحياة» لمناسبة عزم فرحات على السفر إلى البرازيل ، وأذكر أننا استنشدناه قصيدته في نفسه ، وقد وصف في أبياتها الثلاثة الأخيرة الشعور الذي يتجاذبه بين حنينه إلى أسرته في البرازيل وشوقه إلى البقاء في وطنه وهي :

فوالهفي عليها كيف صارت
نضارة عيشها الزاهي صراعا
وكيف تحرك الأقدار قسراً
أمانيها انخفاضاً وارتفاعا
إذا لبثت هنا ذابت حنيناً
وإن قضت النوى ، طارت شعاعا

* * *

وهتف بي ، بعد أيام ، الصديق الشاعر الرقيق الأستاذ جورج صيدح : «إن صديقنا القروي في المستشفى الألماني يعالج مما ألم به» فبادرنا إلى عيادته فسر بنا ، وكنا أول من عاده ، وسرنا أن يكون مليئاً بالأمل في الشفاء .. وفي طريق العودة قلت لصيدح : «وددت لو أدعو القروي بعد شفائه إلى نابلس وأن أقيم له فيها وفي عمان مهرجاناً تكريمياً .. ولكن ..» فقال صيدح : «ولكن ماذا ؟ وما يمنعك من ذلك ؟» فقلت : هل تذكر تلك القصيدة التي أرسلها إليك من البرازيل سنة ١٩٥٦ ، وكتب أنها مهداة إلي أنا ، فبعثت بها إلي ؟

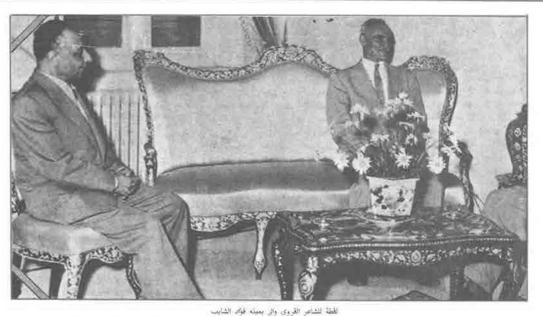
قلت : وقد اغتمز فيها بعض المسئولين العرب وكذلك فعل في قصيدته التي ألقاها في سان باولو في حفلة تأبين إيليا أبي ماضي والتي مطلعها :

من للذي أوحيت أن يتبسما
غمر البكاء العين واكتسح الفما

واعتقادي أنه تجنى على هؤلاء المسئولين الذين هاجمهم في قصيدته ، وليس معقولا أن يقام له مهرجان تكريمي الآن في نابلس أو غيرها وقصيدته التجنية معروفة ومشهورة ، ولعل هذه الحملة التجنية التى شنها القروى هي التى أغضبت منه صديقه الاديب الاردنى الاستاذ عيسى الناعوري فقاطعه مع انه كان من أعز أصدقائه ، وقد أنصفه ومجده في كتابه «أدب المهجر» . ويبدو أن صيدحاً نقل إليه هذا على سبيل الاعتذار له عن تقصيري في تكريمه ، ثم حدث أن فوجئت وأنا وزير للخارجية الأردنية برسالة من القروي أذهلتني وفيها يعاتبني لأنني تمنيت لو خلت قصيدته في تأبين أبي ماضي من أبيات حالت دون مهرجانات كنت أنوي إحياءها له في العراق ! ! وفي آخر الرسالة عبارات شديدة القسوة متلبسة بلباس الثقة بي والنصيحة لي :

عين البربارة ـ منطقة جبيل ـ لبنان
سيادة الأديب الكبير ، الخطيب الشهير ، السفير الوزير الأستاذ
أكرم زعيتر ، صان الله مهجته ،
أخي وصديقي العزيز

أما بعد فقد طلعت علينا منذ ثمانية عشر عاماً شمساً من شموس الإيمان ، باهرة الضياء ، ثم حجبتك عنا بعد تسعة أعوام غيمة الشك ، وأنت في كبد سمائك ، وإبان لألائك ، غداة أنزلتني منزلة الذين يغرهم بالدنيا الغرور ، فتمنيت مع من تمنى لو خلت قصيدتي في أبي ماضي ، من أبيات حالت في زعمكم دون مهرجانات ـ كدت أقول مهارج ـ كنتم تنوون إحياءها لي في العراق ، وها نحن اليوم ياأخانا الأكرم ، بعد تسعة أخرى ، يهددنا



لقطة للشاعر القروي والى يمينه فؤاد الشايب

الاستعمار وعملاؤه ، بايلاج نهار آمالنا في ليل لاندري أتغرب فيه شمس إيمانك إلى غير شروق ، لا سمح الله ، أم يمن الله علينا وعليك ، وهذه فلسطين في أشد ظلماتها افتقاداً لبدورها أمثالك ، فتعود ياأكرم كسالف عهدنا بك ، كتلة ربانية ملتهبة من نار ونور ؟ انها لفرصة اختيار يسرها الله لك ، واننا لنعيذك ، وأنت صحيح العقل والوجدان ، أن تبيع الانتحار بالشهادة .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته من أخيك المحب المخلص

رشيد سليم الخوري

وبادرت إلى الاجابة على رسالته منكراً ، بادي الرأي ، أنني فكرت في إقامة مهرجان تكريمي له في العراق ، لأنني لاأملك القدرة على ذلك ، وأنا كنت في نابلس لا في بغداد ؛ وأعدت عليه صحيح ماكنت قلته للأستاذ صيدح ، ثم حدثته عن مدى الخدمة التي أؤديها لعروبتي وفلسطينيتي في عملي وشفعت رسالتي بخلاصة المحاضرة التي القيتها في الجامعة الأردنية عن سياسة وزارة الخارجية التي أخذت علي نفسي الالتزام بها «فقضية فلسطين قضيتنا الأولى ، قضية الحياة والشرف ، قضية الوجود والكرامة . ووزارة الخارجية مجندة للعمل من أجلها وفي سبيلها ؛ تدافع عنها ، تدعو اليها وتبشر بها ، وتحبط التآمر عليها» وفصلت في خطوط هذه السياسة عربياً واسلامياً ودولياً مؤكداً في ختام المحاضرة أن دبلوماسيتنا في المجال العربي رآبة للصدع مبددة للغيوم ، عاملة على وحدة الصف ، حريصة على جمع الكلمة مؤمنة بأن قوة العرب وفلاحهم في اتحادهم ، وقيل لي ان القروي تأثر بالرسالة

* * *

وجئت بيروت وبكنت فيها إحدى عشرة سنة ، قضيت أربعاً منها سفيراً للأردن ولم ألق القروي في سني السفارة إلا مرة واحدة والتقينا فأحسن المقابلة ، وكان أتيا الجامعة الأمريكية تلبية لدعوة فريق من طلاب قسم الأدب العربي فيها إلى جلسة خاصة تدور حول مفهوم الشعر وعلاقته بالعلم والدين ، وقد هاجم في حديثه الشيوعية ودعا إلى الاستمساك بالعروبة ومما قاله : «إن الاشتراكية الإسلامية تغني عن الشيوعية» وتلا آيات قرآنية تدعم رأيه ، فأطرب إسلاميي النزعة ونقمت منه القلة الضئيلة من الشيوعيين ثم لم يجر نقاش بسبب وضعه الصحي ورعاية لسنه .

وفي خريف سنة ١٩٧١ تلقيت من صديقي جورج صيدح المقيم في فرنسا رسالة يقول فيها أن ماقرأه للقروي في مجلة «العرفان» أوحى اليه بنظم قصيدة «مأساة القلم المداد (٢)» وأهداها إلى القروي وطلب إلي أن أبعث بها إلى القروي ففعلت ، وهي في اجتهادي من أجمل مانظم جورج صيدح ولعلها إحدى حسنات هذه الذكريات أن ينشر جزء من القصيدة بخط صيدح ، وفيها يخاطب قلمه في سبعة وثلاثين بيتاً ومنها :

أيا قلمي ، يالسان ضميري
وياشاهدي في احترام الوداد
أردتك واسقي أن تجود
فأصبحت مثلي عقيماً جواد
علام ارتجفت ولطخت كفي
أتخشى أسومك رد انتقاد ؟
وعهدك بي أن سود النوايا
أرد عليها ببيض الأياد
وعندي من الحلم طود تغاضى
عن اللؤم يزحف في بطن واد ..
كفاني رشاشك نفث همي
فما حاجتي بسيول المداد ؟
بني اقتصد ، فلكل معين
نفاد وما لليالي نفاد
نصحتك طال التناجي فعد
بي إلى مضجعي استحث الرقاد
فرشت لك الجيب فارجع اليه
وعش كامناً كاللظى في الرماد

جورج صيدح

عن نبشي ١٩٧١/٩/٢٠

وتلاقينا ، نخبة من المعجبين بالقروي في نادي خريجي الجامعة الأمريكية ، وكان لقاء ماتعاً ، وفيه تغنى الشاعر باللغة العربية : «أنا موله ، أنا مدله ، أنا عاشق ، أنا مستهام باللغة العربية ، أتمنى طول العمر لا استزادة من السنين ولكن استزادة من الاستمتاع بجمال اللغة ؛ هذه اللغة التي حرسها الله بكتابه الكريم» ، وتلا علينا قصيدة تتضمن آيات من سورة القمر جعل

شغلت قلبي بحب المصطفى وغدت عروبتي مثلي الأعلى وإسلامي

مطلعها : «اقتربت الساعة وانشق القمر» وآسف أنني لم أطلبها منه ، وألا أجدها في ديوانه ، وراح يتلو علينا مربعات شعرية ، الشطر الأخير منها آية قرآنية ، وأذكر منها قوله :

آيات ربك ليس يعرف قدرها
من ليس يفرق في الحجى عن غيره
لاتقعدوا معهم إذا هزئوا بها
«حتى يخوضوا في حديث غيره»

وتطرقنا في الحديث إلى لقاء القروي سلطان الأطرش فحدثنا عن حفاوة سلطان به ، وكونه يذكر قصيدة القروي فيه على الرغم من كونه في المائة من عمره ، ومما رواه لسلطان أنه ، أي الشاعر ، رأى ذات ليلة في المنام في صنبول سلطانا وأنه لم يخاطبه بالباشا كما يخاطبه الناس ، وكان يناديه : ياسلطان ، وأن أحدهم نبهه إلى ذلك فأنشد :

سلطان ياسيف الحمى المسلول والسهم المراشا
عش للجهاد ، وذكرك الميمون للتاريخ عاشا
حاشا لمثلي أن يصغر من مقامك ألف حاشا
إن كنت سلطانا فكيف يجوز أن أدعوك باشا

وقبل أن نغادر النادي قلت للقروي : «يسر المركز الثقافي الإسلامي الذي أترأسه أن يدعوك إلى حفل تكريمي تشدو فيه ماتشاء من روائعك» فأجاب : «إنني لاأحسن الوقوف على المنبر وإذا أردتم تكريمي فليكن ذلك بعد موتي» فقلت : «طال عمرك . إذا أنت زهدت في تكريمنا إياك فما نحن بزاهدين في تكريمك إيانا بامتاعنا بروائعك ، إننا لن نكلفك الوقوف على المنبر .. ولكنك تسمعنا خطباء ثم تنشدنا بعض روائعك وأنت جالس» فاستمهلني مدة يرجع فيها إلى نفسه ..

ودعي القروي إلى العربية السعودية ، وبعد اصرار من وزير داخليتها الأمير نايف . يمم صاحبنا السعودية ، ليلقى من الحفاوة أعظمها .

وعلمنا أن الشاعر قد عاد من السعودية وأنه ينزل في بيت بنت خالته التي تعنى به في «الأشرفية» . فبادرنا إلى السلام عليه ورأيناه مستنير الوجه طافح البشر ، وشرع يحدثنا عن الرحلة : «وحين هممنا بالهبوط من الطائرة قلت في نفسي : سبحان الله ، إني أراني نازلا في نفس الجو العابق بطيب النبوة . الجو الذي نزل فيه الناموس الأكبر جبريل على نبينا العربي عليهما السلام» وكان الحديث شائقاً مفاضاً ، وتلا علينا ما نظمه في المضيفين الكرماء . وقد ارتجل أمام الملك خالد بن عبد العزيز :

بإذن الله رب العالمينا
ورأى الخالد بن الخالدينا
ستبني دولة للعلم تسمو
على دول الورى دنيا ودينا
تعم بها حضارتنا البرايا
كما فعل الجدود الأولونا
وإن زاد الصهاينة اغترارا
وظنوا أنهم لا يغلبونا
وخاضوا مثلما خاضوا قديما
بمنزل ربنا مستهزئينا
«يعذبهم وينصرنا عليهم
ويشفي صدر قوم مؤمنينا»

ولما أشرت إلى بعض الحملات التي تعرض لها قال : «أخي أكرم .. أنا تعودت على الحملات الظالمة وقد ألفتها وألفتني فقلت :

تحير بي عدوي إذ تجنى
علي فما سألت عن التجني
وقابل بين ما القاه منه
وما يلقى من الإحسان مني
أريد حياته ويريد موتي
وكم بين التعني والتمني
عدوي : ليس هذا الشهر شهري
ولا المن الذي استحليت مني
فلي أم حنون أرضعتني
لبان الحب من صدر أحن
على بسماتها فتحت عيني
ومن لثماتها رويت سني
كما كانت تناغيني أناغي
وما كانت تغنيني أغني
سقاني حبها فوق احتياجي
ففاض على الورى مافاض عني

وواصل : لا . لا أبغض أعدائي وأنا القائل :

أبغضت أعدائي فلم
أتعب ببغضي غير قلبي
وحببتهم فأرحته
وربحتهم وسررت ربي
حبي ، لنفسي عائد
لا فضل لي أبدا بحبي

* * *

وتبدل موضوع الحديث حين سألني : كيف حال الفدائيين ؟ وترحم على الشهيد «علي حسن سلامة» الذي اغتاله الآثمون .. وأبدى إعجابه بما ترامى اليه من وجود أطفال فدائيين ، وكرر القول : «لا ينقذ فلسطين إلا الفدائيون» ولما استشهدت ببعض أبيات لإبراهيم طوقان وأخرى لمحمد الشريقي في الفدائيين طرب لها ثم قال : «ألا تذكر قصيدتي في الفدائيين وقد نظمتها على إثر استشهاد حسن سلامة ؟» فقلت : «أذكر البيت الأخير منها» :

من يغث أم فدائي شهيد
عده الله فدائياً شهيدا

ويخطر على بالي قوله صلى الله عليه وسلم : «من جهز غازياً فقد غزا» أو كما قال ، وهنا أسمعنا القروي قصيدته وأعطانيها مكتوبة وفيها يقول :

الفدائيون هل من أمة
أنجبت أطيب أو أصلب عودا
في لغات الأرض يبقى ذكرهم
عربي اللفظ والمعنى جديدا
كلما طير عنهم نبأ
زلزلت صهيون زلزالا شديدا
أين عند «الفتح» أبطال الأساطير
يوناناً وفرساً وهنودا
من رأى الأطفال في العشر على
لهوات الموت تنقض اسودا
من رأى الصاروخ لحما ودما
والبراكين غصونا وورودا
يالمنبوذ شريد لاجيء
فضحت خيمته القصر المشيدا
غسل العار وأحيا شرفا
منذ أعوام بكيناه فقيداً
من يغث أم فدائي شهيد
عده الله فدائيا شهيدا

وواصل : «وقلت قبل خمسين سنة لمناسبة شنق الشهداء حجازي وجمجوم والزير مثل هذا ، إرجع إلى الديوان تجد القصيدة التي أنهيتها قائلا :

اشهداء علقوا أم جرساً
رن فاهتز له قلب الوجود
كلما استشهد منا بطل
هتف الأجداد : أهلا بالحفيد»

وفي الحلقة القادمة استكمل الذكريات ولعلها تكون أحفلها بالشجون الشاجيات ..

أكرم زعيتر

هوامش

(١) المومي : جمع مومياء
(٢) القلم المداد : قلم الحبر

شخصية هارون الرشيد لها جانبان ، الأول هو الجانب التاريخي المعروف للخليفة الذى ازدهرت في عصره الدولة العباسية ازدهاراً لفت أنظار العالم كله في ذلك الحين ، والجانب الآخر هو الجانب الأسطورى الذى يبدو واضحاً في صفحات ألف ليلة . وفى هذه القصة التى كتبها الأديب العربى الكبير زكريا تامر معالجة خيالية بالغة الجمال والطرافة لجانب من الجوانب الأسطورية لشخصية الرشيد ، حيث يبتعد الكاتب عن الشخصية التاريخية ويطلق خياله مع الشخصية الأسطورية وما يدور حولها من وقائع وأحداث هى نوع من الخيال الفنى الجذاب .

حكايات ملفقة :

إعدام الموت

بقلم : زكريا تامر

كان لهارون الرشيد ابنان ، واحد اسمه الأمين ، والثاني اسمه المأمون ، وكان يحب الناس الذين يحكمهم كما يحب ابنه المأمون الذى كان عمره لا يتجاوز الأربع سنوات .

وكان المأمون عندما يقول : بابا ، يطغى على هارون الرشيد حنان يجعله غير قادر على النطق بكلمة .

وفى يوم من الأيام ، كان هارون الرشيد جالساً فى حديقة قصره ، يتمتع بمشاهدة المأمون وهو يلعب ويلهو راكضاً من مكان الى مكان ، متواثباً ، مطلقاً الضحكات المرحة ، فتنبه بغتة الى أن ابنه قعد على الأرض ثم مال الى الوراء بحركة فجائية كأن يداً غير مرئية دفعته بقوة ، وأرغمته على الاستلقاء على ظهره بلا حركة .

ظل هارون الرشيد يراقب مبتهجاً ابنه الذى استمر راقداً على الأرض دونما أى حركة ، فناداه ، فلم يسمع جواباً ، فنهض وهو يبتسم مصمماً على مسايرة ابنه في لعبته الجديدة ، ودنا منه ، وأقعى قربه ، فوجده مغمض العينين ، شاحب الوجه ، فقلق لحظة خاطفة مالبثت أن زالت ليحل محلها الاقتناع بأن المأمون كعادته محب لابتكار الجديد من الألعاب ، فمد يده اليه وهزه ، فاذا المأمون كثوب بلا جسم ، فصرخ مرتاعاً ، طالباً الأطباء .

وجاء الأطباء ، وفحصوا المأمون مدة قصيرة ، ثم ابتعدوا عنه واجمين ، خافضي الرؤوس ، متجهمي الوجوه ، ولم يجرؤ واحد منهم على النظر الى هارون الرشيد .

حدق هارون الرشيد طويلا الى جثة المأمون الملقاة على الأرض ، ثم سار الى داخل قصره بخطى وئيدة ، وجلس على كرسيه ، فولول من ولول ، وبكى من بكى ، وتقدم كثيرون من هارون الرشيد متفوهين بكلمات العزاء ، ولكنه ظل صارم الوجه واجماً لا يتفوه بكلمة أو يذرف دمعة حتى غاب الجسد الصغير تحت التراب ، عندئذ تكلم ، وقال لوزيره جعفر البرمكي : « أين قائد جيوشي ؟ » .

قال قائد الجيوش « هاأنذا يا مولاى » .

فحملق اليه طويلا كأنه يراه أول مرة ، ثم سأله : « من أنت وماذا تشتغل ؟ » .

ــ « أنا قائد جيوش مولاى وسيفه البتار » .

ــ « وما عملك ؟ » .

ــ « أن أحمى البلاد من الأعداء » .

ــ « أن تحمى البلاد أم الناس الذين يعيشون في البلاد ؟ » .

قال قائد الجيوش بثقة : « البلاد والناس معا » .

فقال هارون الرشيد له متسائلا من غير أي انفعال : « إذا لماذا لم تحم ابنى المأمون ؟ » .

فاستولى رعب غامض على قائد الجيوش ، وساد الصمت لحظات مرت كأنها سنوات ، ثم قال هارون الرشيد بصوت قاس : « لابد من أنك خائن تنفذ مشيئة الأعداء » .

حاول قائد الجيوش التكلم ، فلم يستطع ، واكتفى بالتمتمة بكلام مبهم بينما قال هارون الرشيد : « أليس من مصلحة الأعداء أن يموت ابنى الذى كان سيصبح وريثا على البلاد من بعدي ؟ » .

فقال جعفر البرمكي : « الخير في ابنك الأمين ، أطال الله عمره » .

فصاح هارون الرشيد بنزق : « أنا لا أتحدث عن الأمين بل أتحدث عن المأمون الميت » .

ونظر الى قائد جيوشه نظرات ، وقال له : « لن آمر باعدامك أو سجنك طول الحياة بل سأنفذ بك عقوبة أشد لأني أعرف طباعك . أنت منذ هذه اللحظة معزول من منصبك » .

وحدق هارون الرشيد الى من يحيط به من وزراء وحراس وجند وندمان وشعراء وأتباع ، فلمح رجلا واقفاً غير آبه لما يجرى حوله ، فصاح به : « اقترب منى يا أبا نواس » .

فدنا أبو نواس من هارون الرشيد مترنح الخطى ، فسأله هارون الرشيد : « أأنت سكران كعادتك ؟ » .

قال أبو نواس : « لا لا . أنا مصاب بزكام حاد سببه برد شديد ، وهو الذى يجعلنى لا أقوى على السير » .

فقال جعفر البرمكى مدهوشاً : « أبرد شديد فى عز الصيف ؟ » .

وقال هارون الرشيد لأبى نواس : « هل سبق لك أن اشتغلت فى مهنة غير نظم الشعر ؟ » .

قال أبو نواس : « من المفروض أن تكون كتب التاريخ مملوءة بتمجيد المعارك التى انتصرت فيها الجيوش بفضل قيادتي لها ، ولكن المؤرخين تعمدوا اغفال ذكرى لأنى هجوتهم » .

قال هارون الرشيد : « ترى أتليق بك ثياب قائد الجيوش وهل ستبدو بها ذا مهابة .. المهابة الجديرة بقائد جيوشى ؟ » .

وأشار هارون الرشيد الى قائد جيوشه قائلا له : « اخلع ثيابك » .

فتردد قائد الجيوش ، فزعق هارون الرشيد

إعدام الموت

غاضباً ، فسارع قائد الجيوش الى خلع ثيابه محتفظاً بثيابه الداخلية فقط ، فقال هارون الرشيد لأبي نواس : « ارتد هذه الثياب » .

فقال أبو نواس بلهجة متذمرة : « يجب أن أكون قائداً للجيوش من الداخل والخارج » .

قال هارون الرشيد : « ماذا تقصد ؟ » .

فقال أبو نواس مشيراً الى الثياب الداخلية لقائد الجيوش المعزول : « هل من المعقول أن أرتدى الثياب الخارجية لقائد جيوش فوق ثياب داخلية لشاعر ؟ المسؤولية ليست مسؤوليتي إن بدا منظرى غير لائق » .

فأمر هارون الرشيد قائد جيوشه السابق بخلع ثيابه الداخلية . وكان صوته صارماً صرامة كانت كافية لأن تجعل قائد الجيوش يبادر الى تنفيذ الأمر فوراً ، ثم يقف منكس الرأس ، فقال له هارون الرشيد : « هيا اذهب الى بيتك وابق فيه ولا تخرج منه الا في نعش » .

ارتدى أبو نواس ثياب قائد الجيوش ، ثم وقف أمام هارون الرشيد مشدود القامة ، وسأله مزهواً : « ما رأى مولاي ؟ » .

فتفحصه هارون الرشيد ملياً ، فرأى رجلا جديداً ذا جلال ، فهز رأسه راضياً مستحسناً ، وقال له : « لقد عينتك قائداً لجيوشي » .

فقال الوزير جعفر البرمكي : « ولكن المنظر وحده يا مولاى لا يكفي للانتصار في المعارك الحربية » .

قال هارون الرشيد : « ما تقوله صحيح . ولذلك فانني يا أبا نواس أعطيك مهلة سبعة أيام لتضع فيها خطة لجعل جيوشي أقوى جيوش في العالم ولا يمكن هزيمتها » .

قال أبو نواس : « لا أريد أى مهلة ، والخطة المطلوبة لدى الآن جاهزة لعرضها ولتحظى بموافقة مولاى » .

فابتسم جعفر البرمكي بهزء بينما قال هارون الرشيد لأبى نواس : « وما خطتك ؟ » .

قال أبو نواس : « خطتي تتضمن عدة اقتراحات . أول اقتراح هو تأليف فرقة من الراقصات الشابات الجميلات البارعات ، وضم تلك الفرقة الى الجيش » .

قال هارون الرشيد مستنكراً : « ماذا تقول ؟ راقصات في الجيش ؟ » .

قال أبو نواس : « أنا أعترف بأن هذا الاقتراح قد يبدو أول وهلة غريباً ، ولكننا إذا درسناه كشفنا فوائده » .

قال جعفر البرمكي ساخراً : « وفوائده حتما كثيرة لا تحصى » .

قال أبو نواس : « من البديهى أن وجود راقصات بين الجنود سيشيع المرح ، ويرفع من معنوياتهم . وإذا ارتفعت معنوياتهم قاتلوا بشجاعة وبسالة ، كما أن فرقة الراقصات ستكون عنصر مباغتة للعدو فى أى معركة . تخيل يامولاى معركة من المعارك : جيش العدو يتأهب لقتالنا ، فينفخ فى الأبواق ، وتقرع الطبول معلنة بدء المعركة ، فتتقدم أولا وفى الطليعة فرقة الراقصات وهى ترقص . ما الذى سيحدث فى تلك اللحظات ؟ لابد من أن جيش العدو سيرتبك ويباغت ويحملق الى الراقصات مبهوتاً غير مصدق ما يرى ، ولا يدرى كيف يتصرف ، فيستغل جيشنا هذا الوضع ، ويهجم هجمة رجل واحد على جيش العدو المضطرب الصفوف ، فيحرز النصر سهلا مؤكداً » .

قال هارون الرشيد : « اقتراحك غريب حقاً » .

قال أبو نواس متحمساً : « ولدى أيضاً من الاقتراحات الكثير الكثير » .

قال هارون الرشيد : « هيا احك عنها » .

قال أبو نواس : « سنؤلف فرقاً من الدجاج » .

فقال جعفر البرمكي : « وهل تريد من الدجاج أن يقاتل أيضاً فى صفوف الجيش ؟ » .

قال أبو نواس : « لا لا . ستكون مهمة الدجاج هى متابعة أداء مهمته التى اعتاد دائما أداءها وهى أن يبيض البيض » .

قال هارون الرشيد : « وماذا سيستفيد الجيش من البيض ؟ هل سيستخدمه فى طعامه لتقوية أجسام جنوده ؟ » .

قال أبو نواس : « لا بل سيستخدم كسلاح . تخيل يا مولاى جندياً من جيش العدو وقد أصابته بيضة فى وجهه . ماذا سيفعل ؟ انه بالتأكيد سيركض مسرعاً لغسل وجهه ، فينقص جيش العدو واحداً ، فإذا انهال على جنود العدو بيض لا يحصى عدده فالنتيجة معروفة . وسيكون سلاحاً يباغت الأعداء ويثير فى صفوفهم الفوضى اذ لم يستعدوا لمواجهة مثله » .

قال هارون الرشيد : « وهل لديك اقتراحات أخرى ؟ » .

قال أبو نواس : « أهم اقتراح لدى هو تجنيد الموتى فى الجيش بدلا من أن يقيموا بقبورهم بلا عمل ينفع بلدهم ، إنهم سيكونون فرقة مقاتلة غير مرئية ، ودورها فى المعارك بالغ الخطورة ، فالعدو سيحارب خصماً لا يراه ولا يموت لأنه ميت . وهذه الفرقة لن تكلف خزائن مولاى نفقات كثيرة لأن أفرادها لا يأكلون ولا يرتدون ثياباً ، وسنكتفى باعطائهم أحياناً مكافآت رمزية ، وسأتولى بنفسي توزيعها عليهم تكريماً لهم » .

أبو نواس

قال هارون الرشيد : « عليك الشروع فوراً فى تنفيذ اقتراحك . ما أريده هو أن تصبح جيوشى قادرة على احتلال العالم كله » .

فقال أبو نواس : « وستصبح يا مولاى سيدا على العالم كله » . ففكر هارون الرشيد لحظات مغموماً ، ثم قال : « والموت الذى أهلك ابني ؟ هل سيظل بلا عقاب ؟ من ذا الذى سيعيد ابني الى الحياة ؟ » .

قال أبو نواس : « لكل مهمته ، ومهمتي كقائد لجيوش مولاى هى أن أطارد الموت فى كل مكان حتى أقبض عليه وينال جزاءه » .

قال هارون الرشيد : « أعطيك مهلة ستة أيام ليمثل الموت أمامى وأعاقبه العقاب الذى يستحقه » .

قال أبو نواس بصوت حزين : « فليأمر مولاى سيافه بقطع رأسى » .

— « لماذا ؟ » .

— « لأني لا أستطيع تلبية ما طلبت الا فى ستة أيام وساعتين » .

— « اني أمدد المهلة الى ستة أيام وثلاث ساعات » .

فصاح أبو نواس بصوت مفعم بالفرح : « هذا كرم لم أكن أحلم بنيل مثله . فقد منحتنى ساعة أكثر مما أحتاج اليه وبرهنت حقاً على أنك خير من يقدر المهمات الجسام » .

قال هارون الرشيد : « ومن ذا الذى سيعيد ابنى الى الحياة ؟ » .

فأشار أبو نواس بسبابته الى جعفر البرمكى قائلا : « هذه المهمة مهمته ، وكان دائماً يسخر مني ويتهمنى بأنى أضيع وقتك وأبدده ، وقد جاء الآن الوقت ليبرهن على اخلاصه لمولاه بالعمل لا بالكلام » .

قال هارون الرشيد لجعفر البرمكى : « ألم تسمع ما قيل ؟ لماذا لا تجاوب ؟ » .

قال جعفر البرمكى : « يا مولاى . ما سمعته ليس الا كلام شاعر فاسق مهذار مهرج » .

فقاطعه هارون الرشيد قائلا بغيظ : « أنسيت انى عينته قائدا لجيوشي أم أنك لم تسمع أمري ؟ ما قيل ليس كلام مهرج بل كلام قائد جيوشى » .

قال جعفر البرمكى : « وما المطلوب منى ؟ » .

قال هارون الرشيد : « أنت تحاول تجاهل ما هو مطلوب منك ، ولكن هذا التجاهل لن يعفيك من مهمتك ، وهي اعادة ابني الى الحياة » .

قال جعفر البرمكى فزعاً متوسلا : « هل سمعت يا مولاى أن انساناً مات ثم عاد الى الحياة ؟ » .

قال هارون الرشيد بحنق : « يبدو أنك تنوي أن تجرى لي امتحاناً لمعرفة ما سمعت به وما لم أسمع به . أنسيت من أنا ؟ لست تلميذاً فى

مدرسة ، وأريد أن يعود ابنى حياً » .

ــ « هذا أمر لا يستطيع أى انسان القيام به » .

فقال أبو نواس : « أيأذن لي مولاى بالكلام ؟ » .

ــ « تكلم اذا كان كلامك يساعد فى عودة ابني الى الحياة » .

قال أبو نواس : « ما دام جعفر البرمكى يعترف بعجزه فهذا أمر عادي لأنه حي ، أما اذا مات فسيتاح له عندئذ مقابلة ابنك ومعرفة الأسلوب الذى يمكن عن طريقه أن يعود الى الحياة » .

قال هارون الرشيد : « ما تقوله هو الصواب ، ولكن لضمان نجاح هذه المهمة يجب أن نختار لها أفضل رجالى » .

وفكر قليلا ، ثم قال لوزرائه : « أنتم بلاشك خير رجالى ، وستؤلفون وفداً ، وتذهبون لمقابلة ابنى ومعرفة طريقة اعادته الى الحياة ، أما جعفر البرمكي فلن يرافقكم لأنه أثبت أنه غير مخلص لي وقد يرتكب ما يفسد مهمتكم ، ولن يموت كما ستموتون بل سيبقى للعناية بخيولى » .

فتبادل الوزراء نظرات الدهشة والرعب ، ولكن تبادلهم النظرات لم يستمر اذ أصدر هارون الرشيد أوامره الى سيافه ، فتدحرجت رؤوسهم على الأرض ، ثم التفت الى جعفر البرمكى ، وقال له : « هيا اذهب وباشر عملك الجديد ، وأطلب منك أن تعلم خيولى كيف تكف عن تحريك ذيولها حتى تصبح مختلفة عن الخيول الأخرى » .

فأحنى جعفر البرمكى رأسه معلناً خضوعه وطاعته ، وهرول خارجاً . ونام هارون الرشيد فى تلك الليلة نوماً عميقاً ، ورأى فى أثناء نومه ابنه الصغير فى سهل مغطى بالعشب الأخضر ، يضحك ويركض لاهياً ، ورأى وزراءه يقتربون منه بلا رؤوس ، ويحملونه ، ويسيرون بخطى متمهلة ، فصاح بهم بلهجة آمرة : أسرعوا ، فأنا مشتاق الى ابنى ، مشتاق الى ضحكته ، الى صوته ، الى يديه الصغيرتين لحظة تلمسان وجهى وتداعبان لحيتى ، ولكن الوزراء لم يبالوا بصياحه الآمر ، واستمروا فى سيرهم المتباطىء . فغضب غضباً شديداً ، وأفاق من نومه ليجد نفسه فى سريره ، فاستدعى أبا نواس ، وروى له ما شاهده فى أثناء نومه ، فقال أبو نواس : « انهم لأنذال خانوا مولاهم ، ومن الأفضل لمولاى ألا ينتظر رجوعهم » .

قال هارون الرشيد بحيرة : « ماذا أفعل ؟ » .

قال أبو نواس : « حين سيمثل الموت بين يدى مولاى ويقتله فلابد من أنه سيحس ببعض الراحة لأنه ثأر من قاتل ابنه » .

ــ « اني لتواق الى تلك اللحظة » .

ــ « ليطمئن مولاى الى أن مقدم تلك اللحظة ليس بالبعيد . فتحرياتى عن الموت تحرز نجاحاً أثر نجاح ، وسأعرف مكانه فى أيام قليلة ، وسأقتاده للمثول أمامك ذليلا مهاناً » .



الخليفة هارون الرشيد (٧٨٦ ــ ٨٠٩)
الذى تميز عهده بالازدهار والرقى

قال هارون الرشيد محذراً : « لا تنس المهلة التى أعطيتك اياها ، فإذا انتهت فستندم ومصيرك معروف » .

فابتسم أبو نواس ابتسامة واثقة ، ثم انصرف ليعود فى اليوم التالى مبتهجاً ، يجر جنوده رجلا ممزق الثياب ، حافى القدمين ، يسيل الدم من وجهه .

ــ « هذا خصمك يا مولاى » .

ــ « من هذا ؟ » .

ــ « هذا هو الموت الذى قتل ابنك » .

فقال هارون الرشيد للرجل : « أنت الموت ؟ » .

فقال الرجل بصوت متهدج : « أنا رجل مسكين » ..

فقاطعه أبو نواس مهدداً : « قل لمولانا الحقيقة والا عدت الى التحقيق » .

قال الرجل بذعر : « لالا » .

ــ « قل إنك الموت » .

وقال هارون الرشيد : « إياك وأن تكذب » .

قال الرجل بصوت خافت : « أنا الموت » .

ــ « ولماذا قتلت ابنى ؟ ولماذا لم ترحم طفولته ؟ » .

اضطرب الرجل ، ولم يجاوب . فقال له أبو نواس : « قل لمولانا ما قلته لنا فى أثناء التحقيق معك » .

ــ « وماذا قلت ؟ » .

ــ « قلت انك متعاون مع أعداء مولاى ونفذت رغبتهم فى التخلص من المأمون » . قال الرجل : « هذا ما قمت به فعلا » .

فنظر أبو نواس الى هارون الرشيد نظرة انتصار ، وقال له : « أسمعت بأذنيك اعترافه يا مولاى ؟ » .

فتأمل هارون الرشيد الرجل بنظرات متفحصة بينما قال له أبو نواس : « ماذا ينتظر مولاى ؟ » .

ــ « انى أفكر فى الميتة التى تعذبه أشد عذاب » .

ــ « أحرقه حياً » .

فأمر هارون الرشيد باحراق الرجل حياً ، فنفذ الأمر فوراً ، وتحول الموت الى رماد .

وبعد أيام ، قال هارون الرشيد لأبى نواس بحزن : « مازلت أريد أن يعود ابني الى الحياة » .

فقال أبو نواس : « لي ابنة هى أعقل من يحيا على سطح الأرض ، ولكنها تتصنع الجنون ، فاذا سألتها النصح فقد ترشدك الى ما يحقق لك غايتك » .

فأمر هارون باحضارها بسرعة ، ومثلت ابنة أبى نواس أمامه ، فطلب اليها العون ، ففكرت ثم قالت : « ابنك لن يعود الى الحياة كما كان ، ولكنه قد يعود فى صورة مختلفة ، فازرع فى تراب قبره شتى البذور ، وما سينمو يكون هو ابنك العائد الى الحياة » .

فعمل هارون الرشيد بنصحها ، فنمت فوق القبر شجرة برتقال خضراء الأوراق ، فزال حزن هارون الرشيد ، وبات يقضي معظم أوقاته جالساً بالقرب منها ، وحين يهب الهواء ويحرك أغصانها كان يسمع وحده صوتاً يقول بابا .

ونمى يوماً الى سمع هارون الرشيد أن الموت مازال يقضي يومياً على الناس الذين يحكمهم ، فدهش ، ولكن أبا نواس قال له : « نحن قضينا على الموت الجدّ فقط ، ولم نقض على أبنائه وأحفاده ، وهم كثيرون » .

ــ « آمرك ألا تترك واحداً منهم حياً » .

ــ « انهم منتشرون فى أرجاء الأرض كلها ، ولكن معلوماتى عنهم وافية دقيقة ، تكشفهم ، وتحدد الأماكن التى يختبئون فيها » .

ــ « سأبيدهم اينما كانوا » .

وسارت جيوشه تتقدمها الراقصات وفرق بعضها مسلح بالبيض وبعضها من الموتى ، فاحتلت الأرض كلها ، وأصبح يملكها ، يتعقب أبناء الموت وأحفاده وفقاً لارشادات أبى نواس ، ويشن عليهم حرب ابادة ، ولكن هذه الابادة توقفت لأن أبا نواس مات فجأة ، وبات هارون الرشيد بلا مرشد ، فعاوده الحزن ، ولكنه سر قليلا عندما علم أن جعفر البرمكى قد نجح فى تعليم خيوله ألا تهز ذيولها . وبعد سنوات توفى هارون الرشيد ، فنزعت شجرة البرتقال لحاءها وأوراقها ، وخرج منها المأمون وبادر الى القصر ، وفرحت الخيول ، وعادت الى ممارسة عادتها بهز ذيولها باستمرار .

زكريا تامر



بقلم: محمود السعدنى

وقائع بلا تعليق!

دخل الأستاذ « ع » قهوة عبدالله وخرج منها دون أن يترك أثراً يذكر لا بالسلب ولا بالايجاب. كان أنيقاً وسط شلة الأدباء ، يرتدى « بدلا » من الصوف الانجليزى غالية الثمن ، وينتقى أربطة العنق الثمينة ، وحذاؤه الانجليزى الصنع كان يلمع دائماً. وكان سميناً تطفح الحمرة من وجنتيه ، ومنظره عموماً كان يدل على البيئة التى عاشها فى طفولته ، فهو ابن أسرة مستورة من أسر الريف. ولابد أنه كان ينحدر من صلب جراكسة أو صقالبة أو أروام ، والذين حكموا مصر دهراً طويلا فى العصور الوسيطة ، وكان الأستاذ « ع » نتاج اختلاط هذه الطبقة بالفلاحين المصريين عندما اضطروا إلى ذلك بعد تدحرجهم من قمة الهرم الاجتماعي بفعل غزاة آخرين. ولم يكن الأستاذ « ع » علماً على شيء أو نابها فى شيء. ولكنه كان يلم بأشياء كثيرة ، وكان يشترك فى النقاش الذى يحتدم أحياناً بين شلة الأدباء ، ولكنه كان يشترك بالايماءة وهزة الرأس وأحياناً بكلمات قليلة وعبارات قصيرة كان يتقن نطقها.. فى الواقع أنا مش موافق .. أو .. لعل وعسى .. أو .. يعنى .. المسألة مش كده بالضبط .. لكن .. !! ولم تكن هذه العبارات التلغرافية الشفرية تنبىء عن الرأى الذى يتبناه أو الجانب الذى يؤيده. ولكنها كانت كافية لكى يثبت الأستاذ « ع » وجوده بين شلة الأدباء ، وأيضاً كانت كفيلة بإدخال السرور إلى قلبه وإحساسه بأنه أدى ما عليه. وأحياناً كان يبدو شديد السعادة عندما يخلو ركن الأدباء إلا من بعض الشبان الذين يترددون أحياناً على المقهى،عندئذ كان الأستاذ « ع » ينتفش ويبدو كأنه شخص آخر.

وكان يعيد على أسماع هؤلاء الشبان المناقشات التى دارت ويشرح لهم رأيه فيما دار ، وكيف أنه أفحم الجميع بطرحه الذى أسكت الجميع. ويظل يردد بشكل منتظم وبطريقة آلية السؤال الذى ألقاه وسط شلة الأدباء كالقنبلة ، فنسف الجميع ولم يجرؤ أحد منهم على أن يرد على السؤال. فى تلك اللحظة كان الأستاذ « ع » يجلس منتفخاً على الكرسى يشفط من سيجارته أنفاساً متلاحقة ، وقد وضع ساقاً على ساق ، عارضاً على أنظار الأدباء الشبان الفقراء حذاءه الانجليزى اللامع .. ما هو أنا حطيت المسألة على بلاطة .. السؤال بتاعى كان بسيط للغاية .. هو الهدف إيه ؟ ويمعنى أصح هى العبارة إيه ؟ ..

وأحياناً .. وفى الليالى التى كان يغادر فيها أنور المعداوى القهوة مبكراً يجلس الأستاذ « ع » فى الصدارة مستعيناً بالشاى الذى « يرشه » على شباب الأدباء فى عقد ندوة ملاكى يتحدث فيها عن آرائه فى الحياة والناس. حدث فى العام ١٩٥٥ عندما عرض نعمان عاشور روايته « المغماطيس » أن أدار أنور المعداوى مناقشة مفتوحة حول المسرحية اشترك فيها الدكتور القط وزكريا الحجاوى ويوسف الحطاب .. وفجأة سأل أنور المعداوى الأستاذ « ع » عن رأيه فى المسرحية فأجاب فى اختصار شديد .. « ما هو يعنى نعمان عاشور هو كده » !! ولم يفهم أحد من الجالسين .. هو كده

إيه ؟ كما أن الأستاذ « ع » لم يهتم بأن يشرح ذلك . وبعد تلك المناقشة بأيام ، اقترب منى الأستاذ « ع » وهمس فى أذنى بأنه يريد مشاهدة مسرحية نعمان عاشور وطلب منى أن أدبر له تذكرة من صديقى صلاح منصور . واكتشفت أنه لم يشاهد المسرحية ، وإن كان أبدى فيها رأياً لا ينفع ولا يضر ! ولقد ظل الأستاذ « ع » حريصاً على حضور ندوة قهوة عبد الله حتى انهدت من أساسها ، كما ظل مواظباً على الحضور فى مواعيد مبكرة والانصراف فى وقت متأخر والاشتراك فى المناقشات بطريقته وبأسلوبه التلغرافى الغامض ! ولكن أغرب ما فى قصة الأستاذ « ع » أننى لم ألتق به قط بعد زوال قهوة عبد الله . كأنما انشقت الأرض وابتلعت الأستاذ « ع » . صحيح أن العلاقات بين أدباء الندوة اختلفت بعد زوال القهوة عنها قبلها . هناك علاقات استمرت كالعلاقة بين الثالوث الشهير : القط ـ المعداوى ـ شعبان ، وعلاقات تقطعت بعض خيوطها وإن بقيت بعض خطوطها مشدودة ، كالعلاقة بين عبد الحميد قطامش وزكريا الحجاوى من جهة وشلة الندوة من جهة أخرى . وبعض أدباء القهوة يترددون فى زيارات متباعدة وخاطفة على زملاء الندوة . ولكن الأستاذ « ع » هو الوحيد الذى اختفى تماماً وغاب فى زحام البشر . أين ؟ لا أدرى ولا أعتقد أن أحداً غيرى يدرى أين ذهب الأستاذ « ع » هو الوحيد الذى اختفى تماماً وغاب فى زحام البشر . أين ؟ لا أدرى ولا أعتقد أن أحداً غيرى يدرى أين ذهب الأستاذ « ع » بعد أن انفض مجلس قهوة محمد عبد الله ! ولكن زكريا الحجاوى قال بأنه عاد إلى قريته ليتولى منصب العمدة خلفاً لقريبه العمدة الذى مات . وأعتقد أن الخبر الذى أذاعه زكريا كان تشنيعة أكثر منه خبراً ، وأن تشنيعة زكريا كانت تحمل رأيه فى أكثر المناصب لياقة لمواهب واستعداد الأستاذ « ع » .

الفارس الآخر الذى اختفى فجاة من قهوة عبد الله كان الأستاذ « د » والأستاذ « د » كان ضابطاً فى الجيش ، ولكنه حوكم أمام محكمة عسكرية خلال حرب فلسطين وطرد من صفوف الجيش لأسباب ليس هنا مجال ذكرها . واضطر الأستاذ « د » إلى افتتاح دكان لكى وغسيل الملابس فى حي العجوزة ، وانتسب فى الوقت نفسه لكلية الآداب وراح يشق طريقه بالرغم من الظروف التعيسة حتى حصل على ليسانس الآداب ، وهنا ترك دكان الغسيل وعاد ليمارس حياته الجديدة كأديب واتخذ من قهوة عبد الله مكاناً مختاراً ومحطة انتظار لاصطياد فرصة لابد أن تسنح مهما طال الزمان ! ولكن الفرصة لم تتح قط . وكانت غلطة الأستاذ « د » الكبرى أنه تصور أن الأدب شهادة تعطى للإنسان من كلية الآداب . وكان يرى أنه أحق الناس بالشهرة والذيوع لأنه فوق كونه يحمل شهادة ليسانس الآداب ، فهو أيضاً من أقرباء واحد من أشهر وأعظم أدباء مصر كلها فى ذلك الحين . ولقد تصور الأستاذ « د » أن قرابته لهذا الأديب الكبير تمنحه الحق فى أن يصبح أديباً ، غير أنه اكتشف بالتجربة أن الأسلحة التى يحملها كانت أسلحة فاسدة . ففى مجال الإبداع الأدبى والفنى لا الشهادة تجدى ، ولا صلة القرابة بأديب عظيم تفيد . ولذلك تذوق مرارة الفشل فى كل التجارب التى خاضها ، كتب قصصاً قصيرة لم يقبل أحد نشرها على الإطلاق . وكتب شعراً فشل حتى فى إقناع الأصدقاء بالإنصات إليه . ثم راح يشيع أنه يكتب رواية ، ولكنه لم يبدأ فى كتابة سطر واحد من هذه الرواية حتى مات . ولكنه فجأة اكتشف أن أحد أبناء دفعته فى الكلية الحربية قد صار مسئولا كبيراً . ولما كان هذا المسئول يشتغل أيضاً بالصحافة ، فقد أسندت إليه القيادة العامة مهمة الإشراف على إحدى المجلات الأسبوعية . ولذلك أسرع الأستاذ « د » إلى صديقه الذى كان عند حسن الظن به . فعينه محرراً بالمجلة التى يشرف عليها ، وأشاع الأستاذ « د » أنه قد عهد اليه بالإشراف على المجلة وأنه المسئول الوحيد عن توجيهها ورسم سياستها ، وراح يشكو لكل معارفه من جسامة المسئولية وإرهاق العمل . واختفى الأستاذ « د » من قهوة محمد عبد الله . ولكنه كان لا يكف عن تكرار شكواه كلما التقى بزميل من زملاء الندوة فى الطريق العام . ولكن كل شيء انكشف فجأة عندما حضر صديقه المسئول ذات مساء إلى القهوة ليعرف من عبد الحميد قطامش سر تغيب الأستاذ « د » مدة أسبوعين كاملين دون أن يترك رسالة لأحد . ولكن قطامش الذى كان يجهل هو الآخر سر غياب الأستاذ « د » برر غيابه بثقل المسئولية الملقاة على عاتقه ، وخطورة المهمة التى يضطلع بها الأستاذ « د » فى إدارة سياسة المجلة والإشراف على تحريرها . وأبدى ذلك المسئول اندهاشه الشديد لتصور قطامش الخاطىء . وراح يشرح لمن كانوا يحضرون الندوة تلك الليلة كيف فشل الأستاذ « د » فى كل عمل أسنده إليه . وكيف أنه لم ينجح فى كتابة موضوع واحد يصلح للنشر . لذلك عهدوا إليه بتلقى خطابات القراء وفرزها ثم توزيعها على أقسام المجلة ، وأن هذا العمل فقط هو مهمة الأستاذ « د » فى المجلة التى يعمل بها . وعندما علم الأستاذ « د » أن صديقه المسئول حضر إلى قهوة عبد الله وأنه كشف سره ، اختفى تماماً وظل حريصاً على أن يبقى بعيداً عن شلة أدباء قهوة عبدالله حتى مات !

* * *

ثالث الفرسان الذين اختفوا فجأة كما ظهروا فجأة ، هو شاعر بقى موجوداً فى المجال الأدبى والفنى حتى مات ، وهذا الأديب الشاعر هو من شلة الشباب الذين يمثلون الجيل الثالث فى ندوة قهوة عبد الله . والتى كان من بين أعضائها الشاعر صلاح عبد الصبور والناقد رجاء النقاش والشاعر أحمد عبد المعطى حجازى . هؤلاء حضروا إلى القهوة بعد عشر سنوات من حضور الجيل الثانى الذى كان من بين أفراده حسن فؤاد ويوسف إدريس وفتحى غانم والعبد لله . ولكن هذا الشاعر لم يكن فى شعره يفصح عن أى اتجاه أو يشير إلى أى موقف ولكنه كان يقول شعراً حديثاً عن حبيبته التى ذهبت أو حبيبته التى ستعود ! وكان أنور المعداوى قد تنبأ له بمستقبل طيب وسعى لنشر انتاجه فى بعض المجلات . وذات يوم من أيام شهر فبراير عام ١٩٥٩ حضر إلى القهوة مساء وأعلن أنه اختير ليسافر فى بعثة إلى الاتحاد السوفيتى ، وتحمس بعض الجالسين فعبروا عن سرورهم بكلمات قصيرة فى تحية ذلك الشاعر ، وللمستقبل الزاهر الذى يرجونه للشاعر الشاب . كان من بين الذين تكلموا فى هذه المناسبة أنور المعداوى وزكريا الحجاوى والدكتور القط ومحمود شعبان والعبدلله . وانفعلت أكثر فنشرت الكلمات التى قيلت والمناسبة التى قيلت فيها فى مجلة روز اليوسف وتمنيت له رحلة سعيدة وإقامة طيبة فى موسكو ونجاحاً باهراً فى تحقيق الهدف الذى يرجوه . وكم كان أسفى شديداً عندما علمت أن الشاعر طاف القاهرة كلها يحمل عدد روز اليوسف صائحاً بغضب شديد مؤكداً للجميع أننى ما قصدت بهذه السطور إلا الإبلاغ عنه ولفت نظر السلطات إليه ليمنعوه من السفر إلى موسكو ! فى تلك الفترة من حياة مصر كانت الحملة قد اشتدت على الاتحاد السوفيتى وضد الأفكار المتطرفة ، وكان عبد الكريم قاسم قد شرع فى خوض معركة ضد القوميين فى العراق وعلى مستوى الوطن العربى .

ونشبت معركة ضارية بين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم . وبعد وقوع مذبحة الموصل



قامت السلطة المصرية بإعتقال ثلاثة آلاف شخص ، وكان قرار الاعتقال يأمر بالقبض على « الشيوعيين والمتعاطفين معهم والذين يتواجدون معهم لحظة القبض عليهم .. » ، وألقت السلطة القبض على لويس عوض وكان مديراً عاماً لإدارة الثقافة بوزارة الثقافة ، وعلى الدكتور عبد الرزاق حسن وكان مستشاراً اقتصادياً برئاسة الجمهورية ، وكان بين المقبوض عليهم عشرات من الفنانين والصحفيين والكتاب . وبلغ عدد المقبوض عليهم من مؤسسة روز اليوسف أحد عشر شخصاً من بينهم العبدلله . وبالرغم من اتساع قرار الاعتقال إلى حد اعتقال أشخاص لم يكن لهم أدنى صلة بالحركات المتطرفة ولا بالسياسة أصلا : إلا أن القائمة خلت من اسم ذلك الشاعر الذى أتحدث عنه . ليس هذا فقط ، بل إنه بعد حركة الاعتقالات بثلاثة أشهر كاملة سافر الشاعر إلى موسكو . فى الوقت الذى كان مجرد ذكر لفظ موسكو على لسان إنسان كفيلا بنفيه إلى الواحات الخارجة .

والعبدلله هنا يذكر حقائق ويسرد وقائع دون أن أقصد من وراء ذلك الوصول إلى نتائج أو إصدار أحكام . ولكننى فقط أردت أن أكشف عن أوهام كثيرة سادت حياتنا الثقافية والأدبية فى فترة من الفترات .

ولقد اختفى الشاعر فى موسكو سنوات طوالا . وعندما عاد لم يكف عن توزيع الاتهامات هنا وهناك على كثيرين من الكتاب الشرفاء .. وباعتباره مندوب التقدمية الأوحد . ولذلك دهشت دهشة شديدة عندما مرض الشاعر مرضاً خطيراً وأشرف على الموت أثناء زيارة له إلى إحدى العواصم العربية . وتدخلت السلطات فى تلك العاصمة لإيفاد الشاعر إلى موسكو للعلاج . غير أن الحكومة الروسية رفضت دخوله إلى اراضيها ، وبدون إبداء الأسباب ! ولم أربط بالطبع بين رفض الحكومة السوفيتية لعلاجه ، وسفره السابق المفاجىء إلى موسكو وسط حملة عاتية أطاحت بكل الأدباء والمثقفين وألقت بهم إلى المنافى والسجون .

المهم أن الشاعر اختفى فجأة من حياة قهوة عبد الله بسفره إلى موسكو ، وعندما عاد كانت قهوة عبد الله قد اختفت من الوجود .

محمود السعدنى



من : أكرم زعيتر

استدراكات حول قصّة الأمريكي الذي

قرأت فى « الدوحة » العدد ١٠٩ مقال الدكتور السيد فهمى الشناوى عن « جمعية الرابطة الشرقية » فحمدت له نشر هذه الصفحة الجريئة من تاريخنا المعاصر وما فيها من تذكير بذوي السابقة من أركان « الرابطة الشرقية » وخدمتهم القضايا العربية . ولي ملحوظات واستدراكات أبديها مع تقديرى للكاتب الفضال وإعجابى بذاك المقال :

أولا : أن ميشيل لطف الله وحبيب لطف الله ، اللبنانيين ، المقيمين فى مصر قد منحهما الشريف الحسين بن علي لقب الأمارة ولم يعينهما سفيرين فى لندن وباريس ، ولم يكونا مستشاريه السياسيين باستمرار وكان منحهما لقب الإمارة تقديراً لخدمتهما القضية العربية وتألفاً لقلوب النصارى العرب المشتغلين فى الحركة العربية .

ثانياً : وفى المقال ان المستر كراين سفير أمريكا فى الصين ، رئيس اللجنة الأمريكية الى الشرق الأوسط للاستطلاع قبل مؤتمر الصلح قد جاء مصر سنة ١٩٢٢ وان الموت عاجله ..

والواقع ان الرئيس الأمريكي ولسون اقترح ارسال لجنة تحقيق الى سورية كلها (سورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن) مؤلفة من ممثلى الحلفاء للوقوف على رغبات السكان وتقديم تقرير الى مؤتمر الصلح . واختار الرئيس ولسون للجنة الدكتور كنغ والمستر كرين .. ولكن الانكليز والفرنسيين والصهيونيين لم يلبثوا أن قاوموا فكرة ايفاد لجنة تحقيق ليقينهم بأن نتيجة الاستفتاء لن تكون فى مصلحتهم الاستعمارية ، وامتنعت بريطانيا وفرنسا عن اختيار مندوبيهما ، ولكن الرئيس ويلسون أمر مندوبيه بالسفر ودعيت اللجنة باسم عضويها أى « لجنة كنغ ــ كرين » King-Crane Commission وأجرت اللجنة الاستفتاء صيف سنة ١٩١٩ وعادت فقدمت تقريرها الى وفد الولايات المتحدة لدى مؤتمر الصلح وقد جاء فيه أن الرأى متفق فى سورية كلها على المطالبة بالاستقلال ورفض الحماية فى ثوب الانتداب .. وأعربت اللجنة عن اقتناعها بأن الصهيونية اعتداء شنيع على حقوق الشعب وشذوذ عن المبادىء التى اعلنها الحلفاء والرئيس ويلسون .. وطبيعي الا يروق هذا التقرير الحلفاء فاتفقوا على حفظه واهماله » .

ولم يمت المستر كرين سنة ١٩٢٢ كما توهم الكاتب المفضال ، فقد زار سورية بعد ذلك وسارت فى دمشق مظاهرات ترحيب به ، وكانت تلك المظاهرات انطلاقة حركة وطنية أدت الى محاكمة بعض زعماء سورية وشبانها والحكم عليهم بالنفى الى جزيرة أرواد وبالسجن سنوات ..

نعم انه لم يتوف سنة ١٩٢٢ ، وقد اجتمعت به فى القاهرة سنة ١٩٣٨ ، وفى « يوميات أكرم زعيتر » الذى تولت مؤسسة الدراسات الفلسطينية نشره قلت ما يلى اعيده تحية لذكرى هذا الرجل الذى أحب العرب وخدمهم :

« ٢٥/١٠/١٩٣٨ ــ ٢ رمضان ١٣٥٧ : تلفنت لي السيدة هدى شعراوى تقول : « سأجمعك الليلة بالمستر كرين Mr. Crane . تعال عند الإفطار نتناول الشوربا ، وما نفطر به . ثم يكون العشاء مع المستر كرين » .

وحان موعد الفطور فتناولنا شراباً من (قمر الدين) وبعض نقول . ثم جاء المستر كرين ومعه ولده جون والأستاذ جورج انطونيوس (مؤلف كتاب يقظة العرب) وعقيلته وعونى بك عبد الهادى وعقيلته وأجرت هدى هانم التعريف بيننا .. » الى ان قلت : « وحدثت كرين عما نعرفه

الرابطة الشرقية
أحبّ العرب وخدمهم


ولسن

هدى شعراوى

عنه وعن تقريره وكونه قد دخل اسمه متلألئاً فى تاريخ قضيتنا ، وارتسمت على وجه هذا الرجل ابتسامات . ولكن مسحة حزن لم تكن تبارحه ، وظللت فى أثناء الطعام اسأله وأستدرجه الى الحديث من غير اثقال عليه ، فكان يأنس بالحديث ويستجيب بافاضة . ومما علمته منه حزنه الشديد لأن تقريره وزميله الدكتور كينغ لم يعمل به .

وقال لي فى سياق الحديث عن النهضة العربية : انه كان قد زار استانبول وفتش عن قبر جمال الدين الأفغاني ورأى انه لا يليق بالموقظ الأعظم . فشيد له ضريحاً لائقاً على نفقته من الرخام ، وقام بهذا نيابة عن جميع العرب والمسلمين ، وقد كلفه ستة آلاف دولار .. ورأيتنى أتأثر كثيراً وأكتم دمعى وهو يحدثنى كيف توفى ولده الأكبر وهو على أهبة السفر فلم يحل هذا دون السفر فور الانتهاء من دفن ولده . وبلغ التأثر مني ومنه مداه البعيد وهو يقول إنه أسرع بالحضور إلى الشرق خشية أن يلاقى منيته قبل وداع أحبائه فى البلاد العربية فهو يحس من الضعف والشيخوخة ما يجعله يعتقد أنه جاء يودع أصدقاءه الوداع الأخير لأنه لن يعود الى زيارة هذا القطر والبلاد العربية بعد الآن .. انه الوداع الأخير ، وقد ود لو يطول عمره ليرى فلسطين مستقلة . فعدت وأشرت الى منزلته لدى العرب وعرفانهم جميله وقلت له : إننا نعرف مبرتك فى ارسال بعثة فى فتاة عربية وعربيين الى الجامعات الأمريكية للدرس على نفقتك ، ونعلم ما بذلت من جهود فى اليمن لاستخراج المعادن وحسبك ان يذكر اسمك فى تاريخ قضيتنا وفى سيرة جمال الدين الذى تفضلت فاهديت صورته موقعة بخط يده الى المؤتمر الاسلامى العالمى المنعقد فى القدس سنة ١٩٣٠ » .

ولما نهضنا بعد العشاء وصافحته مودعاً أعرب عن سروره بمحادثتى ، وقد عددت هذا اللقاء يداً لهدى شعراوى علي .

ثالثاً : وفى مقال الدكتور الشناوى ان جمعية الرابطة الشرقية قامت بتوكيل محامين مصريين للدفاع عن عرب فلسطين المتهمين امام المحاكم الخاصة البريطانية فى فلسطين وكان من أبرز هؤلاء محمد علي علوبة باشا وتوفيق موسى باشا ومكرم عبيد باشا (والاسم الصحيح للمحامي الثاني هو توفيق دوس باشا) .. والأغلب أن الخطأ كان مطبعيا ولم يكن من الكاتب الفاضل .

والواقع ان لجنة دولية مؤلفة من سويدى وسويسرى وهولندى قد وصلت الى فلسطين فى مارس ١٩٣٠ موفدة من عصبة الأمم لدرس موضوع ملكية البراق أو حائط المبكى الذى كان السبب المباشر لثورة فلسطين سنة ١٩٢٩ فجاء من مصر للدفاع عن اسلامية البراق المرحومان محمد علي علوبة باشا وشيخ العروبة أحمد زكي باشا متعاونين مع المحامين الفلسطينيين الذين انتدبهم المجلس الاسلامى الأعلى وفى طليعتهم الأستاذ عوني عبدالهادى ، كما تقدم للشهادة امام اللجنة لمصلحة العرب والمسلمين من أعضاء الرابطة الشيخ الغنيمى التفتازاني ومهدى رفيع مشكي بك اللذان قدما من القاهرة لهذه الغاية .. وقد صدر تقرير اللجنة الدولية بعد ذلك مقرراً ملكية المسلمين للحائط (البراق) لكونه جزءاً من الحرم الشريف وكذلك ملكية الرصيف أمامه ..

رابعاً : وفى المقال ان المرحوم فهمي المدرس من فلسطين مع أنه من أعلام العراق ، ومن تونس عبدالحميد الثعالبي ، واسمه هو عبدالعزيز الثعالبي الزعيم التونسي الكبير .. وورد اسم « بلى كوى » ضاحية فى استانبول ولعله خطأ مطبعى لأن الاسم هو يني كوى .

وللكاتب تحيتى وتقديرى

أكرم زعيتر

الشاعر الأمي

الذي بهر كبار الشعراء



بقلم: عبدالرزاق البصير

من المعروف أن نظم الشعر يحتاج من القائم به الى معرفة بقواعد اللغة العربية وإلى معرفة بقواعد العروض والى إطلاع على ما نظمه الشعراء ، لأن الموهبة وحدها لا تكفى صاحبها . ولكن تراثنا الثقافى العظيم يحتفظ بأمور تفوق أوسع الناس خيالا ، وهذا من بعض مآثر هذا التراث ومفاخره .

ولعل هذا الشاعر البصرى الذى نود أن نتعرف عليه فى هذا الحديث يرسم ما أشرنا إليه من عجائب تراثنا العظيم . فقد قال جميع مؤرخيه إنه كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ وهو مع ذلك شاعر رقيق الشعر ينتزع إعجاب كل صاحب ذوق سليم لسهولة مأخذ شعره ، فهو لايكاد يذيع مقطوعاته حتى تسير على ألسنة الناس .

الخبّاز الشعبي

كان يمتهن مهنة الخبز فى مربد البصرة ، وكان يأخذ مادة خبزه من الأرز لرخص ثمنها مما جعله خبازاً شعبياً يقبل عليه الكثير من عامة الناس ، فكان لا يرى مخبزه إلا مزدحماً بالذين يشترون من خبزه والذين يستمعون إلى شعره ، وكان الناس فى أيامه يطربون للشعر أعظم الطرب ، ولا يفوتنا هنا أن نشير الى أن الذين كتبوا تاريخه ثقاة لايشك فى أخبارهم ، كالقاضى ابن خلكان وأبى منصور الثعالبى وياقوت الحموى والخطيب البغدادى وغيرهم من مؤرخى الأدب .. أجمع هؤلاء الأدباء والمؤرخون الثقاة على ما ذكرناه من أمية شاعرنا أبو القاسم « نصر بن أحمد بن نصر بن المأمون » ، وقد اشتهر بمهنته التى يمتهنها فكان يدعى بالخبز أرزى ، وأنت حين تقف على أخباره لا تجد منها إلا كل طريف مستملح ، فمن ذلك أن جماعة من أدباء البصرة ، منهم محمد بن لنكك وأبى عبد الله الأكفانى الشاعر وأبى عبد الله الْمُفَجّع وأبى الحسن السّماك التقوا فيما بينهم يوم العيد ، وأخذوا يتساقون كؤوس الأحاديث وينشدون الأشعار . قال ابن لنكك وكان من أشد الناس إعجاباً بشاعرنا الخباز حتى بلغ من تقديره له أنه كان يجلس عنده ويكتب ما يسمعه من أشعاره ، فلما اجتمع عنده نخبة من أشعاره ضم بعضها الى بعض وأذاعها بين الناس فكان ديوانه المعروف بين الأدباء والمؤرخين .

قال ابن لنكك لإخوانه الأدباء : أظنكم توافقوننى على أن أفضل ما نفعله هذا اليوم هو أن نقضيه عند هذا الخباز الذى وهبه الله ما لم يهبه إلا لقليل من الناس فوافقوه على ذلك وذهبوا إليه

وجلسوا عنده وهو يوقد السعف تحت الطابق . فزاد في الوقود حتى اسودت ثيابهم الجدد من كثرة الدخان . فنهضوا من عنده ساخطين عليه نادمين على جلوسهم حوله . وقد أحس شاعرنا أبو القاسم أن إخوانه قد سخطوا عليه . قال لأكبر اصدقائه منهم وهو ابن لنكك : متى أراك يا أبا الحسين ؟ فأجابه : إذا اتسخت ثيابي . وذهبوا جميعاً الى بيت أبي أحمد بن المثنى فلما استقر بهم الجلوس قال ابن لنكك : إن نصراً لا يخلى المجلس الذى مضى لنا معه من شيء يقوله فيه . ويجب أن نبدأه قبل أن يبدأنا . فاستدعى بدواة وكتب إليه :

لنصرٍ في فؤادى فرط حُبٌ
أنيفُ به على كل الصحاب
أتيناه فبخّرنا بخورا
من السعف المدخن بالتهاب
فقمت مبادراً وحسبت نصراً
اراد بذاك طردى أو ذهابي
فقال متي أراك أبا حُسين
فقلت له إذا اتسخت ثيابي

فلما وصلت الرقعة إلى نصرٍ أملى على من كتب له بظهرها هذه الأبيات :

منحتُ أبا الحسين صميم وُدّى
فداعبني بألفاظٍ عذاب
أتي وثيابه كالشيب بيض
فعُدن كريعان الشباب
وبغضي للمشيب أعدّ عندى
سواداً لونه لون الخضابِ
ظننتُ جلوسهُ عندى لعُرسٍ
فجُدت له بتمسيك الثياب
وقلت متي أراك أبا حسين
فجاوبني إذا اتسخت ثيابيّ
ولو كان التقزز فيه خيرٌ
لما كُني الوصيّ أبا تراب

فلما وصلت تلك الأبيات الى أولئك الأدباء أخذوا يقرؤونها ويعيدون قراءتها لما اشتملت عليه من نكات أدبية لا يتنبه إليها إلا من يملك ثروة من الثقافة ، فقد أحال سواد الدخان الى سواد الشباب ، وقلب بياض الثياب النظيفة الى بياض الشيب . والمعروف أن سواد الشباب عند الناس جميعاً أرجح من بياض الشيب ، وجعل سواد الدخان بمنزلة الخضاب . كما تضمنت تلك الأبيات اشارة الى كناية من كُنى الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ونعني بها أبا تراب .

ومن أخبار هذا الأديب الموهوب أنه خرج ذات أمسية يتمشى على شاطىء النهر ، يتملى مداعبة الموج الخفيف في شط العرب حينا ، وينظر الى السماء حيناً آخر واذا بعينيه تبصران الهلال يزين السماء فأنشأ يقول :

رأيت الهلال ووجه الحبيب
فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتي فيهما
هلال السما من هلال البشر
ولولا التورد في الوجنتين
وما راعني من سواد الشعْر
لكنت أظن الهلال الحبيب
وكنت أظن الحبيب القمر

ويبدو أن شاعرنا لم يكن مرتاح النفس لما كان يعانيه من ضيق في حياته الاقتصادية . فلنسمع إليه وهو يعبر عن ذلك في قوله :

وكان الصديق يزور الصديق
لشرب المُدام وعزف القيان
فصار الصديق يزور الصديق
لبث الهموم وشكوى الزمان

البصرة ومكانتها في تاريخ الأدب العربى

بقي أن نشير الى أن هذا الشاعر العربى الرقيق نشأ في المربد بالبصرة . وهو موضع يعتبر نادياً أدبياً كبيراً يقصده الناس من كل مكان لأنه من أكبر اسواقها الاقتصادية والأدبية . فيه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء ومنه تفيض شهرة الشاعر والأديب الذى يلقى فيها آثاره وأشعاره . وكم هو جميل ما تفعله الحكومة العراقية من إقامة مهرجان للأدب والشعر في هذا المكان الأثرى ، ثم تجمع ما يلقى فيه في كتاب تنشره على الناس ، وهو أمر يثرى فكرنا الحديث . أما الحديث عن مدينة البصره التى تحتوى على المربد فإنه حديث واسع لا يحتمله هذا المجال ، ويكفى أن نقول بأنها مدرسة عظيمة لها علماؤها وأدباؤها ومفكروها كأبي عثمان الجاحظ والخليل بن أحمد وغيرهما من الأدباء الذين لا يحصون عدداً .. والحق أن جامعة البصرة قد نهجت نهجاً يتلاءم مع تاريخ هذه المدينة العظيمة . إذ أنها اصدرت بحوثاً مستفيضة في تاريخ الخليج ، وما تزال تصدر مجلة تحتوى على بحوث أدبية ثمينة ..

فرحم الله أديبنا المكافح الذى كانت وفاته في سنة ثلاثمائة وسبع وعشرين على اختلاف في أقوال المؤرخين .

الكويت





لماذا يسمّيه خصومه باسم الثعلب الماكر وماهي أفكاره ومخاوفه؟!

• اسرائيل قد تتحول إلى دولة ثنائية القومية اذا تم ضم الضفة الغربية وقطاع غزة

• خلفيات بيريس: نضوب الهجرة إلى اسرائيل ــ الخوف من انشطار طائفي ــ تحول أوربا الغربية إلى تأييد منظمة التحرير الفلسطينية

بقلم: عصام شريح

وجهان لعملة واحدة .. هذان هما شمعون بيريس واسحق شامير، أو هذان هما حزبا العمل والليكود الصهيونيان، ولكن .. هذا ليس كل شيء، ولا نهاية القول، ولا فصل الخطاب، فقد تختلف الرؤية، وتتعارض الاستراتيجيات، وتفترق التكتيكات أو تتناقض، وإن كان الهدف الأساسي هو ترسيخ الكيان الصهيوني فى أرض فلسطين العربية، واغتصاب مزيد من الأرض، ليصبح الكيان امبراطورية تمتد من الفرات الى النيل!

لذلك كان هذا الحديث عن شمعون بيريس، رئيس حكومة العدو الصهيوني .. لأن بيريس يمثل فعلياً مدرسة الفكر السياسي الصهيوني البراجماتي والمكيافيلي، وهو الفكر الأكثر خطورة من فكر المدرسة «التوراتية» التي يجسدها اسحق شامير زعيم حزب الليكود حالياً، لأن هذه المدرسة أكثر قدرة على اجتياز المصاعب والعقبات التى قد تبرز امام الصهيونية بين مرحلة وأخرى.

طروحات بيريس

يتناول شمعون بيريس فى أفكاره، المشاكل الآنية التى تعانى منها «اسرائيل»، أو تلك التى قد تنشأ امامها على المدى البعيد نسبياً. وهذه الأفكار تتسم بالتبسيط والحذلقة السياسية أكثر من اتسامها بالعمق الفكرى.

يشير بيريس، أولا الى الفوارق بين حزب العمل الذى يرأسه حالياً، وبين حزب الليكود، فيقول: «لقد سعى الليكود الى إحلال السيادة على ضفتي الأردن، ثم سلم بفقدان ضفة واحدة، وهو يحاول الآن أن يضم كل «يهودا والسامره» ــ الضفة الغربية المحتلة ــ وقطاع غزة، الى «اسرائيل»، دون أن يأخذ بعين الاعتبار، أن هذه المناطق مأهولة بسكان عرب .. اما المعراخ



شمعون بيريس.. يصفه خصومه السياسيون بأنه رجل دولة بائس، يخلو من البريق.. بينما يتهمه آخرون بأنه مجرد ثعلب ماكر

(حزب العمل) . فيؤمن «انه من أجل أن تبقى اسرائيل يهودية وديمقراطية ، عليه أن يمتنع عن ضم مليون وثلاثمائة ألف عربي الى «أراضي اسرائيل» ولمنع ذلك فهو على استعداد للتنازل عن مناطق ، شرط ألا يمس ذلك بأمن اسرائيل» .. ويضيف بيريس أنه «على استعداد لتسليم اجزاء من الضفة الغربية المحتلة الى حكم عربي ، شرط أن تكون هذه الأجزاء منزوعة السلاح» .

وبالنسبة للقدس ، يقول بيريس انه «سيكون باستطاعة «اسرائيل» ، فعل شيء ما رمزي » للاستجابة الى توقعات العرب» . اما بالنسبة للمستوطنات والاستيطان في الأراضي العربية المحتلة ، فيشير : الى انه في حال تسلمه الحكم (وها هو قد تسلم منذ ايلول ـ سبتمبر الماضي) ، فسيعمد الى وقف بناء مستوطنات جديدة «في المناطق المكتظة بالسكان العرب !!» : «ولن نمس المستوطنات القائمة ، لأنه ليس هناك سبب يدعو الى عدم وجودها تحت سيادة غير يهودية ، فهناك الآن قوى عربية تحت سيادة غير عربية» .

ويعترف بيريس ، بوجود قضية فلسطينية !! ولكن .. ليدعو الى حلها خارج اطار منظمة التحرير ، زاعماً أن حل هذه القضية يمر عبر الأردن فقط ، ويقول في زعمه هذا «إن الأردن يمر في عملية صيرورة نحو دولة فلسطينية ، واذا اشتملت المملكة الأردنية على معظم سكان الضفة الغربية وغزة ، فستكون هناك دولة فيها مليونان ومائتا ألف فلسطيني ، أي معظم الشعب الفلسطيني ، ومعظم سكان الدولة الأردنية الفلسطينية !!» .

اما الطريق الى هذا الحل ، كما يراه بيريس ، فيمر عبر ثلاث خطوات هي :

١ ـ تطبيق الحكم الذاتي للفلسطينيين ـ كما ورد في اتفاقية كامب ديفيد ـ في قطاع غزة في المرحلة الأولى ، «فالوضع في قطاع غزة ، أقل تعقيداً مما هو عليه في الضفة الغربية ، في غزة لا توجد مشكلة كمشكلة القدس ، ومساحة القطاع أصغر من مساحة الضفة ، وليس هناك داع لكي تقدم «اسرائيل» تنازلات إقليمية كبيرة !» .

٢ ـ اجراء انتخابات للمجالس البلدية في «يهودا والسامرة» ـ الضفة الغربية المحتلة ، وباستطاعة الممثلين المنتخبين ان يكونوا في المستقبل جزءاً من فريق المفاوضات مع اسرائيل في اطار الوفد الأردني .

٣ ـ دعوة الأردن للمشاركة في «مفاوضات السلام» .

ومع ذلك ، فإن بيريس لا يخفي مخاوفه من ان يتطور مشروع الحكم الذاتي الى دولة فلسطينية في المستقبل ، ويقول بهذا الصدد : «إن «اسرائيل» لا تملك ما يكفي من الكوابح للتحكم في التطورات ، لا في حالة تحقيق مشروع الحكم الذاتي ، ولا في حالة فشله ، فإذا تم فعلاً انتخاب سلطة الحكم الذاتي ، فكيف يمكن كبح الاعتراف الدولي بسلطة الحكم الذاتي ، بصفتها حكومة ذات سيادة لدولة فلسطينية ؟؟ وإذا فشل المشروع ، فإن كل أصابع الاتهام ستوجه نحو «اسرائيل» التي بادرت الى طرح مشروع الحكم الذاتي» .

ومن هذا المنطلق ، يدعو بيريس الى إبعاد منظمة التحرير الفلسطينية عن مائدة المفاوضات ، «إذ أن المنظمة تسعى لتحطيم هذه المائدة ، وليس الجلوس حولها .. وسياستها هي تجنب القرارات السياسية ، لأن هدفها هو المحافظة على وحدتها ، حيث لا يمكنها الاتحاد حول سياسة واضحة .. اما الاعتدال في مواقف المنظمة ، فيقصد منه في الحقيقة ، كسب الوقت ، وتجنب اتخاذ القرارات ، في حين أن المطلوب من المنظمة ليس الاعتدال ، وانما اتخاذ قرارات ، وهي غير مستعدة لذلك» .

ويشدد بيريس على أهمية ان تظل «اسرائيل» حازمة في موضوع منظمة التحرير الفلسطينية «التي تحاول خداع العالم بقصصها الخيالية عن الاعتدال» ، لماذا ؟؟ .. «لأن تراجع «اسرائيل» امام المنظمة ، سوف يؤدي الى تراجع أمريكي أكبر ، الأمر الذي سيضع في يد الأردن مبرراً لرفضه الانضمام الى المفاوضات !» .

مفهوم بيريس للسلام !

اما عن مفهوم بيريس «للسلام» ، فهو مفهوم سياسي عسكري ، «ومعناه السياسي ، انه يضع نهاية للحرب .. اما معناه العسكري ، فهو الانتصار في الحروب ، إن لم يكن هناك بديل عنها !!» . ويضيف بيريس ان مفهوم «أمن اسرائيل» ، سيقف على ساق واحدة ، هي الساق العسكرية ، إذا تم فصله عن المجهود السياسي» ، اي أن بيريس يشدد على أهمية السياسة والعمل السياسي المستند الى فن المناورة والخداع ، في تحقيق الأهداف الصهيونية ، للانتقال من مرحلة الى أخرى في مخطط التوسع والاحتلال العسكري . كما أنه لا يخفي تشاؤمه من امكانية تحول «اسرائيل» الى «دولة ثنائية القومية» ، إذا تم ضم الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين الى الكيان الصهيوني ، ولذلك فهو يقول : «إن سياسة سد الطريق أمام المفاوضات ، لا تغلق درب السلام فحسب ، ولكنها تدمر الفكرة الصهيونية ، إذ أن ضم مليون وثلاثمائة ألف عربي (عرب الضفة والقطاع أكثر من مليون ونصف مليون مواطن) ،



سيجعل من « اسرائيل » دولة ثنائية القومية ، حيث ستتنافس القومية العربية مع « القومية اليهودية » فيصبح العرب هم الأكثرية دون منازع .. والأكثر من ذلك ، أننا لو قررنا اعطاء سكان المناطق المحتلة ، الحقوق السياسية ، فمن المكن ، أن نفقد أكثريتنا البرلمانية ، حتى قبل أن يتمكن العرب من أن يصبحوا أغلبية السكان . كما أن امتناعنا عن اعطائهم هذه الحقوق ، سيجعلنا في موقف مثل موقف جنوب أفريقيا ، في نظر أنفسنا ، ونظر يهود العالم ، ونظر العالم بأسره » .

برنامج « المعراخ » الانتخابي

وآراء شمعون بيريس ، بمجملها لا يمكن فصلها عن الآراء التى تصدر عن حزب العمل الذى يترأسه حالياً ، بل ان هذه الآراء هى صدى لآراء بيريس في الواقع ، ولالقاء مزيد من الأضواء على أفكار شمعون بيريس ، لابد من العودة الى طروحات حزب العمل ، كما وردت في برنامجه الانتخابي (الانتخابات الاسرائيلية الأخيرة جرت في ٢٣ ــ ٧ ــ ١٩٨٤) ، ومن أهم الفقرات التى وردت في ذلك البرنامج ما يلي :

فيما يتعلق بالموضوع السياسي ، ورد في مقدمة البرنامج ، ان الأمن هو مقياس أى تسوية سياسية مع الأردن والفلسطينيين ، وعلى « الحدود » الشرقية ، يستدعى الأمن سيطرة الجيش الاسرائيلي على نهر الأردن ، وعدم السماح لجيش « أجنبي » أى عربي ــ باجتيازه غرباً .

وتحدد مقدمة برنامج حزب العمل « المعراخ » ، ثلاث « لاءات » وثلاث « نعمات » لحكومة المعراخ . (لم يتمكن حزب العمل من الفوز بأكثرية مقاعد الكنيست ، فلجأ الى تشكيل حكومة ائتلافية مع حزب الليكود وغيره) ، وهذه « اللاءات » و « النعمات » هى : لا للعودة الى حدود عام ١٩٦٧ ــ نعم لحدود قابلة للدفاع عنها ، لا لمنظمة التحرير الفلسطينية ــ نعم لمفاوضات مع الأردن والفلسطينيين (وفد مشترك يضم فلسطينيين من الأراضي المحتلة فقط) ، لا لضم « المناطق » المحتلة بسكانها ــ نعم للمحافظة على الطابع اليهودى والديمقراطي « لدولة اسرائيل » .

وفيما يتعلق بحل القضية الفلسطينية « في المناطق المحتلة ــ حسب تعبير برنامج المعراخ » ، بمختلف جوانبها ، ينبغي ، ويمكن أن تجد لها حلا في اطار « أردني ــ فلسطيني » ، وستمتد هذه الدولة على مجالات الأراضي التابعة للأردن ، التى تسكنها أكثرية فلسطينية ، وعلى مناطق مزدحمة السكان في « يهودا والسامرة » وغزة ، التى ستخليها قوات الجيش الاسرائيلي ، مع إحلال السلام !! » .

ومع ذلك فإن البرنامج يؤكد على معارضة انشاء دولة فلسطينية بين « اسرائيل والأردن » . وهاجم برنامج المعراخ ، منهج حزب الليكود ، القائم على الشعار السياسي « ولاشبر » ، وقال إن سياسة « لن نعيد شبراً واحداً من المناطق المحتلة » ، تحبط كل امكانية « للسلام » في المستقبل ، ومن شأنها تحويل « اسرائيل » الى كيان ثنائي القومية » بيد أن برنامج المعراخ كان واضحاً في اعتماد سياسة المناورة بدلا من سياسة التصلب » حيث قال : إن « اسرائيل » ستكون مستعدة للتباحث مع الأردن وممثلين فلسطينيين من « يهودا والسامرة » وغزة ، بشأن ترتيب لفترة انتقالية على الطريق « للوصول الى « اتفاق سلام » ، يقوم على بلورة أسس وشروط للفترة الانتقالية » في مفاوضات تستند الى « اتفاقية كامب ديفيد » ، أو مشروع آخر يتم الاتفاق عليه بين الطرفين .

وفي موضوع الاستيطان ، ورد في البرنامج أن « حكومة المعراخ » ، ستستأنف المجهود الاستيطاني في غور الأردن ، غوش عتسيون ، ضواحي القدس ، جنوب قطاع غزة وهضبة الجولان ، كما ورد فيه ان حكومة بقيادة المعراخ ، لن تنشىء مستوطنات في الأراضي المحتلة ، التى لا يزمع ان تكون تحت « السيادة الإسرائيلية » ، ولن تنشىء مستوطنات يهودية في المناطق المأهولة بالعرب ، بيد أنها ستصر على ضمان عدم ازالة مستوطنات يهودية ، في أية « تسوية سيادة » يتم الاتفاق عليها مع الأردن » ، وباستطاعة هذه المستوطنات ان تبقى في مكانها ، على أن تضمن سلامتها وأمنها ! » واما بالنسبة للمدينة المقدسة ، فإن برنامج المعراخ ، كان صريحاً في التمسك باحتلال المدينة ، فقد ورد فيه « أن القدس الموحدة هي عاصمة اسرائيل ، وانها مقر رئيس « الدولة » والكنيست والحكومة والمحكمة العليا .. وسوف تمنح الأماكن المقدسة للاسلام والمسيحية في القدس ، مكانة خاصة ، وسوف تدار بصورة مستقلة !! » .

حذار سياسة الثعلب

إن سياسة المناورة » ، واعتماد التكتيكات المخادعة ، واضحة في أفكار بيريس ، وإن كانت « البراجماتية » غير مستبعدة تماماً من هذه الأفكـار ، لأنه عندما تنكشف سياسة المناورة ، ولا يعود التكتيك قادراً على امتصاص الأزمات ، أو تجاهلها ، فإن « البراجماتية » هى المنهج الوحيد الذى يبقى سيد الموقف .

وإذا كان لابد لنا من هذا التقديم ، لفهم ما يدور في فكر شمعون بيريس ، بل وجميع أقطاب حزب العمل ، فإنه يتوجب علينا أن نتلمس الخلفيات التى قادت بيريس وغيره من الصهاينة ، للخروج علينا بأفكار تبدو براقة ومفاجئة في مظهرها ، ولا تخلو من العنصر « البراجماتي » أحياناً .

في كتابه « قوة الانتصار » يقول بيريس : « إن الفرق كبير وشاسع بين الحلم والواقع ، ومثل جميع الأحلام ، فإن الحلم الصهيوني كان مزيجاً من السذاجة والبراءة ، فلم يكن هذا الحلم قد أخذ بعين الاعتبار بغض العرب وتهديداتهم .. وكان الصهيونيون يعتقدون « باخلاص » ، أن العرب سيستقبلون فكرة اقامة « دولة يهودية » « بروح أخوية » !! .. وكانوا يرون أن الصهيونية ستكون محركاً للتطور الاقتصادى العربي !!! .. ولقد ولد الحلم الصهيوني في نفوس يهودية ، لها رؤية محدودة عن طريقة عيش وحاجات سائر يهود العالم » .

ويضيف بيريس « إنه بعد ثلاثين سنة ــ الآن بعد سبعة وثلاثين سنة ــ من قيام « اسرائيل » ، تغير المجتمع والاقتصاد والدولة ــ فقد نجحت « اسرائيل » في حقل الزراعة والحقل العسكرى ، لكنها تجد نفسها اليوم أمام صعوبات جدية ، إنها تعاني من آفتين : آفة التضخم النقدي ، وآفة الانتاج الذى لما يزل دون مستوى حاجاتها ، حيث تنفق « اسرائيل » كل عام أربعة مليارات من الدولارات ، وهى انفاق يفوق قيمة انتاجها ، اضافة الى أن ميزانيتها العسكرية تبلغ ثلث الميزانية العامة ، كما أن مقتضيات « الدفاع » وحدها ،

تمتص ثلاثين بالمائة من مجموع قوتها العاملة » .

يضيف بيريس الى ذلك الانقسامات والنزاعات الحادة بين الإسرائيليين أنفسهم ، فيقول « إن الانقسامات تأخذ شكلا ناتئاً أو بارزاً في « اسرائيل » ، بسبب انتماء الاسرائيليين الى فئات متباينة ، ففيها الغني والفقير ، واليهودي الأفريقي واليهودي الأوروبي وفيها اليهودية المتعصبة أو المتشددة ، واليهودية المتحررة ، ولا تنس الخلافات السياسية العرقية ، ففي « اسرائيل » يهود من الشرق والغرب ، ولكل فريق خصائصه الذاتية ، الناشئة عن الأرض التي جاء منها ، ولليهود المتدينين رأي في شكل « الدولة » ومؤسساتها ، يختلف عن رأي اليهود العصريين ، اضافة الى الفروق الكبيرة في العقلية « والتطور الاجتماعي » بين ثلاثة ملايين ومائتي ألف يهودي ، وستمائة وخمسة وعشرين ألف عربي » .

وبالنسبة لتظاهر شمعون بيريس بالزهد في الحرب ، فاننا نلمس خلفية هذا الموقف في حديث ادلى به في عام ١٩٨٣ لصحفية « الجيروزاليم بوست » الاسرائيلية ، حيث قال : « ان الحروب في المستقبل قد تكون مختلفة بشكل كلي عن الحروب الحالية ، سواء بالنسبة للعرب ، او بالنسبة لنا (للاسرائيليين) ، وانا لا أقلل من اهمية وقيمة الاستعداد للحرب ، لكن يجب ألا نتجاهل حقيقة ، أنه إن لم تتغير حالة الحرب ، ووضع الاراضي المحتلة ، فان التكنولوجيا سوف تتغير ، والتحالفات مع القوى الخارجية يمكن ان تتغير كذلك .. إذ ليس من الصعب ادراك امكانية استخدام الصواريخ المتوسطة والبعيدة المدى ، في المواجهة القادمة ، وهذه الصواريخ مزودة بأجهزة الكترونية ، تمكنها من العمل ليل نهار ، ولا توقفها الجبال ولا الأنهار ولا تعوقها المسافات ... وعلى الذين يفضلون استراتيجية البدائل ، أن يستعدوا لما يحمله المستقبل في طياته . وألا يفكروا بالمصطلحات الاقليمية فحسب ، بل وبالمصطلحات التكنولوجية .. وليس هناك اخطر من مشكلة استراتيجيي السنة الماضية (اشارة الى مناحم بيجن والليكود وغزوهم للبنان) ، الذين اعتبروا الحرب بديلاً عن السياسة . فالواجب يقتضي عدم شن الحرب ، إلا اذا لم يكن هناك مفر من ذلك » .

وبالنسبة للاستيطان في الأراضي العربية المحتلة ، « وتحفظات » شمعون بيريس على سياسة

من أجل ٣ مليون يهودى في روسيا ترفض اسرائيل الدخول في أحلاف صريحة ضد السوفيت

لماذا يقول اسحق رابين عن بيريس : إنه متاور وكذوب ؟ !

« الليكود » بهذا الشأن ، فإننا نجد خلفية هذا الموقف واضحة ، في قول بيريس : « فنحن عندما نستوطن في « جبل جرزيم » — في الضفة الغربية المحتلة — فإننا لا نضيف ألف يهودي الى « اسرائيل » ، وانما نثير ضدنا عددا كبيراً من العرب ، فنخلق بذلك مشكلة أمنية متفاقمة ، تقع بثقلها على كاهل « الدولة » ، وبينما يمكننا صناعة العجة من البيض ، فإنه لا يمكننا صناعة البيض من العجة » . « إن الشيء المهم لدى الليكود هو « أرض اسرائيل » ، ولكن المهم لدى المعراخ هو استمرار وجود « دولة يهودية في « أرض اسرائيل » ! ! لكن أهم مسألتين في الخلفيات التي تحكم أفكار شمعون بيريس الحالية ، هما في اعتقادي ، مسألة نضوب الهجرة اليهودية من الخارج ، ثم مسألة تقلص الدعم الأوروبي للكيان الصهيوني ، واهتمام أوروبا الغربية بمنظمة التحرير الفلسطينية والتحاور معها .

وفي هذا الاطار ، نرى بيريس يقول : « إن مبادرات السلام الاسرائيلية ، يجب أن تعكس أيضاً المقاييس الحقيقية لأمن « اسرائيل » ، وفي رأيي — رأي بيريس — تشكل الهجرة اليهودية المقياس الأول ، لأنه لا مجال لتحسين أمن « اسرائيل » دون استمرار الهجرة إليها ، مثلما انه لا أمن « للشعب اليهودي » دون « دولة » اسرائيلية قوية .. ان ربع « شعبنا » يعيش في الاتحاد السوفييتي ، وقد تسجل أربعمائة ألف منهم للهجرة الى « اسرائيل » ، وان مصلحتنا العليا ، هي في إبقاء أبواب الاتحاد السوفييتي مفتوحة امام الهجرة .. ومن الواضح انه عندما نناقش العلاقات السوفييتية — الأمريكية ، فمن مصلحتنا تجنيد الولايات المتحدة الى جانب انقاذ اليهود السوفييت و« تحرير أسرى صهيون » ، قبل أن تتجند « اسرائيل » الى جانب الولايات المتحدة في صراعها العالمي مع الاتحاد السوفييتي .. وينبغي القول إن الأمريكيين قد تفهموا الأولويات الاسرائيلية ، وساعدوا في ذلك .. وان خروج مئات الألوف من اليهود من الاتحاد السوفييتي منذ عام ١٩٦٧ ، ما كان ليحصل لولا استعداد الولايات المتحدة لمساعدتنا . كذلك امتنعت الولايات المتحدة — لأسبابها الخاصة — عن مطالباتها بالانضمام الى حلف « معاد » للسوفييت ! ! ! » .

وتجدر الاشارة هنا ، الى أن تركيز بيريس على وجوب استمرار هجرة اليهود السوفييت ، يعود في بعض نواحيه ، الى المخاوف المتصاعدة لدى اليهود الغربيين (الاشكناز) ، من سيطرة اليهود الشرقيين (السفاراديم) — ومعظمهم من يهود البلاد العربية — على مقدرات السلطة والحكم في الكيان الصهيوني ، الأمر الذى يهدد بانشقاق « اسرائيل » الى كيانين طائفيين عرقيين .

اما بالنسبة لتقلص الدعم الأوروبي « لاسرائيل » ، فيقول بيريس بهذا الصدد : « اذا كانت مصلحة « اسرائيل » في أوروبا الغربية ، قد تركزت خلال الفترة ما بين ١٩٤٨ — ١٩٦٧ على المجال التسليحي ، فإنها منذ « حرب الأيام

الستة ، فصاعداً ، اخذت بالتركيز على المجال الاقتصادي ــ السوق الأوروبية المشتركة .. إن مصير الزراعة الاسرائيلية مرهون بحصولنا على شروط تفضيلية ، أو على الأقل مساوية ، لشروط المنتجين الزراعيين في أوروبا ، وذلك من أجل تسويق انتاجنا الزراعي .. كذلك فإن صناعتنا مرهونة الى حد كبير بعلاقتنا مع السوق الأوروبية المشتركة » .

ثم يضيف بيريس وبمرارة ظاهرة : « .. وها هي أوروبا عموماً ، تتحول أكثر فأكثر ، من تأييد اسرائيل ، الى تأييد منظمة التحرير الفلسطينية ! ويشكل هذا التأييد الأوروبي المتزايد للمنظمه ، ضغطاً على الموقف الأمريكي » . ثم يطرح شمعون بيريس السؤال التالي : « هل يمكن منع هذا التصور ؟ » ويجيب : « لست متأكداً من امكانية اعادة أوروبا الى المواقف التي تميزت بها فور انتهاء الحرب العالمية الثانية .. ولكنني مقتنع بإمكانية تحريكها الى نقطة تكون فيها مريحة أكثر لاسرائيل ، وأقل تمسكاً بمنظمة التحرير الفلسطينية مما هي عليه حالياً » .

ثم يقول : « لا أرى مبرراً لرفض الدور الأوروبي رفضاً قاطعاً ، في الوقت الذي نقرع فيه أبوابها الاقتصادية والسياسية .. وفي الواقع ينبغي أن نقترح على الأوروبيين اقامة مشاريع مشتركة ، سواء في « اسرائيل » ، أو في المنطقة (منطقة الشرق الأوسط) ، أو في العالم الثالث ، وتجنيد الجهد الأوروبي الى الجانب البناء الكامن في المستقبل ، وذلك بالطبع ، دون التوقف عن النضال ضد اقتراب مواقف أوروبا الغربية من مواقف منظمة التحرير الفلسطينية » .

وفي نطاق محاولتنا لتحديد الخلفيات التي تتحكم بأفكار شمعون بيريس الحالية ، فإننا نشير الى أن طرح ما يصفه « بالحل الأردني » للقضية الفلسطينية ، قد بات مناورة مكشوفة ، هدفها اثارة الخلافات بين العرب ، وخاصة بين الأردن والفلسطينيين ، علماً بأن الأردن أعلن أكثر من مرة ، انه لن يكون بديلا في أي حال من الأحوال ، عن منظمة التحرير الفلسطينية ، ويرمي بيريس كذلك من طرحه للخيار الأردني ، ان تكون ردود الفعل العربية عليه ، بما فيها رد الفعل الأردني ، سبباً كافياً للتنصل من أي تسوية ، والانسحاب من الأراضي العربية المحتلة ، واظهار « اسرائيل » في مظهر الحمل الوديع الساعي الى السلام ، ولكن لا مجيب .

ويبقى ان نشير أخيراً الى أن موهبة شمعون بيريس وقوته الأسياسية ، كما تقول صحيفة « هآرتس » (٣٠ ــ ٩ ــ ١٩٨٤) انما تكمن في براعته في التعامل مع الآخرين ، وحرصه الشديد على مراعاة كرامة الأشخاص الذين يتعامل معهم ، ثم في طول أناته الذي لا حدود له ــ على حد تعبير الصحيفة الاسرائيلية ــ بينما يصفه خصومه السياسيون بأنه رجل دولة بائس ، يخلو من البريق ، فيما يتهمه آخرون بأنه مجرد ثعلب ماكر ، وقد رد بيريس على هذا الاتهام الأخير بقوله : « انني سئمت من اتهامي بانني ثعلب » ، كما أن اسحق رابين ، يصفه في مذكراته ، بأنه كذوب ومناور ، وعلى أية حال .. فإن جميع أفكار شمعون بيريس ، تبقى في اطار المناورة والتكتيك ، وفي أحسن حالاتها في الإطار البراجماتي ، مادامت هذه الأفكار تنصب على تجاهل الشعب الفلسطيني وحقوقه في وطنه ، ومادامت ترفض اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني .

عصام شريح

* مـــن هـــو ؟ *

ولد شمعون بيريس في روسيا في عام ١٩٢٣ ، وهاجر الى فلسطين في عام ١٩٣٤ ، وتلقى تعليمه في تل أبيب . ثم أوفده حزب الماباي الذي كان عضوا فيه ، الى مدينة بال بسويسرا في عام ١٩٤٦ ، ليمثله في المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين ، وانضم بيريس الى عصابة الهاغاناه في تلك الفترة ، وفي عام ١٩٥٠ ، ترأس بعثة ارسلتها وزارة الحرب الصهيونية ، الى واشنطن ، حيث تابع دراسته في جامعة هارفرد ، كما تولى في الفترة من عام ١٩٥٣ وحتى عام ١٩٥٩ ، منصب المدير العام لوزارة الحرب ، حيث وجه جهوده ، لتدعيم الصناعة الحربية ، وفي عام ١٩٥٩ ، عمل نائباً لوزير الحرب ، وبقي في هذا المنصب حتى عام ١٩٦٥ ، وفي عام ١٩٥٩ أيضاً ، انتخب للمرة الأولى عضواً في الكنيست الصهيوني ، وما يزال نائباً فيه حتى اليوم ، وفي عام ١٩٦٥ ، انفصل بيريس عن حزب الماباي ، لينضم الى بن غوريون وموشى دايان في تشكيل حزب « رافي » ، لكن هذا الحزب لم يعمر طويلا ، فما لبث بيريس أن عاد ثانية الى صفوف حزب الماباي الذي أصبح اسمه حزب العمل . وفي عام ١٩٦٩ ، تولى بيريس منصب وزير دولة اضافة الى توليه مسؤولية إدارة الشؤون الاقتصادية في الأراضي العربية المحتلة ، وفي عام ١٩٧٤ تولى منصب وزير النقل والمواصلات ، وعقب حرب عام ١٩٧٣ ، حاول بيريس الوصول الى السلطة ، فقام بترشيح نفسه للحصول على تزكية حزب العمل له كرئيس للوزراء ، إلا انه خسر امام اسحق رابين بفارق ضئيل ، ودخل الحكومة الجديدة برئاسة رابين وزيراً للحرب ، وحاول أن ينافس رابين في روحه العدوانية ضد العرب ، فوجه سلسلة من الأعمال والهجمات العدوانية ضد المخيمات الفلسطينية في لبنان ، ومنذ انهيار حكومة حزب العمل في أواسط عام ١٩٧٧ ، وصعود حزب الليكود الى الحكم ، بقي شمعون بيريس يسعى بشكل مثابر ، للوصول الى قمة السلطة في الكيان الصهيوني ، الى أن واتته الفرصة في ١٣ ــ ٩ ــ ١٩٨٤ ، حيث أصبح رئيساً للحكومة بالتناوب مع منافسه السياسي اسحق شامير ــ زعيم حزب الليكود ــ وذلك بسبب إخفاق حزب العمل ، أو حزب الليكود ، في الحصول على أكثرية في الكنيست في انتخابات تموز (يوليو) الماضي ، تمكن أياً منهما من تشكيل حكومة بمفرده .



الطب الشعبي يعود من جديد

التداوي بالأعشاب حقيقة.. أم خيال؟

بقلم : الدكتور السيد فهمي الشناوي

انتقل العالم الغربى اليوم الى رحلة ما بعد التصنيع . وبدأت هناك دعوة الى « العودة الى الطبيعية » فى مجالات كثيرة ، حتى أن حزباً تألف فى المانيا أخيراً كل برنامجه هو اعادة الخضرة . ومن أوجه العودة الى الطبيعة أيضاً العودة الى الطب الشعبى أو الطب التقليدى .

وقد لاحظت هيئة الصحة العالمية هذا التطور منذ عام ١٩٧٧ ، فأصدرت قراراً ــ حثت فيه الحكومات على إعطاء قدر كاف من الأهمية للطب التقليدى أو الشعبى . وبعد اصدارها لهذا القرار باشرت جهداً للترويج للطب التقليدى على الصعيد العالمى . وعقدت عدة مؤتمرات لهذا الغرض ، وأصدرت عدداً خاصاً من مجلتها عن هذا الموضوع . وقدمت فيلماً ١٦ مللى مدته ٢٧ دقيقة تبيعه فى مقرها بجنيف وفى اليونيسيف بنيويورك وعنوانه « التداوى بالأعشاب حقيقة أم خيال » . وعقد فى أواخر عام ١٩٨٤ مؤتمر للجنة الخبراء بالصحة العالمية عن « دور الطب الشعبى فى الرعاية الصحية الأولية » .

وتقول نشرة الصحة العالمية « إنه من خلال العمل وإثبات الوجود فقط تستطيع منظمة الصحة العالمية أن تبقى فى خضم الأحداث وفى خضم التطور المثير الذى يمثل إحياء الطب الماضى ويساعد على جعل طب الحاضر أكثر انسانية !

والواقع أن الطب الشعبى كان هو الطب المتداول بين البشر طوال آلاف السنوات ولم يظهر الطب العصرى الا فى القرن الأخير فقط . وقد تطورت صناعة الدواء الحديث بحيث أصبحت هى الصناعة الثانية والتجارة الثانية بعد صناعة وبيع السلاح الحربى فى العالم كله . وسيطرت شركات تصنيع الأدوية على جانب كبير جداً من اقتصاد الدول المتقدمة . وكانت أيضاً عبئاً شديداً جداً على الدول النامية أو ذات الاقتصاد المحدود . وأحست بعض هذه الدول الأخيرة بأنها تصدر أعشابها وخلاصات نباتاتها الى هذه المصانع لتستوردها من جديد بأضعاف أضعاف ثمنها ، حتى أن بعض هذه البلاد ــ كمدغشقر مثلا ــ سنت قانوناً بعدم استيراد أدوية من الخارج إلا فى حدود لا تزيد عن دولار واحد عن كل مواطن لديها فى العام الواحد !

على أن الطب الشعبى أو التقليدى لا يشمل العلاج بالأعشاب فقط ولكنه يشمل عمل القابلة أو المولدة الشعبية وعمل المجبر الذى يجبر العظام المكسورة والمفاصل المردودة وعمل الممارس الشعبى للأمراض العقلية والنفسية .

ولعل أهم ميزة يتميز بها الطب الشعبى على الطب العصرى الى جانب رخصه المتناهى وقلة تكلفته ، هو أنه ينظر الى الانسان من نواح أخرى روحية ونفسية واخلاقية واجتماعية الى جانب الناحية العضوية . وينظر اليها جميعاً ككل متكامل وبطريقة انسانية خالية من الجشع المادى فى مظاهره المختلفة وأعبائه الباهظة ونتائجه المدمرة . ثم أنه يمارس فى أكثر مناطق العالم بعداً عن الحضارة والمدنية على ايدى جنود مجهولين . فإن الداية أو القابلة فى أعماق الريف الأفريقى أو الآسيوى تقوم بمهمة إنسانية قديمة يقوم بها اليوم طبيب الولادة فى مستشفى العاصمة الأفريقية أو الآسيوية أو الأوربية بثمن مادى باهظ جداً . إن كل أربعة من خمسة مواليد فى أفريقيا ولدوا على يد الداية أو القابلة ، ولولا هؤلاء الدايات اللائى يثق بهن أهل القرى تمام الثقة واللائى يراعين كل التقاليد والمفاهيم والعلاقات الانسانية والمحلية والأسرية لكانت الانسانية الآن معذبة غاية العذاب فى معظم قارات العالم !

ولا يظن أحد أن الطب الشعبى انما هو طب محصور فى أوساط فقيرة أو مناطق مهجورة من العالم . ففى أمريكا حالياً ٢٥٪ من الأدوية المصنعة الغالية الثمن هى أدوية من خلاصات أعشاب . وفى جامعة الينوى بشيكاغو بأمريكا استعداد لعصر ما بعد التصنيع وعصر العودة الى الطب الشعبى

وطب العلاج بالأعشاب . لقد اقامت هذه الجامعة «محطة» تنمو فيها الأعشاب الطبية فى ظروف متحكم فيها . وفى هذه المحطة يتم تشخيص العقاقير ثم بستلتها .

ويجب الا يغيب على الذهن أنه حتى فى أعظم المجتمعات غنى وتطوراً قد يلجأ بعض الناس إلى الاستشارة أو الاستعانة بالرأى فى حالة المرض من مساعدي الطبيب أو حتى العرافين أو المجلات الطبية الشعبية !

ولا عجب إذن أن تلجأ الصحة العالمية (W.H.O.) الى انشاء وحدة بحوث طبية حيوية معنية بشئون الطب الشعبى فى «مكسيكو» العاصمة لتقوم باجراء أبحاث دوائية وكيميائية ونباتية على نباتات معروفة لدى الحضارة الأزتيكية والمايانية وحضارات أخرى فى أمريكا الوسطى والجنوبية . وهذه الوحدة ــ من ضمن عدة وحدات تنوى مؤسسة الصحة العالمية نشرها ــ تستخدم أحدث طرق التحليل الكيميائى مثل الاستشراب (كررموتوجرافيا) السائل والغازى والرنين المغنطيسي والنظائر المشعة لفصل المواد ذات الفعالية فى الأعشاب العلاجية وتحديدها . ثم يتم تخزين هذه النتائج فى بنك للبيانات يعمل بالكمبيوتر ويمكن الحصول منه على الأسماء النباتية العلمية والأسماء الشعبية وطرق الاستعمال والأمراض التى يعالجها كل منها .

ويقول الدكتور «باترمان» كبير خبراء الصحة العالمية «ان الممارسين للطب الشعبى يعرفون الحياة بأنها وحدة تشمل الجسم والحواس والعقل والروح . ويصفون الصحة السليمة بأنها اكتمال الرفاهية الجسمانية والعقلية والاجتماعية والأخلاقية والروحية . وان التأكيد على الجوانب الأخلاقية والروحية هو الذى يعطى للحياة أبعاداً جديدة لنظام الرعاية الصحية . وهذا هو ماينقصنا الآن ونريد تحقيقه فى المستقبل» !

التداوى بالأعشاب

وفى أعظم المجتمعات تطوراً وغنى واعتماداً على أدوية أكبر الشركات الصناعية . لازالت الأعشاب هى مصدر أهم منتجات هذه المصانع . فمادة الديجوتوكسين التى تعالج القلب استخرجت من زهر نبات الكشاتبين عام ١٨٦٩ : وبعد ٦١ عاماً تم استخلاص مادة الديجوكسين عام ١٩٣٠ (أقراص لانوكسين !) .

وأما مادة المرادلفيا التى تعالج ضغط الدم والأرق وبعض الاضطرابات العقلية فقد استخرجت من

• صناعة الدواء أصبحت اكبر صناعة عالمية بعد صناعة السلاح

• فى مدغشقر : ممنوع استيراد الأدوية إلا فى حدود دولار واحد للمواطن الواحد فى العام الواحد

النبات الهندى المعروف باسم الراولة الثعبانية . ثم استخلص منه مادة الرزربين . وهى مادة مخفضة للضغط ومهدئة للأعصاب .

ومن نبات مدغشقرى اسمه العناقية الوردية استخلصت مادة اسمها «فنكوستين» وهى أفضل علاج معروف حتى الآن لسرطان الدم عند الأطفال وهو أبشع أنواع سرطان الدم !

أما نبات اللحلاج الخريفى فهو مصدر مادة الكولشيش وهى أقوى علاج للنقرس . وهى أيضا المادة التى استطاعت أن تشي للباحثين تركيب الكرموسومات والصبغيات داخل نواة الخلية الحية .

وأما نبات «ست الحسن» أو الخشخاش (بلادونا) فهو يستخدم فى استخراج مادة الأتروبين لتوسيع حدقة العين . وقد سمي النبات باسم ست الحسن لاستخدامه فى مواد التجميل حيث يحمر الخدود ويوسع حدقة العين ويمنع خروج العرق .

وهناك نبات الأفدرا المعروف فى جميع أنحاء العالم وهو الذى يعطى مادة الأفدرين المعروفة بتوسيع الشعب الهوائية والتى يعالج بها الربو الشعبى ، وكان أول استخدامه فى الصين .

ويعتبر البابونج من المسهلات الممتازة للامعاء علاوة على تخفيفه لحدة الالتهابات وتحقيقه توازناً هرمونياً عجيباً فى الجسم .

وأما الخلة فقد استحدثت فى مصر لتوسيع الحالب واسقاط الحصوات الحالبية والكلوية وكذلك استخدمت فى علاج الأمراض الجلدية كالبهاق !

وهناك نباتات أخرى معروفة محلياً لدى مجتمعات تسكن حولها وتسبب هذه النباتات تحكماً فى الطمث وتحكماً فى النسل .

وهناك العرقسوس وفيه مادة انتى كورتزينية تعالج قرحة المعدة بطريقة سليمة ورخيصة جدا .

وهناك الحلبة مخلوطة بالشيح كأحسن علاج للقولون العصبى . وهناك «حلف بر» السودانى كعلاج للحصو البولى . وهناك خشب الصندل ويتميز زيته بأنه أحسن مطهر ومسكن لآلام المجارى البولية .

ويوجد نحو خمسة آلاف نبات طبى لم تستخدم منها فى العلاج الا بضع مئات فقط . ولكن الآن بعد توفر وسائل التكنولوجيا الحديثة كالتحليل الكروتوجرافى (الاستشراب) والقياس الطيفى والرنين المغناطيسى والنووى أصبح ممكناً تحديد نوع المواد الكيميائية وكمياتها فى كل تلك النباتات الطبية !

وهكذا فإن أشكال الطب الشعبى مثل فصليات الجذور المسهلة ومنقوعات الأوراق والزهور المخفضة للحرارة واللنجات الزيتية المصنوعة من أعشاب مسكنة أو منبهة والخلاصات الخام المنظمة للطمث والنباتات المخفضة لسكر الدم والتى يمكن أن تؤخذ بالفم وفى الطعام وتسيطر على داء السكر تماما . والكمادات ومستحضرات التدليك المحتوية على مضادات للنزلة الوافدة (انفلونزا) كل ذلك وغيره سوف يصبح من علوم القرن القادم .

واضافة الى المضادات الحيوية والهرمونات سوف يكون علاج ابنائنا وأحفادنا بطريقة أفضل مما حظينا به . وسوف يمكن لدول العالم الثالث بالمستوى التكنولوجى الذى وصلت إليه تصنيع تلك الأدوية من نباتات تنمو فى أحراشها وغاباتها وصحاريها ، وبيعها بأرخص الأسعار مقارنة بشراء الدواء الأوربى . وأهم من ذلك كله سوف تتلاشى تماماً الفجوة بين الطب الشعبى والطب العصرى .

موقف الدول من الطب الشعبى

وإذا نظرنا الى اهتمامات بعض الدول بالطب الشعبى لوجدنا أن الصين تمارس حتى اليوم العلاج بالابر الصينية وتعتبرها نوعا من الطب الشعبى الخاص بها . كما أنها تعالج بعض الأمراض بالأعشاب دون الخلاصات !

وفى فيتنام ٨٠٪ من العلاج يتم بواسطة الطب الشعبى !

أما فى باكستان فيوجد ٣٦ ألف ممارس

يعالجون بالطب الشعبى ، منهم ٢٠٠٠ سيدة ، وهؤلاء الأطباء الشعبيون تخرجوا فعلا من كليات طب عددها تسع كليات تسمى بكليات الطب الشرقى . وأنشأت الحكومة مجلساً قومياً للطب الشعبى مشابهاً للمجلس القومى للطب العصرى . يقوم هذا المجلس بوضع المعايير وعقد الامتحانات وتحديد المناهج الدراسية (فترتها ٤ سنوات) وهى تشمل تاريخ الطب وعلم العقاقير وعلم التشريح ووظائف الأعضاء وعلم النفس وطب المجتمع وعلم الأحياء الدقيقة ومبادىء الجراحة والأمراض (المعدية) والتوليد وطب الأطفال . وترسل الطالبات الى مستشفيات الولادة لتلقى تدريب عملى مدته ستة أسابيع ويدرس طالب الطب كيف أن الانسان ليس كتلة من اللحم ولكنه جسد وروح ، ويعطى اهتماماً خاصاً بالدين والايمان ويطلب منه أن يمارسه حتى يكون جديراً بالثقة أمام مرضاه .

وأما الهند فإن العطارة الهندية تصدر الى الجزيرة العربية خاصة فى موسم الحج .

وقد ذكرنا أن المكسيك انشأت فيها الهيئة الصحية العالمية مركزاً جامعياً لتطوير العلاج بالأعشاب .

الحكم التاريخى على الطب الشعبى

وحيث أن كل عقاقير الطب الشعبى مصدرها الطبيعة . وحيث أنه قد تم اختبارها تقليدياً خلال عدة أجيال متتابعة . وحيث أن أخبار كل دواء منها تنتشر بين أبناء قوم وعشيرة وقرية المريض ، فإنه من الواضح أن الأدوية الشعبية تكاد تكون دائماً خالية من الآثار الجانبية ، بينما أنابيب الأدوية العصرية تزخر كل واحدة منها بنشرة تحذيرية من مضار الاستعمال ومن الآثار الجانبية .

وهناك كثير من الأدوية سحبت من السوق بعد طرحها بعدة سنوات ، وكثير من الأدوية استعمل بشكل تجريبى ثم أوقف استعمالها . وهناك حالات تشوه أجنة . وهناك قضايا رفعت وتعويضات دفعت .

الطب النفسى الشعبى

وإذا كان العلاج بالأعشاب قد امتد أربعة آلاف عام فإن الطب النفسى ربما كان أعرق من هذا

• هناك ٥ آلاف نبات طبى فى العالم لم يستخدم منها الانسان سوى المئات فقط

• العلاج بالأعشاب يخلو من أى آثار جانبية

أيضاً . وأهم أسباب الاضطراب النفسى والعقلى هو السلوك العدائى للمجتمع مثل تخويف الأطفال وتشجيعهم على ضرب الآخرين والتشجيع على عدم التمسك بالمعتقدات والتقاليد الاجتماعية . العجز عن القيام بأى دور فى المجتمع لدرجة أن يحس المصاب بأنه عالة على الآخرين خصوصاً إذا كان شيخاً أو امرأة ، اضافة إلى السلوك الغريب عن التقاليد مثل خلع الملابس أو المغالاة فى الظهور . وامراض التأتأة والأهلاس البصرية والسمعية والتركيز على شيء ما أو شخص ما والتعلق الزائد والصياح والاضطراب والأرق . وأهم الأسباب حالياً هو سرعة عملية التحديث ونمو المدن بخطى سريعة وما يتبع ذلك من ضوضاء وتغير سريع مادى واخلاقى وفكرى .

وقد ركزت الهيئة الصحية العالمية دراستها فى هذا المجال على مالى والسنغال كدولتين أفريقتين تتحولان الى مجتمع المدينة بسرعة . ومن الدراسة اتضح أن المرض العقلى (المعروف محلياً باسم كى‌كى) نسبته ١,٨٥ فى الألف وحالات الصرع ١,٢٤ حالة فى كل ألف . وان أعراض العصاب كلها مركزة داخل المدن .

واتضح أن دور العلاج الشعبى التقليدى موروث أباً عن جد ، ويستخدم معظمهم الرقى ، ويعتقدون أن الجنون سببه أرواح لابد من الاتصال بها لزوال المرض ، وهذا المذهب تسميه الصحة العالمية « الحيوية المادية » حيث يقول أصحابه إن النفس هي مبدأ الفكر والحياة العضوية فى وقت واحد .

وقد أقاموا فى مالى ١٤ مركزاً للعلاج بالطب النفسى الشعبى أو التقليدى ، وقد الحقوا بها أطباء نفسيين عصريين مؤهلين بالتعليم الطبى الغربى من أجل تشخيص الحالات التى تحتاج الى رعاية طبية صرفة ، مثل حالات الجنون الناشئة عن مرض عضوى مثل الجفاف وغيره من الأمراض .

استخدام السموم

وتعتبر استخدامات السموم من أهم انجازات الطب الشعبى وانجحها وأوسعها مدى .

إن أهم السموم التى أنيط عنها اللثام حديثاً هى مادة الكورارى . وكان أول من اشتغل عليها هو مؤسس علم الفيزيولوجيا الفرنسى الشهير كلود برنار ثم تبعه لانجلى ثم هكسلى . وقد كتب بعد ذلك عن مادة الكورارى الكثير من الأساطير .

هذه المادة يعرفها أهل أمريكا الوسطى والجنوبية منذ آلاف السنين : يجمعون من الغابة حزماً صغيرة من نبات يغلونه فى قدور كبيرة عدة أيام حتى يصبح عجينة ملساء لزجة ثم يختبرون مدى مافيه من سموم باحداث شلل لضفدعة فى زمن معين . بل إن هذه المجتمعات البدائية تحصل على نوعين من الكورارى توصل إليهما الطب الحديث أخيراً واستعملها كمواد مرخية للعضلات .

وهناك سموم بالآلاف تتداولها المجتمعات البدائية الى عصرنا الحاضر فى تسميم العدو أو غير ذلك مما لم يكشف عنه اللثام بعد .

وهناك أسماك وضفادع تختزن هذه السموم وتفرزها ويستأثر بها بعض الأطباء الشعبيين فى خزائن أسرارهم وسوف يبوحون بها لو أمكن الاعتراف بهم وبعلمهم البدائى وتطويره بالأساليب الحديثة ..

والخلاصة أنه سوف تكون أدوية الغد القريب مجموعة من الأعشاب أو البذور أو الزهور أو خلاصاتها وسوف تكون رخيصة وفى متناول العالم الثالث ، وسوف تصل الى أقصى مجاهل الغابات والصحارى ، وسوف تكون خالية من كل آثار جانبية ، وسوف تكون دقيقة محددة مركزة على مرض واحد ، وسوف يتم هذا بوضع وسائل التحاليل الحديثة من استشراب الى تحليل ضوئى الى تحليل نووى الى رنين صوتى فى مجال الأعشاب الطبيعية .. إن هذا هو ما تسعى اليه هيئة الصحة العالمية .

السيد فهمى الشناوى

عِنَاقًا لكَ الصُّبحُ ..

شعر: يوسف الخطيب

أصعب ما في رسالة الشاعر العربي ، من بعد حزيران الأسود ،
هو أن عليه ، من موقع الهزيمة ، أن يغني أنشودة النصر ،
ومن خلف سجوف الظلام ، أن يعانق أشعة الصباح ..

عِناقاً لكَ الصبحُ ، رغمَ الظلامِ
ويا أملاً غائراً في الألمْ
عناقاً لكِ النارُ ، تحت الرمادِ
ويا ثورةً في بُطونِ الخيَمْ
بَلىٰ ، قد نشرتُ قُلوعَ النجومِ
على هائجِ الليلِ آنَ ادْلَهَمْ
أُقَرِّبُ ، في الليل ، آيَ الصباحِ
وأشدو ، على الجرحِ ، آيَ النغمْ
وَعلَّيتُ فوق المدى رايتي
على كل صرحٍ هوى أو عَلَمْ
بِسيناء مازال وهجُ الرمالِ
ويبقى بجَوْلانَ زَهْوُ القمم
وأَلمحُ في القدس شُمَّ القُبابِ
لها في السحابِ رفيعُ السَّنَمْ
ويُبحِرُ قلبي على موجِ غزةَ
يَهمي سلاماً ، ويَهمي دِيَمْ
ويلثمُ أنطاكيَ الربعِ ، والدار
والكرْمِ ، والغارِ ، فمَّاً لِفَمْ

وما هيَ أخيلةٌ لا تُرامُ ..
وأخيلةٌ هيَ .. إن لم تُرَمْ
ولو كنت في الصعبِ رَخْوَ الجَنانِ
شَقِيَّ اللسانِ ، دَنِيَّ القيَمْ
لأَحرى ، إذن ، أن أشُقَّ الثيابَ
وأَقصِفَ بالكعبِ هذا القَلَمْ
ولكنَّ لي غايةً في البعيدِ
وَهَمًّا أُحاوِلهُ ، أيَّ هَمْ

* * *

يقولونَ .. «إن لم يكن ماتُريدُ ،
أَرِدْ ما يكونُ» .. فهذا قَسَمْ
مُحالٌ على العربيِ المُحالُ ،
عديمٌ على العربيِّ العَدَمْ
وما أَخْصَبَتْ في حمانا الشرورُ
فذاتَ غدٍ ستُجَزُّ اللِّمَمْ
غداً .. يا حَصادَ الربى والكروم
ويا مَوْسماً عربيَّ الكَرَمْ

سيَبدري الدَّميُّ لنا ، أيَّ سيفٍ
شحذْنا إليـه ، وأيَّ وَضَمْ
دع الريحَ تعصفُ بنا ما تشاء
فإنَّا لهـا جَنَباتُ الخِضَمْ
أفِضْ يا زمانُ ، الردى والخطوبَ
أفِضْ ، ننتفضْ .. أو تَنَمْ إن تَنَمْ
لأنا ، وأنتَ ، هما التوأمانِ
رِهانا خلودٍ ، وصِنْوَا شَـمَمْ

* * *

ويا باذراً شـوكَهُ في الربوعِ
أتحصدُ كفـاكَ إلا نَدَمْ
فـمن أين تلقى سبيلَ النجـاةِ
إذا حُمَّ بالعُنفـوانِ الأجَمْ
إذا الشعبُ أغلالُهُ مُـزِّقت
وجرحُ الفجيعـةِ فيه التأمْ
هنـا أمَّةٌ وَعْرَةٌ صَـهوةً
كَجمْحِ الكُمَيْتِ إذا ما التَجَمْ
هنـا أمَّةٌ فرعُها في السَّـماءِ
وفي كَبِدِ الأرضِ منها قَـدَمْ
وتُمهلُ ، لا تُهمِلُ ، الفـاتحينَ
وتهدأُ ، كي تستجِنَّ الحِمَمْ
هنـا أمَّةٌ من لُبانِ الزمانِ
غَذَتْ لحمَها ، من ثُدِيِّ الألَمْ
أُسـارى على أرضِها الفاتحون
ومُنهزِمٌ دونهـا من هَزَمْ
ويمضي على دربِها الصـامدون
ويَرْتَدُّ عنهـا الرَّديُّ الكَهَمْ
ومـا اللاتُ أولَ من حَطَّمتْ
ولا اللاتُ آخرَ بَعْلٍ جَثَمْ
لظى ثـورةٍ يَستجدُّ اشتعالاً
متى حالَ شِبْهَ الرمادِ ، احْتَدَمْ
هـو النَّشْرُ ، ما النشرُ إن لم يكن
لِيَحثو القبورَ ، ويُحيي الرِّمَمْ

ولا تَخدعنْكَ الظنونُ العِجافُ
فثأرُ العـروبةِ لَمَّا يُشَمْ
لَغا فيه ، حتى الجنونِ ، اللُّغاةُ
وما جُرِّدَ السيفُ حتى انْثَلَمْ
وكم ثائرٍ : ثـائرٌ في الخلاءِ
حكيمٌ على الضَّيْمِ إمَّا حَكَمْ
ومن عَجَبٍ أنَّ مَن في الوِهادِ
يخالونهـا شُرُفاتِ القِمَمْ
هنا القِمَّةُ البِكْرُ ، سَفْحُ الجليلِ
وظَهْرُ الخليلِ ، وصحنُ الحَـرَمْ
هنا ما يرى الشعبُ ، لا ما تَرَوْنَ ،
طريقُ الملايينِ رَحْبٌ أمَـمْ
وما هو إلا الدليلُ ، الكليلُ
على الدربِ ، وهـو العَميُّ الأصَمْ

* * *

أأبرهـةُ عادَ ، يا مرحبـاً
سقاهُ الأبابيلُ نـارٌ ، ودَمْ
ستَرْتَجُّ منهـا جُنوبُ السـماءِ
تُصبُّ عليه الـردى والشَّجَمْ
هنـا أمَّةٌ ، لا هِرَقْلٌ تَـأَبّى
عليها ، ولا عَزَّ كِسرى عَجَـمْ
وإن تكُ قـد طُويت صفحةٌ
فَسِفْرُ البطولةِ مـازالَ جَمْ

* * *

عِناقاً لكَ الصبحُ ، رغمَ الظلامِ
ويا أمَلاً غائراً في الألَمْ
عِناقاً لكِ النارُ ، تحت الرمادِ
ويـا ثورةً في بُطونِ الخِيَمْ
أقْرَبُ ، في الليلِ ، آتي الصباحِ
وأشدو ، على الجرحِ ، آتي النَّغَمْ




حمده خميس



شاعرة جمعت بين الواقع والحلم



فتحية عجلان

شاعرة اهتمت بالبحر والطبيعة وخفقات الانسان



أصوات نسائية في أدب البحرين



في الشعر

بقلم: أحمد محمد عطية

تنتمى الأصوات النسائية فى الشعر البحرينى إلى الحركة الشعرية الجديدة فى ذلك البلد الخليجى الناهض ، تلك الحركة التى تبادلت التأثير والتأثر مع شخصية المرأة الاجتماعية ، « مما خلق حركة جدلية وتفاعلا حميماً بين المرأة والشعر على مستوى الواقع المعاش » كما يقول الشاعر والباحث البحرينى علوى الهاشمى فى كتابه « ما قالته النخلة للبحر ــ الشعر المعاصر فى البحرين » (ص ٢٠٢) . ولعل هذا هو سر وفرة الأصوات النسائية فى الشعر البحرينى ، حمده خميس ومنيرة فارس وفوزية السندى وإيمان أسيرى وفتحية عجلان وسواهن . وسأركز فى هذا المقال على أبرز هذه الأصوات فى شعر البحرين المعاصر ، اللاتى حققن ذواتهن فى دواوين شعرية مستقلة ، وهن : حمده خميس وديوانها « اعتذار للطفولة » ، إيمان أسيرى وديوانها « هذى أنا القبرة » ، وفتحية عجلان وديوانها « أشرعة العشق » .

● حمدة خميس:
من نقل الواقع إلى التعبير عنه وكشفه
● إيمان أسيري:
تنويعات على لحن الوطن
● فتحية عجلان:
شاعرة الحب

أما الحركة الشعرية الجديدة في البحرين، التي تنتمي إليها هذه الأصوات النسائية، فهي حركة الشعر الحر التي بدأت مع أوائل الستينات وتواصلت إبداعاتها حتى احتلت مركز الصدارة في أدب البحرين المعاصر. ويقول الناقد أحمد المناعي، في دراسته «التعريف بالحركة الأدبية في البحرين» (المنشورة بعدد مجلة الأقلام العراقية الخاص بالأدب في الخليج العربي ـ ابريل ١٩٧٥) ان هذه الحركة «هي الآن الوجه المضيء للحركة الأدبية في البحرين. ولقد كان لظهور التيار الجديد ظروف اجتماعية وسياسية مر بها المجتمع البحريني في أواخر الخمسينات.. ونتيجة لاطلاع الشباب على تيارات التجديد في الأدب وخاصة مدرسة الشعر الحر والثقافات الأجنبية الحديثة التي تأثروا بها كثيراً...».

ويضيف المناعي قائلا: «في هذا المجال كشف الشاعر الشاب عن منابع جديدة لفنه، فبدت قصيدته معاصرة تسير في صعود مستمر ضمن آفاق رؤية واقعية ملتزمة، متخطية بإصرار النظرة الرومانسية الضيقة، نافذة بوعي إلى العالم والانسان. فالشاعر البحريني الجديد أخذ يواجه الواقع مواجهة صريحة وخارقة، ولم يعد صوته خافتاً تحت أنماط معينة من الغنائية والمباشرة الساذجة».

ويلخص المناعي أهم مظاهر الحركة الشعرية الجديدة في البحرين في النقاط التالية:

- الاتجاه الواقعي الملتزم بالتعبير عن الانسان البحريني وطموحاته، والنفاذ منها إلى التعبير الانساني الشامل من خلال رؤية واضحة وصريحة تجاه قضية الانسان والعالم.
- رفض النموذج التقليدي للقصيدة القديمة، لعجزه عن التعبير عن نمط الحياة الجديدة التي تتطلب مناخاً فنياً يساير تطورها الفكري.
- تعميق القصيدة وصورها بالبعد النفسي والتأملي، وتكثيف الرمز.
- الاتجاه نحو الاغتراف من التراث الشعبي والحضاري لمنطقة الخليج، والافادة من الجوانب المضيئة في تاريخه السياسي.

حمده خميس

من هذه الحركة الشعرية الجديدة جاءت حمده خميس لتقدم اضافتها لهذه الحركة. وقد تحدثت إليّ هذه الشاعرة البحرينية المتوهجة والمتقدة حماسة ووعياً قائلة: «تجربتي في الكتابة خاصة ومريرة، فقد كان على دائماً الخروج من جلد الأنثى الناعم والالتحام بخشونة الأحلام. ولقد كان هاجسي هو التعبير عن الهم الانساني، وليس هم المرأة الجزئي، انني امرأة لذا فأنا أحمل تراث قرون من الاضطهاد الخاص والمزدوج. وكان على التجربة أن تخرج من أسار الهموم الضيقة التي طرحها أدب المرأة التقليدي لتلتحم بهم الانسان وطموحاته في الشمول. كما كان عليها ان تكتشف الموقع وتكشفه». (جريدة «أخبار الخليج» ١٢ نوفمبر ١٩٨٢).

بهذا الوعي الفكري خاضت حمده خميس تجربتها الشعرية الجديدة، ابتداء من سنة ١٩٧٤، مازجة بين الواقع والرمز والحلم، حريصة على الاضافة والتحديث في الشكل والموضوع معاً، جامعة بين الذاتي والموضوعي وبين الخاص والعام في ديوانها الأول «اعتذار للطفولة»، الصادر عن دار الغد في البحرين ١٩٧٨، ثم مواصلة تطوير رؤاها وقصائدها الشعرية الجديدة في سنوات الثمانينات المعاصرة بعد فترة انقطاع دامت بضع سنوات في الستينات والسبعينات.

وفي شعر حمده خميس تبرز الرؤية السياسية، ويمتزج الرمز الشفاف بالواقع المعاش بالتراث البحريني، وخاصة تراث البحر والزرع والنخيل. وقد تحدثت حمده عن مفهومها للسياسة قائلة، في حوار مع الناقد البحريني أحمد المناعي (بمجلة الاقلام عدد خاص بالأدب العربي في البحرين فبراير ١٩٨٠): «السياسة من وجهة نظري لا يمكن فصلها إطلاقاً عن حياتي. عندما أعيش وأحس، وأحب وأتألم.. وأفرح.. أكون انسانة متلاحمة بكل الأسباب والمبررات التي منحتني هذه الأحاسيس، عندما أحب مثلا، وأشعر بأنه محظور على أن أفعل ذلك أو أن هناك من يمارس تشويها على فكري، هنا أحس بأني مقهورة.. لذا أرفض التشويه ومبرراته، وأكون في هذه الحالة داخل السياسة.. لأن مبررات التشويه هي عادات أو نظم اجتماعية معينة.. وكذلك فالألم يعني سياسة، والفرح كذلك.. فعندما أرى هناك ما يحول بين الفرح وبين الانسان ويسبب له الألم فإني أرفض هذا الحائل، فالرفض هذا سياسي أيضاً: اذن مادمت أرفض فإني أمارس السياسة وأتدخل فيها».

ولعل أفضل قصائد الديوان الأول تمثيلا لبدايات حمده خميس هما القصيدتان الأولى والثانية من الديوان، ففيهما يتعانق الرمز والحلم والواقع، وتحاول حمده بناء مفردات عالمها الشعري وصوره.

القصيدة الأولى عنوانها «حوار عن الحب والمستحيل» وفيها تمتزج الذات بالموضوع، وتغنى الشاعرة للحبيبة.. لبلادها.. للوطن.. وتغترف من تراث البحرين صور البحر والنخيل، وتمزج صور الطبيعة الثرية الفوارة، النجوم، البراكين، في صور شعرية جديدة:

يحدثني البحر عنك
تسر إليّ النخيل
بلادى تنامين فوق السواعد
إني حفرتك وشما على صدر طفلى
كتبتك في خاطرى لغة
وفي لغة البحر سرا
بلادى تنامين؟.. ان الشواطىء صحو
وان النجوم قبل
تنهضين؟.. ارتدى.. ثوبك.. العرس جاء
تجيئين؟.. أنت البراكين.. امنحينا الحمم
نكتب الحب باسمك
بالنار نمسح أوجاعك المستريبة (ص ١٠ و١١)

والقصيدة الثانية بعنوان «قصاصات من دفتر

امرأة عاشقة فى القرن الرابع عشر » ، وهى مقسمة إلى ثمانى قصاصات ، وفيها تتقدم حمده نحو التحديث واستخدام أساليب القطع السينمائى والتركيب الشعرى ، للتعبير عن رؤية الشاعرة السياسية من خلال تلك القصاصات أو المقاطع والصور المتنوعة ، فتقدم تنويعات على لحن الوطن ، وتوحد بين الذات والموضوع وبين الخاص والعام !

قطرة من مياه التدفق صرنا
إلى قطرة فى مياه الوريد
صرت أنت أنا
اتحدنا ..
نهضت من دمانا زنبقات المساء
كان صمتك فى داخلى بيرقاً للرجوع
وتلويحة للدموع
صرت دمعاً ..
أحبك !! (ص١٦و١٧)

غير أنه تقفز فى ديوانها الأول بعض الصياغات النثرية المباشرة والعبارات الخطابية والتقريرية النابعة من حماسة الشاعرة وثوريتها أيضاً ، مثل قصيدتها « لكم وقتى .. ولى زمنى » ، ومسرحيتها الشعرية القصيرة « فوق رصيف الرفض » ، وقصيدتها « اعتذار للطفولة » ، التى منحت الديوان عنوانها ، فتقول حمده خميس فى القصيدة الأخيرة :

يا أطفال العالم
يا أطفال بلادى
يا طفلى
ان يسقط صوت الحب على الدرب
فلا يدفئكم
ان يأكل شفتى سوط الجلاد
فلا تسمعكم
أغنية الأمطار إذا هطلت
ونشيد الشمس
معذرة ..
هل يكفى أمنحكم قلبى
وأشيد هذا الجسد الفانى
جسراً للوقت ؟!

فهذه خطب وليست شعراً ، والكلمات نثرية وليست شعرية أيضاً والرؤية مسطحة ، لاكشف ولا رؤية جديدة متفجرة توازى حماس الشاعرة .

كانت هذه مرحلة البدايات ، شعر حمده خميس وديوانها الأول « اعتذار للطفولة » ، غير انها لم تلبث أن تقدمت فى طريق التحديث والابداع الشعرى الجديد مطورة رؤاها السياسية فى تراكيب شعرية جديدة ، كما فعلت فى قصيدتها « بيروت يا قلبى المحاصر » ، (المنشورة بالعدد الثالث من مجلة « كلمات » سبتمبر ١٩٨٢) حيث تسقط همومها السياسية العامة على أزمة بيروت المحاصرة أيضاً . ولكن تخف المباشرة والتبسيط ، ويعم تركيب الصور الشعرية الجديدة الكاشفة والمثرية للواقع المعاش . لقد خلقت الشاعرة ، بصورها ومفرداتها وعباراتها الشعرية المركبة ، بيروت خلقا فنيا جديداً فى مركب شعرى جديد يجمع بين الرؤية والرؤيا . فبيروت تنهض فى هذا الحصار كالعشب من بين الصخور لابسة ثوبها الدموى المقاتل بدلا من ثوبها الصدفى الناعم . تتحدى القنابل وتلد الشعراء والأطفال المقاتلين من أجل عودة الجليل ، عودة فلسطين العربية . فكم تقدمت حمده خميس شعرياً وفكرياً فى هذه القصيدة الجميلة :

اننى اسأل العشب حين يجف
ويهزج فى الصيف
والعشب ينبت من صخرة
تتدحرج ما بين قلبى
وشاطىء بيروت
إنى أرى
موجة تستريب فارتاب
إنى أرى
بيروت خالعة ثوبها الصدفى
ولابسة ثوبها الدموى
وأسأل
بيروت أنت السماء العفية
إذ تقبلين
وأنت المتاريس
إذ يرسمك القائمون على الأمر
هم يأمرون القنابل أن ترسم البحر
ويستأنفون الضجيج .
ورسم الحدود
والبحر يصرخ من خجل
ويخجل الاهواك التضاريس
بيروت
بيت الهوى والحدود
والدم الخارطة
يولد الشعراء
وأنت
وطفل صغير
يؤسس بالبندقية
عرس الجليل

هكذا تتقدم حمده خميس ، من نقل الواقع إلى التعبير عنه وكشفه فى قصيدتها « بيروت .. » وفى أحدث قصائدها « الألق » ، المنشورة بالعدد الأول من مجلة « كلمات » البحرينية العدد الأول ١٩٨٣ ، التى تمثل أرقى قصائدها الشعرية الجديدة . فالكلمات مشحونة بالمعانى ، والعبارات مركبة ، والمفردات جديدة تبتعد عن النثرية والخطابية والمباشرة وعن الكليشيهية والعبارات المألوفة والمكررة . . إنها رؤية أليمة لشاعرة وحيدة تمزج الخاص بالعام ، لم تزل تقبض على الحجر فى تمسكها بالألم ، ولكن تعصرها الوحدة وتجارب السنين والواقع الميئس الكئيب ، لذا تجتمع فى كلماتها الشعرية الجديدة كل الصور المتناقضة ، كعذوبة الحزن ، والوحدة الأليفة ، واليأس الحميم .. ولكنها لم تزل تنثر بذور الأمل فى خلايا الدم ، رغم معاناتها وكل الشكوك فى اليقين الحميمى :

ساويت بين الجرح والجسد
بين الجوع والائتلاف
بين الحلم والخطورة
قلت :
قليلا أسرق من نار التربة
تأججها
وانثر البذار بين خلايا الدم
فيزهر
ويستولد الغصن وريقاته
والفراشة رعونتها
قلت .. ووقفت خارج الأسوار
والأسماء
انتشل الروح
واستلها من عجين الفجيعة

إيمان أسيرى

إيمان أسيرى صوت شعرى هامس ، ولكنه صوت مشحون بالغضب الذى يكاد أن يتفجر من خلال الصور الشعرية السريعة المتتابعة ، التى تركب الرؤى وتبعد عن المكرر والمألوف والخطابى والمباشر . ومن هنا تنساب الرؤى المشحونة بالتوتر والغضب والحزن والحماس من خلال مفرداتها وأبياتها الشعرية وقاموسها الشعرى الخاص ، دون خطابة أو صراخ .. كما فى قصيدتها « هذى أنا القبرة » التى حمل ديوانها عنوانها ، فهى تتقمص عصفورة « القبرة » لتنظر إلى الأرض ، فتتصاعد الصور الأليمة الغاضبة الداعية للرفض والتمرد دون مباشرة ، فترى الأرض سوراً نتناً ، وفى الليل « النوم يمرق بين الجفن وساعة الخلاص » فالنوم يمر خاطفاً ، والعاصفة تجوس فى داخلها لتحولها إلى نسر قوى :

ادخل داخلى عاصفة تعانق
ذرات تبعثنى نسرا حين
يكون المطر نعياً ، كان فوق
جبينى شرفاً







ثلاثة أغلفة لدواوين الشاعرات الثلاث : حمده خميس ، ايمان اسيرى ، فتحية عجلان

تظل القبرة ظلا للطفل شاهداً
يرى فعل العصور في الجذر ، الجذع
أرقص المرة تلو المرة ،
تلو المرة أرقص ..
اتجه ..
هذي أنا القبرة . (ص ١٠ و ١١)

ومولعة هى بالطيور والطبيعة والخضرة والمياه ، تغنى للوطن فى قصيدتها « طائر الوطن » عبر الصور البصرية الجميلة يتألق هذا الطائر صوب السهل يحط على الغصن ويقف عند الجدول ورغم الحزن والملح والخبز المنسى فإنه يغرد :

قال : اشتهى الوطن ..
تابع سيره
عاود التحليق فوق الجذر ،
وفى المنقار طعم الملح
والخبز المنسى ..
تألق ..
رفرف الجناحين
غرد ..

وتقدم إيمان أسيرى ، فى ديوانها « هذى أنا القبرة » ، تنويعات على لحن الوطن ، الوطن الذى يشحنها بالحزن والغضب ، ومع ذلك فإنها تغنى له ولجماله الطبيعى بالرغم من كل جسور الحزن والعذاب . وتغترف إيمان من تراث البحر صور المرفأ والمرساة وطائر البحر ، وتمزج بينها وبين معاناتها الذاتية والموضوعية ، بين همها الخاص والهم العام ، لتخلص إلى التأكيد على حبها الدائم للوطن ، بالرغم من كل هذه المعاناة المصورة فى قصيدتها « محبة الحصاد » :

فجأة حط طائرك طلقاً يرتوى من لحمى ،
قمت أتثاقل . يشدنى المرفأ ، والمرساة تشق
ظهرى ..
عظاك دمى ، طعنت وفائى ، لكنى أحبك
وطنى قيودا تحز أوردتى
أنيابك تلسعنى ، تمنع صرختى ، لكن قدمى
حين
تفقأ قروحك يلفنى الظمأ إليك ، أرتمي فى النار
بين أحضانك (ص ٣٤) .

فتحية عجلان

إذا كانت القضايا العامة والأحداث والرؤى السياسية قد استأثرت باهتمام الشاعرتين حمده خميس وإيمان أسيرى مع اختلاف نهجهما الفنى والموضوعى ، فإن فتحية عجلان هى شاعرة الحب وقضايا الذات ، كما تقدمها قصائدها المجموعة فى ديوانها « أشرعة العشق » ، أحدث الدواوين الشعرية النسائية الصادرة فى البحرين . فإذا اعتبرنا ديواني حمده خميس وإيمان أسيرى بمثابة تنويعات على لحن الوطن ، فإن ديوان فتحية عجلان يمثل تنويعات على لحن الحب .

ففتحية عجلان لا تكف طوال قصائد ديوانها « أشرعة العشق » عن طرح صور الحب ومزجها بصور الطبيعة البحرينية الغنية بالبحر والطبيعة بالقوة والحيوية ، كما فى قصيدتها « بدور » ، حيث تناجى الشاعرة البدور والنجوم والطير والشراع والموجات والزهور وعيون الماء قائلة :

لم يبق غير الليل يحلم بالنجوم
وحديثنا عن وجدك الدامى أسى ، وبحور شوق
وقواقع الأحلام مرت بالشراع المسبى
المربوط بالموجات
كفي يا بدور عن الدموع
فعلى رموشك الف طير ضاع يبحث عن شموع
أيا بدور تعلمى نقش الزهور
على العيون الحالمة
وهاجرى ليلا .
بماء من عيون حبيبك المشتاق رشي الدرب
لم يبق من الأحلام غير الواحد مطعونا ،
يسيل الحب .
تزدهر الشوارع بالأغانى الحلم
سراً عانقي البحر الذى
يزداد عمقاً فى هواك .
وبدور تقتحم الظلام
تعانق الحلم المشبع بالهوى المجنون
تفتح للنهار قصائداً ونهار عيد
تزرع المشموم
للعشق يأتى
لا يخاف الموت
فى قلب عاشقها اختفت كل البذور
(ص ٢٧ — ٣٢) .

وتمضى الشاعرة فتحية عجلان فى قصيدتها الطويلة « بدور » لتعدد صور القوة فى العشق الذى يصهر القيود ويقتحم الحدود ولكنه يلاعب الأطفال ويرقص الطير الكسيح

ومن أجمل قصائد ديوان فتحية عجلان قصيدتها « حوار » ، وهى حوار بالصور الشعرية بين حبيبين تتصاعد فيه صور البحر والنخيل والأزهار ، فيقول الحبيب محاوراً حبيبته !

لا تعلمين
بأن مياهك صارت سرابا
وان اللقاء بعرقك موت بطىء
ترقصين الغرام الرحيص
تتطاير منك الحروف
تتطاير منك ..
فيضربك الحائط النتن العود خوفاً من الموت
ينزع شعرك
يغرس فيك الدبابيس
دموعك واد خصيب
يتم اللقاء بطينك والبحر
يرتفع الموج يطلب عفوك
جرحك ينزف رفضا
حروفك طارت بكل اكطيور (ص ٤٢ ، ٤٣)

وبعد ، فإن مكتبة الشعر البحرينى غنية بالأصوات النسائية ، ومنها أسماء معروفة مثل منيرة فارس وفوزية السندى ، تبدع الشعر وتشارك فى الأمسيات الشعرية . ولكنها لم تبلور تجربتها الشعرية وتجمع قصائدها فى دواوين شعرية بعد . لذا اكتفيت بهذه الأصوات النسائهة اكشعرية : حمده خميس وإيمان أسيرى وفتحية عجلان كنماذج متميزة وأصوات بارزة فى الشعر البحرينى الحديث .

أحمد محمد عطية

لوحات على جدار الريح

شعر: محمد إبراهيم أبوسِنّة

ريشة: علي الشريف

انتظار

واقف فى الظلال التى
لم تكن غير ذكرى النهار البعيد
واقف استعيد

بعض ما كنت اعرف نفسى به
فى الظلام الشديد
وسط هذا السراب الذى

كان يبدو مدينه
والربيع الذى قد تناثر
فوق الجليد
واقف فى انتظار البريد
علَّ بحراً يريد

مراسلتى
او غيوماً تحاصرنى من جديد
واقف فى دموع النشيد
فى انتظار احتضار الزمان البليد

واقف كالجواد
وسط دغل القيود
والصهيل الطويل
يتخطى الحدود

امرأة

توقفت كأنها معجزةٌ
وأقبلت كأنها النسيم
سألتها : من أنت يا سيدتى
فلم تجب
وأورقت على طريقها الغيوم
تصافحت عيوننا
وانهمرت أمطار في قلوبنا
واشتعل النعيم
قرأتها كأنها قصيدة
طالعتها كأنها النجوم
وافترقت خطوتنا
تهشمت ضحكتنا
تناثرت كواكب
وامتصها السديم
وماتت الفصول في أغنية
تبيعها للبرق والرعود
أصابع الهشيم

صورة جانبية للموت

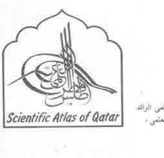
تقاعدت على الأرائك النسور
تخط فى التراب قبرها
لكى تموت
تجاسر « البغاث » فالسماء
عنكبوت
يضج فى شباكه الذباب والغربان
وتفزع النجوم فى مسارها الرهيف
فتفقأ العيون

وترتمى
فالكون مقعد كفيف
ويسقط الرذاذ
على غصون الحزن فة الحريف
ويحصد الظلام

سنابل الأشعة التى يذلها العطش
وتبدأ الأشجار فى البكاء
وتنحنى الجبال في المساء
لتلقط القمم
تناثرت على السفوح

ـ الموت يستريح
فى لوحة على جدار الريح
يحيطها الغبار
« النسر فى التراب
والأفق للغراب »
لتزدهر يا أيها الخراب
لتزدهر يا أيها الخراب







شعار المشروع العلمي الرائد « أطلس قطر العلمي »



أطلس قطر العلمي

صورة فضائية لشبه جزيرة قطر مما يحتويه الجزء الثاني من أطلس قطر العلمي

صدر منذ عام مضى ، الجزء الثاني ، في مشروع أطلس قطر العلمي ..ولهذا المشروع الحضاري القطري فلسفته وقصته ..

وقبل الخوض في هذا نقتبس ما قدم به سعادة الأستاذ عيسى غانم الكواري وزير الاعلام القطري الجزء الأول من هذا المشروع اذ يقول :

« تجاوباً مع سمعة العصر الذي أصبح العلم فيه مقياس المقارنة الصحيحة بين الأمم والشعوب ، وعلى ضوء توجيهات حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر المفدى وسمو ولي عهده الأمين ، بالأخذ بالأسباب والأساليب التي تنشر المعرفة العلمية وتيسر في البلاد سبلها ، وارتياد مظانها ، وجدنا من المفيد النافع وخاصة لابنائنا وبناتنا الذين يسلكون طريق العلم والدرس والتحصيل ، أن توضع علامات على الطريق في صورة سميناها :

« أطلس قطر العلمي »

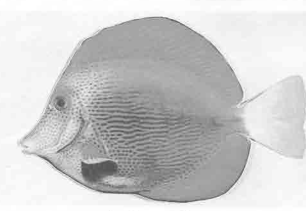
في عدة مجلدات متتابعة ، يتناول كل منها باباً يتولى الكتابة فيه متخصصون على مستوى رفيع في المجالات العلمية المختلفة التي تتعلق بالبيئة القطرية براً وبحراً ، بحيث تكون موضوعات هذا الأطلس منهلا يغترف منه ويستنير به كل من يتصدى للبحث العلمي في أي من تلك الموضوعات . وهذا هو الكتاب الأول في مجموعة « الأحياء البحرية في المياه القطرية » عن الأسماك الشائعة ، وستتلوه بعون الله أسفار تستكمل المعلوم في هذا الباب .

وانني اذ أقدم هذه الباكورة من ذلك المشروع لأتقدم بوافر الشكر إلى الأستاذين الجليلين الدكتور محمد امين ابراهيم والدكتور سيفا سبراماتيوم على كل ما بذلاه من جهد وما تجشماه من عناء في سبيل إخراج هذا السفر الجيد ، الذي يتعلق بجانب هام من بيئة الحياة القطرية الا وهي البحر . فللإنسان القطري بالبحر علاقة قديمة قدم التاريخ ذاته كما نعلم . واني ليحدوني الأمل في أن يكون عميم النفع للباحثين والمثقفين والمهتمين بالمعرفة . وان تكتمل سلسلة هذا الأطلس في أقرب وقت مستطاع بعون الله » .

ثم لا نجد بأساً في نقل نص تقديم سعادة الوزير للجزء الثاني أيضاً : « يطيب لي أن أقدم للباحثين المثقفين ، الجزء الثاني من سلسلة أطلس قطر العلمي ، التي أمر بإصدارها حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر ، من منطلق إيمان سموه العميق بأهمية العلم في مضمار رقي الشعوب والأمم . ولما كان التقدم العلمي في أية أمة من الأمم لاينبثق من فراغ ، فإن فكرة إصدار هذا الأطلس العلمي الذي يغطي كافة جوانب المعرفة العلمية عن دولة قطر ، باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الوطن العربي والعالم الاسلامي ، تهدف أساساً إلى وضع العلامات على الطريق لكافة الباحثين في كل ما يخص البيئة القطرية براً وبحراً .

وهذا الجزء الثاني من السلسلة ، والذي يتوافق إصداره مع الإعداد لانعقاد مؤتمر القمة الرابع لدول مجلس التعاون ، يتناول لحسن الحظ موضوعاً عن أحدث أبواب البحث العلمي وهو « قطر من الفضاء » والتفسير العلمي لصورات شبه جزيرة

بقلم: درويش مصطفى الفار



لكل نوع من الأسماك في الجزء الأول من أطلس قطر العلمي صفحة كهذه.. وهذه واحدة من الأسماك الشائعة التي تربو على مائة وستين نوعا

صورة فضائية لشبه جزيرة قطر وجزء من دولة البحرين الشقيقة، مما يحويه الجزء الثاني من أطلس قطر العلمي: ولكل لون أثر التحليل معنى ومدلول علمي عميق

قطر، ومياهنا الإقليمية المحيطة بما فيها من الجزر القطرية شرقاً وغرباً، كما صورتها أقمار لاندسات لأبحاث الفضاء.

ومن دواعي سروري أن أقدم الشكر والتقدير إلى السيد الدكتور محمد عادل يحيى الأستاذ المساعد بقسم الجيولوجيا بكلية العلوم بجامعة قطر، لهذا الجهد الفائق الذي بذله في إخراج هذا المرجع القيم، كما أشيد بالتعاون العلمي الوثيق القائم بين جامعة قطر ممثلة في مركز البحوث العلمية والتطبيقية ومتحف قطر الوطني. ذلك التعاون الذي كان من قمة ثمراته صدور الجزء الأول من هذا الأطلس منذ قرابة عام، ثم تلاه هذا الجزء الذي بين أيدينا.. وإنني لشديد الأمل في أن يكون هذا التعاون مثلا يحتذى بين كل الأجهزة والمؤسسات العلمية في بلادنا حتى تتالى أجزاء هذا الأطلس تحقيقاً لتوجيهات حضرة صاحب السمو الأمير المفدى وسمو ولي عهده الأمين.

ولا مراء في أن وزارة الاعلام القطرية، تكون بتبنى هذا المشروع الحضاري الرائد أول وزارة اعلام عربية تتبنى قضية علمية على المستوى العالمي.

ويرمي هذا المشروع، الذي نأمل أن يكون مثالا يحتذى في كل أقطارنا العربية إلى إصدار مجلدات على غرار الجزئين اللذين صدرا لتغطي جميع أبواب التاريخ الطبيعي لدولة قطر، في الصخور براً وتحت سطح الأرض من واقع الدراسات الجيولوجية السابقة وأعمال الحفر عن النفط، وما تحمله تلك الصخور من المستحجرات الحيوانية والنباتية المجهرية والكبيرة ومختلف أنواع الثروة المعدنية والماء الباطني والنفط والغاز والفحم، وما تشكله من بنيان هندسي وما تلقيه من ضوء على تاريخ الأرض في هذه البقعة من العالم التي تظللها راية دولة قطر، وفي النباتات البرية والبحرية وفي الحشرات والعناكب والديدان والطيور المقيمة والمهاجرة والزواحف والثدييات، وعن الأحوال الجوية من حرارة ورطوبة ورياح وتيارات بحرية، وتحرك الكثبان الرملية وتآكل الشواطيء وتلوثها، بالاضافة الى فهرست كامل عن كل ماكتب عن قطر قديماً وحديثاً بكل لغات الناس، وتسجيل خرائط ومخططات كل الآثار التاريخية من لدن إنسان العصر الحجرى الذي عاش في قطر منذ قرابة خمسين ألف عام إلى يومنا هذا..

أي أن هذا المشروع في طموحه لا يترك باباً من أبواب العلم، في عصر تتمايز فيه الشعوب والأمم بالعلم..

وإذا حذت كل أقطارنا العربية حذو قطر في إنشاء مشروع كهذا فسوف يكتمل لنا التعرف، علمياً، على أرضنا العربية، بأسلوب جديد، يفيد لاشك مستقبل العلاقات لأجزاء أمتنا كلها.. ولا جدال في أن مشروع أطلس قطر العلمي في بدايته، ولكنه بكل المقاييس الحضارية ينم عن إيمان عميق بأهمية طريق العلم الى مستقبل أفضل..

وعسى الله أن يوفق أولي الأمر لرسم الخطة الأمثل لدفع هذا المشروع نحو الاستكمال في أقل وقت ممكن، إذ أن الوقت في عصرنا هذا من أهم عناصر الحياة للشعوب والأمم.



شكل (١) صورة لجزء من أشجار الغابة التى سقطت الى الأرض بفعل انفجار مجهول فى الغلاف الهوائى ، وقد التقطت بعد سنوات طويلة من الحادث ، هذا وتبلغ المساحة التى أصيبت بأكثر من نصف مليون فدان !

قَـزْم يقـتـرب ومُذَنَّبَات تـندفع وحيـاة تـنقرض

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح



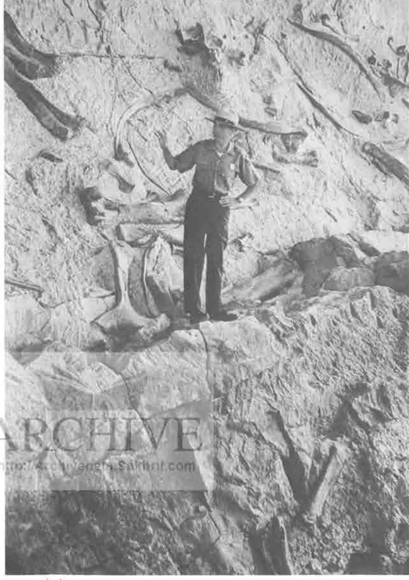
شكل (٢) صورة جوية لحفرة أو شق عميق في الأرض حدث في أريزونا منذ أكثر من ٢٠ ألف سنة بسبب نيزك من الحديد اندفع الى الأرض بسرعة قدرت بحوالي ١٥ كيلومترا في الثانية ، وكان قطر النيزك حوالي ٢٥ مترا ، وقطر الحفرة حوالي ١٢٠٠ متر ، ويقال ان الطاقة التي كونتها كانت أكبر من طاقة قنبلة نووية قوتها ٤ ميجا طن (أي أربعة ملايين طن من مادة «ت.ن.ت» شديدة الانفجار)..

قد لا تأتينا الكوارث الطبيعية فحسب من تحت أقدامنا في زلازل تدمر ، وبراكين تكتسح ، ولا من حولنا في أعاصير تعربد ، وفيضانات تغرق ، بل قد تتسلط علينا أيضاً من فوق رؤوسنا كبلاء منهمر ، وعندئذ قد لاتبقي ولاتذر .. لكن بعض هذه الكوارث السماوية لازالت مجهولة الأسباب ، ويحاول العلماء جاهدين البحث عن الخيوط التي أدت إلى هذه الكارثة أو تلك ، علهم يتوصلون إلى تفسير معقول يضع حداً لحيرتهم التي طالت .. لكن من أغرب هذه الكوارث وأعتفها ، تلك التي تكررت مراراً على كوكبنا ، وغرابتها ترجع إلى أن الأحداث فيها تجري على هيئة فصول متتابعة ، أو خيوط متشابكة .. فالمحرك لها نجم قزم ، والفاعل مذنب ، والضحية مخلوقات تسكن هذا الكوكب !

في الصباح الباكر من يوم ٣٠ يونيو عام ١٩٠٨ ، تعرضت منطقة تنجوسكا بمجاهل سيبيريا لدمار شامل ، إثر انفجار هائل ، ولقد وصفه من رآه بأن السماء قد انشقت إلى نصفين فوق الغابة التي كانت تبعد عنه بحوالي ٦٥ كيلومترا ، وشاهد لسانا هائلا من النيران وهو يندفع نحو الأرض من الفضاء ، ثم يستطرد في وصفه للظاهرة فيذكر «وفي اللحظة ذاتها شعرت كأنما لفحة قوية من الحرارة قد أصابت قميصي ، وبدافع لاإرادي أسرعت للتخلص منه ، ولكن لم أشعر إلا بدوي هائل يصم أذني ، وكأنما هناك قوة خفية قد حملتني وألقتني بعيداً عن باب كوخي ، وبعدها فقدت وعيي ، وعندما أفقت وجدت زوجتي تبكي بجواري ، وتظن أن القيامة قد قامت» !

وعلى لسان الزوجة تأتي بقية القصة فتقول : كنت بالداخل ، وعندما خرجت لأستطلع الأمر ، وجدت زوجي وقد أطاح به الهواء الساخن بعيداً عن الكوخ بعدة أمتار ، وفي الوقت الذي كنت أحمله فيه إلى الداخل ، سمعت ضوضاء شديدة تشبه سقوط أحجار من السماء ، أو كأنما هي طلقات سريعة من مدفع رشاش ، ولقد شعرت أن الأرض تهتز تحت قدمي .. ثم جاءت رياح ساخنة مندفعة ، فكادت أن تحطم الكوخ ، وانكفأت على زوجي ، خوفا من إصابات قد تأتيني في وجهي ! .

ويجيء شاهد آخر ، فيقول : عندما جلست بجوار محراثي لأتناول طعام إفطاري ، سمعت دوياً مفاجئاً كأنه طلقات المدافع ، وبعدها سقط حصاني على الأرض وفوق الغابة البعيدة من جهة الشمال رأيت ألسنة من النيران ، ولقد بدأت



شكل (٣) بقايا حياة قديمة مسجلة على صفحات الصخور التي يرجع عمرها إلى ما يقرب من ٦٥ مليون عام ، والعظام لأحد أنواع الدينا صورات الضخمة التي اختفت مع مئات الألوف من الأنواع فجاة ، وقد يرجع ذلك الى غزو الأرض بالمذنبات !

الأشجار الكبيرة المجاورة تنحني بشدة ، مما أعطاني الانطباع بأن هناك اعصاراً مدمراً ، وهنا أسرعت للتشبث بمحراثي ، حتى لا أطير مع الإعصار ، ولقد شاهدت كتلا من الطمي وهي تنطلق وتتدحرج بسرعة على الأرض ، ورأيت الماء في نهر أنجارا وقد اندفع كحائط غريب .. لقد كانت رياحاً ساخنة عاتية لم أشهد مثلها من قبل !

ويصف أحد سكان الخيام التي كانت منصوبة على مسافة ٤٠ كيلومترا من مركز الانفجار ماحدث ، فيقول : في الصباح الباكر لم نشعر إلا والخيام تطير بمن فيها في الهواء ، وعندما سقط النائمون على الأرض ، فقد بعضهم الوعي ، وأصيب البعض الآخر برضوض وجروح ، ثم لم نشعر إلا بضوضاء عالية ، وبعدها شبت النيران في الغابة ، وأطاحت الصدمة بمساحات هائلة من الأشجار القائمة ، فسوتها جميعاً بالأرض (شكل ١) .

للكارثة أبعاد أخرى

هذه إذن عينة قليلة من روايات شهود العيان الذين كانوا يبعدون عن منطقة الكارثة بعشرات الأميال ، وقد يقول قائل : وأين كان العلماء؟ .. وهو تساؤل وجيه ، فالظروف وقتها كانت غير ظروف عصرنا هذا ، فلقد كانت لروسيا القيصرية مشاكلها السياسية والاجتماعية ، ثم أن الكارثة قد حلت بمجاهل سيبيريا ، وفي منطقة لم تكن مسكونة ، وحتى الذين كانوا يقطنون حولها كانوا من وجهة نظر المسيطرين على الحكم من الفقراء المتخلفين ، وظلت هذه المأساة في طي الكتمان حتى عام ١٩١٧ ، ومع ذلك لم تتحرك اي بعثة علمية لدراسة الظاهرة إلا بعد عشر سنوات من هذا التاريخ ، وكانت الأولى بقيادة العالم الروسي ل . كوليك ، وعندما ذهب إلى هناك ، لم يجد إلا مساحات هائلة من الأشجار التي تساوت بالأرض ، ثم بدأت الأشجار الصغيرة تحل محلها ، لكنه لم يستدل علي أثر يقوده إلى تحديد أسباب هذا الانفجار ، كما أن الأقوال التي جمعها من شهود العيان ، توضح أن الكارثة آتية من الفضاء .. لكن ما هي طبيعة الجسم الذي أطاح بالغابة ؟ بالطبع لم يهتد إلى شيء ذى بال .

ولقد اتضح من التحريات التي أمكن جمعها بعد حدوث الكارثة أن المساحة التي أبيدت كانت في حدود ألفي كيلومتر مربع ، أو مايوازي ٥٢٠ ألف فدان ، أما الانفجار نفسه فقد سمعه الناس من مسافة الف كيلومتر ، وأحدث في الغلاف الهوائي صدمة عاتية دارت حول الأرض مرتين ، ويقال إن الغبار أو التراب الذي أثاره الانفجار قد بقي معلقاً في الطبقات العليا من الهواء لأسابيع طويلة ، وكانت أشعة الشمس تنعكس عليه لتضيء مناطق بعيدة وشاسعة من أوربا الغربية ، لدرجة أن بعض الناس في الخلاء استطاعوا أن يقرأوا عليها الصحف ، رغم أنه يفصلهم عن مكان الحادث حوالي عشرة آلاف كيلومتر ، ولقد أمكن رؤية النار التي اندفعت من الفضاء من مسافات تبعد عن المنطقة بأكثر من ٧٠٠ كيلومتر ، ويقال إن الناس الذين كانوا في محطة سكة حديد كانسك قد شعروا بصدمة عاتية من الهواء المندفع لدرجة أنها أطاحت ببعضهم أرضاً ، رغم أنهم يبعدون عن مكان الانفجار بحوالي ٦٠٠ كيلومترا ، ولقد تحول الليل القطبي في المنطقة إلى ما يشبه النهار ، وظل هكذا لمدة تزيد عن السبعين يوما .. إلى آخر هذه التفاصيل الكثيرة والمثيرة التي لازالت تتوارد في المراجع العلمية ، وهي بلا شك تضع أمامنا صورة مبدئية عن ضخامة الانفجار الذي يقدره البعض بأنه أقوى من قنبلة أيدروجينية كبيرة ، وحمداً لله أنها قد أصابت منطقة خالية من البشر ، إذ لو كان الانفجار قد وقع فوق مدينة يسكنها الملايين ، لدكتهم دكا شديدا !

تفسيرات شتى

وطبيعي أن يثير مثل هذا الحدث في العقول أرقا



شكل (٤) إن عشرات من مثل هذا المذنب قد تصيب الحياة الأرضية بالشلل ، ويبدو أن ذلك قد حدث بالفعل على هيئة دورات وبسببها انقرضت مخلوقات كثيرة

فكريا يدفعها دفعا إلى البحث عن سبب معقول لما حدث . ولقد تضاربت بشأنه الأقاويل ، وتعددت التفسيرات ، فمن قائل إن الكارثة قد حدثت من نيزك هائل وقع من السماء ، والنيازك أجسام من صخر أو حجارة أو معادن ، أو خليط من هذا وذاك ، واندفاعه إلى الأرض بسرعة رهيبة يولد حرارة شديدة تؤدي إلى وهج براق ، ثم إن اصطدامه بالأرض بمثل هذه القوة التدميرية الهائلة كفيل بشق حفرة عميقة ، ومثل هذه الأحداث النيزكية قد حدثت قبل ذلك ، وتركت آثارها (شكل ٢) .. وفي هذه الحالة أمكن العثور على بقايا شظايا كثيرة متناثرة ، لكن حادثة سيبيريا لا تنطبق عليها تلك الشروط ، فلا حفرة شقت ، ولا شظايا قد وجدت ، وكأنما الذي ضرب الغابة قد فعل فعلته ثم تبخر ، ولم يترك أدنى أثر !

وقيل أيضا إن الحادثة ربما تمت من جراء سقوط مادة نقيضة لمادة كوكبنا ، والمادة والمادة النقيضة قد عرفهما العلماء حديثاً في مفاعلاتهم الذرية ، إذ أن تجسيد الطاقة أو الموجات العاتية يؤدي دائماً إلى خلق جسم ونقيضه ، لكن النقيض لايمكن أن يعيش مع مادة عالمنا ، ولهذا يفني أحدهما الآخر ، ويتحولان إلى موجات أو طاقات ، أي يمكن تمويج المادة ، وتجسيد الموجة .. فإذا كانت كارثة سيبيريا قد حدثت باندفاع كتلة صغيرة من مادة نقيضة ، لتهلك كتلة مماثلة لها من مادة عالمنا ، فلابد أن يترك مثل هذا التفاعل الجبار طاقات هائلة ذات اشعاعات مدمرة ، تؤثر في المنطقة ، وتؤدي إلى جعل ذرات مادتها مشعة ، ويبقى نشاطها الإشعاعي لأجيال وأجيال ، لكن العلماء لم يكتشفوا في المنطقة شيئا ذا بال .. ثم أن احتمال دخول هذا الجزء الصغير من المادة النقيضة إلى مجموعتنا الشمسية احتمال بعيد للغاية .

ثم ذهب أصحاب الخيال العلمي إلى أبعد من ذلك ، وتصوروا أن الحدث يرجع إلى طبق طائر يحمل روادا من الفضاء ، وأن الطبق كان مزوداً بأسلحة ذرية كانت ستستخدم في غزو الأرض ، ويزعم أصحاب هذا الرأي أن الطبق قد تعرض لمشاكل فنية أثناء دخوله الغلاف الهوائي ، فانفجر واحترق فوق الغابة . فكان ماكان ، لكن ذلك ليس وارداً على فكر العلماء على أية حال ، إذ لم يثبت وجود آثار تدل على ذلك - لا على هيئة إشعاع ، ولا حطام !

الظاهرة - بلاشك - محيرة ، خاصة وأنه لايوجد أثر واحد ينم عن طبيعة فاعلها ، ولم يبق أمام العلماء إلا افتراض واحد ، ومما هو معروف لديهم في السجلات العلمية .. فاتجهت الشكوك إلى المذنبات ، فربما انطلق مذنب ، واندفع نحو الغلاف الهوائي بسرعة هائلة ، فاحترق رأسه ، وتطايرت مادته الغازية ، وأحدثت في الهواء وهجاً عظيماً ، وضغطاً شديداً ، تمخض عن صدمة هائلة أصابت الغابة ، فسوت أشجارها بالأرض !

ورغم أن احتمال اصطدام مذنب أو جزء من مذنب بالأرض احتمال ضئيل للغاية ، إلا أن كارثة سيبيريا تتمشى مع تكوين المذنبات ، لأنها ليست من مادة صلبة كالنيازك ، بل من غازات حولتها البرودة الشديدة في أعماق الفضاء إلى بلورات ، ومن هذه الغازات البلورية ماهو قابل للاشتعال (غاز الميثان والأيدروجين مثلا) ، وما أيسر أن تتولد حرارة شديدة عند احتكاك مادة المذنب بالغلاف الهوائي ، إذ أن سرعة اندفاعه تصل إلى حوالي مائتي ألف كيلومتر في الساعة ، وعندئذ تتبخر البلورات وتحترق ، وتحدث صدمة عاتية كالمتولدة من قنبلة أيدروجينية ، ثم ينتهي كل شيء بعد ذلك ، دون أن يترك المذنب أثرا ماديا ملموساً أو غير ملموس (كالشظايا مثلا أو الاشعاعات) .

الذنب على المذنبات

والواقع أن أصابع الاتهام بدأت تشير إلى أن حادثة سيبيريا قد حدثت بجزء من مذنب ، إذ قد يحدث أن يتفتت المذنب إلى أجزاء ، وهذا ما صوره العلماء حديثاً بالأقمار الصناعية ، ويعني ذلك أن سقوط مذنب كامل يعني كارثة أشد هولا .

وأوسع تدميرا .. لكن هذا الحديث الضئيل نسبيا لايكاد يذكر بالنسبة لأحداث أخرى أبادت فيها المذنبات معظم الكائنات الحية على كوكبنا خلال الحقب الجيولوجية القديمة ، ولم تكن إبادة واحدة ، بل تكررت أكثر من مرة .

هل يعني هذا أننا معرضون لحدث مشابه ؟ .. وهل هناك علاقة بين هذه الإبادة وبين المذنب القادم الينا من الفضاء في العام المقبل ؟ (انظر دراستنا عن ذلك المذنب في العدد السابق من هذه المجلة) .

ليس ذلك تماما .. فالقادم الينا ليس هو المذنب الوحيد ، بل هناك أكثر من عشر مذنبات جديدة تدخل إلى مجموعتنا الشمسية كل عام ، لكن احتمال دخول واحد منها إلى أرضنا احتمال نادر ، وحتى لو دخل ، فسوف يكون تدميره مقصوراً على المنطقة التي دخل اليها ، ولكي يحدث تدمير كبير على مستوى الكوكب ككل ، فلابد أن تصيبه المذنبات بغزو جماعي ، ولكي يحدث هذا الغزو

الجماعي ، فلا مناص من أن يكون موجهاً بقوة أخرى من خارج مجموعتنا الشمسية ، فإذا حدث التوجيه والغزو والاصابة ، حلت الكارثة بالمخلوقات ، وانقرضت منها أنواع كثيرة ، وأعداد كبيرة ، وهذا ما كشفت عنه الحفريات الحديثة .

خذ على سبيل المثال تلك الكائنات الضخمة المعروفة بالديناصورات ، فلقد عمرت الأرض ، أو عاشت في البحر لعشرات الملايين من السنين ، لكن أنواعها الكثيرة قد انقرضت فجأة ، ولقد ظل العلماء حائرين في أسباب هذا الانقراض المفاجيء لفترة طويلة ، وطبيعي أن تكون هناك كارثة ضخمة ، لكن ماهي طبيعتها .. فهذا هو السؤال المحير الذي يبحث له العلماء عن جواب .

ولقد بدأت الأمور تتضح ، خاصة بعد أن تعاون علماء من تخصصات مختلفة لحل هذا اللغز العويص ، وظهر على مسرح الأحداث علماء فلك وحفريات وظواهر جوية وجيولوجيون وطبيعة كونية .. الخ ، وكان لكل فريق حصيلته من المعلومات التي يمكن أن تكون ذات فائدة للفريق الآخر .. فعلماء الحفريات والجيولوجيزم قد توصلوا إلى حقيقة مثيرة من خلال الدراسات الكثيرة التي تمت في البر والبحر ، إذ كان الظن السائد أن الانقراض قد حل ـ منذ ٦٥ مليون عام ـ بالكائنات الضخمة ممثلة في الديناصورات ، لكن هذا الانقراض لا يمثل إلا جزءا ضئيلا مما قد حل به الفناء ، إذ تبين أن حوالي ٩٠٪ من كائنات الأرض قد ماتت في هذه الكارثة ، وأن أنواعا وأجناساً تتبع ٥٠٠ عائلة حيوانية قد هلكت (شكل ٣) .

لكن الغريب أيضاً أن تلك الكارثة لم تكن الوحيدة ، إذ أعلن كل من العالمين دافيد روب ، وجون سيكوسكي من جامعة شيكاغو في اجتماع عقد خصيصاً في شهر أغسطس عام ١٩٨٣ بولاية أريكونا ، أعلنا أن المتتبعين لسيرة الحياة على الأرض ، يعرفون أن الحياة قد كبت وقامت مرات عديدة ، بمعنى أنها قد أصابتها مصائب أدت إلى انقراض أنواع كثيرة بالجملة ، وقدما لذلك مجلداً كبيراً يحوي تاريخ ظهور النوع وتاريخ انقراضه ، حتى لقد قيل عنه إنه يشبه دليل تليفونات مدينة كبيرة ، أو سجلات المواليد والوفيات بها ، لكن أهم مايميز هذا العمل الكبير أن العالمين قد أوضحا أن الانقراض في الكائنات كان يأتي على هيئة

دورات .. ليس ذلك فحسب ، بل ـ وهذا هو الأهم ـ أن هذه الدورات كانت تحدث في فترات تفصلها حقب زمنية تقدر كل حقبة منها بحوالي ٢٦ مليون عام ، وأن آخر عملية إبادة تمت منذ ١١ مليون عام ، ويعني هذا أن التي قبلها قد حدثت منذ ٣٧ مليون عام ، ثم منذ ٦٥ مليون عام ، وهو الزمن الذي انقرضت فيه الديناصورات مع أنواع أخرى كثيرة ـ كما سبق أن أشرنا ـ ثم تكرر

الحدث أيضاً منذ ٩١ مليون عام ، وهكذا أمكن تتبع أحداث الإبادة إلى حوالي ٥٠٠ مليون عام مضت (طبعاً هذه الأرقام قد تزيد أو تنقص مليون عام ، لكن ذلك ليس مهماً مع عشرات الملايين من السنين ، وهو خطأ مسموح به في مثل هذه التقديرات القديمة جداً من عمر الأرض والكائنات) .

المحرك الحقيقي هو القزم الأحمر

ولقد جذبت مثل هذه النتائج اهتمام العلماء ، واستنتجوا أن هذه الإبادات التي تأتي في دورات شبه منتظمة لايمكن أن تحدث هكذا اعتباطاً ، بل لابد أن يكون من وراء ذلك التوقيت محرك يحرك المذنبات ، ويوجهها نحو المجموعة الشمسية (ومنها الأرض بطبيعة الحال) في عملية غزو جماعي .. إذن ، كيف الخروج من هذا المأزق ؟

الخروج منه قد يكون باللجوء إلى علماء آخرين يعرفون أكثر عن الأجرام السماوية ، والفيزياء الكونية ، فربما كان المحرك للمذنبات شيء آخر في السماء .. وقد كان ، إذ أن علماء الفلك يعرفون أن كثيراً من نجوم السماء توجد على هيئة نظام ثنائي

أو مزدوج (Binary Star System) أي أن كل اثنين منها يدوران حول مركز جاذبية مشترك ، كما يدور راقصان على خشبة المسرح في ثنائية منتظمة ، لكن الجديد في الموضوع أن البروفيسور ريتشارد مولر ، ودكتور مارك ديفيز من جامعة كاليفورنيا ببيركلي قد أعلنا منذ سنوات أن شمسنا تتبع هذه النظم الثنائية ، أي أن لها رفيقاً شمسياً أو نجمياً يدور معها حول مركز مشترك ، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : أين ـ إذن ـ هذه الشمس



شكل (٥) معسكر علمي من معسكرات التنقيب عن آثار الحياة المنقرضة والمسجلة على الطبقات الرسوبية ، وكأنما هي صفحات كتاب دونت عليه ما أصاب الكائنات والأرض من أحداث

الملازمة لشمسنا ؟

لقد هرمت وماتت ، أو هي في دور الاحتضار ، بمعنى أنها قد فقدت حيويتها وشبابها ، فما عادت تشع كميات هائلة من الضوء والحرارة كما تفعل شمسنا الشابة ، ومثل هذه الشموس الهرمة يصعب رؤيتها ، وتعرف باسم الشموس أو النجوم القزمية Dwarf Stars ، ومن صفاتها أنها صغيرة الحجم (ربما ١٠٪ فقط من حجم شمسنا) ، كالحة الوجه ، والتعرف على مثل هذه النجوم لايتم بالمشاهدة ، بل من حساب الحركة ، لكن لاعلينا من كل ذلك ، فالحديث فيه قد يتشعب ويطول ، ويكفي هنا أن نقول إن ذلك الثنائي المجهول ، هو السبب الحقيقي فيما تتعرض له الحياة الأرضية من نكبات .

هذا ويعتقد علماء الفلك أن النجم القزم يبعد عن شمسنا حوالي ٢.٤ سنة ضوئية (أي حوالي ١٤ مليون مليون ميل) ، وعندما يدور في مداره ، فإنه يقترب من مجموعتنا الشمسية مرة كل ٢٦ مليون عام ، وفي اقترابه منها يخترق سحابة ضخمة تحيط بالعائلة الشمسية ، وتسمى هذه السحابة باسم سحابة أورت ـ نسبة إلى عالم الفلك ج . هـ . أورت من جامعة ليدن ، والسحابة ليست كسحبنا ، بل مادة رقيقة تتكون من أيونات وعناصر ومركبات بسيطة وغبار كوني ، وكل هذا يجتمع في أجسام كروية في حالة متجمدة (نسبة للبرودة المطلقة في هذا الفضاء الكوني) وهذه الأجسام هي في حقيقة الأمر مذنبات هائمة على مسافات تتراوح مابين مليون مليون ميل ، ٢٠ مليون مليون ميل من الشمس ، ويقدر أورت عدد المذنبات في سحابته بأكثر من مائة ألف مليون مذنب ، لكن عالم الفلك جاك هيلز ـ من معهد كاليفورنيا التكنولوجي ـ يضيف إلى ذلك أن أعداد المذنبات قد تزيد عن تقديرات أورت بحوالي مائة مرة ، وأنها أقرب إلى مجموعتنا الشمسية من المسافات التي قدرها أورت (أي تفصلنا عنها مسافات تصل إلى مليون مليون ميل على أكثر تقدير ـ حسب حسابات هيلز) .

ومن خلال الاستعانة بهذه المعلومات ، يعتقد معظم العلماء الآن أن الأحداث كانت تجري على النحو التالي : عندما يقترب النجم القزم من المنطقة التي تسبح فيها المذنبات ، يحدث فيها خللا أو اضطرابا ، فتندفع نحو العائلة الشمسية بأسراب هائلة قد تصل إلى حوالي بليون مذنب ، وطبيعي أن هذا الاضطراب في السحابة يستمر وقتاً طويلا ربما مابين مائة ألف ومليون عام ، وتستمر الآلاف من المذنبات تتوافد كل عام وتتجول بين كواكب المجموعة الشمسية ، وتزيد أعدادها باستمرار ، ويحتمل أن يدخل بعضها ويصطدم بالأرض ، ولهذا يقدر هيلز أن عدد المذنبات التي يمكن أن تصيب الأرض عندما يقترب النجم القزم ، يتراوح مابين ١٠ مذنبات على أقل تقدير ، ٢٠٠ مذنب على أقصى تقدير ، (شكل ٤) .

وهكذا تتم فصول المسرحية

نحن الآن نمسك بآخر حلقة في سلسلة الأحداث التي تنتهي بكوارث تصيب أرضنا كل ٢٦ مليون عام .. فوقوع عشرات المذنبات على أرضنا ، واندفاعها اليها بسرعة تصل إلى حوالي ٣٣٠٠ كيلومتر في الدقيقة ، كفيل بانفجارها في الغلاف الهوائي ، وتشتيت مادتها في أنحائه ، ثم مايتبع ذلك من اضطرابات أرضية عاتية يهون بجوارها ماحدث في منطقة نهر تنجوسا بسيبيريا ، لأن ماحدث هناك كان من جراء جزء انفصل من مذنب ، وأصاب المنطقة بهذه الأضرار البالغة ، فما بالك بواحد كامل ، ثم مابالك بعشرات تتساقط من السماء في أماكن مختلفة ، وبقوى تدميرية من عشرات القنابل النووية ؟

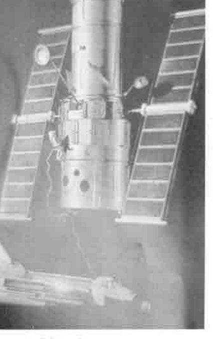
وطبيعي أن تحدث هذه المذنبات اضطرابات هائلة في الغلاف الهوائي ، وربما تغير في تكوينه الكيميائي ، إذ عندما يعرق المذنب في الهواء بسرعته الهائلة ، فإن مادته تسخن وتتوهج ، وتتحول البلورات الصلبة إلى غازات متطايرة ، أضف إلى ذلك أن المذنب المحترق يحدث في الغلاف الهوائي صدمة عاتية ، فيثير ملايين من أطنان الغبار والتراب التي تنتشر في الهواء ، وتدور فيه لأيام طويلة تالية ، لكن محصلة الاضطرابات التي تحدثها عشرات المذنبات ، كفيلة بتغيير جذري في الغلاف الهوائي ، وبحيث يصبح الغبار من الكثافة لدرجة أنه يحجب ضوء الشمس وحرارتها من الوصول إلى الماء أو اليابسة ، وتكون النتيجة أن تستمر الأرض مدثرة بالظلام ، ومغلفة بالبرودة ، وكأنما هي قد أصبحت ثلاجة هائلة تشل الحركة ، وتجمد الحياة ، وعندئذ تموت النباتات التي تعتمد على الشمس في عملية التمثيل الضوئي ، وتنقرض معظم الحيوانات التي تعتمد على النبات ، وخاصة الحيوانات الضخمة ذات الوجبات الغذائية الهائلة .

وكل خيوط هذه الكوارث معروفة ، فالمذنبات موجودة ، وفي العام القادم سيزورنا مذنب كبير اسمه مذنب هالي .. كذلك لا أحد ينكر أن هناك أنواعاً كثيرة من حيوانات منقرضة ، والعلماء يكشفون آثارها في طبقات الأرض ، وكأنما هذه الطبقات بمثابة صفحات في كتاب قديم جداً (شكل ٥) ، وعليها سجلت آثار الكوارث التي تتكرر كلما اقترب القزم ، واضطربت المذنبات .

الشيء الوحيد المجهول حتى الآن هو ذلك النجم القزمي ، فلم يستطع أحد رؤيته ، أو تحديد مكانه حتى الآن ، لكن آخر مرة اقترب فيها من المجموعة الشمسية كان منذ ١١ مليون عام ، كما تدل على ذلك آخر كارثة أطاحت بأعداد هائلة من أنواع الكائنات ، ويعني ذلك أنه الآن في أبعد نقطة من الشمس على وجه التقريب ، فهل يمكن أن تكتشف «عيون» العلم الحديث المتطورة مكانه ، خاصة بالمناظير الفلكية التي ستشيد على الأرصفة الفضائية ؟ (شكل ٦) .. أم أن أمره سيظل مجهولا لعدد من ملايين السنوات القادمة ، حتى إذا جاء يومه ، ضرب ضربته ، وأثار الخراب والدمار ؟ .

لا أحد يدري على وجه اليقين ، لكن السنوات المقبلة كفيلة بتوضيح الكثير من أسرار الكون وألغازه واكتشاف ماقد يحيط بنا من أخطار ، والعلم بالشيء أفضل من الجهل به على أية حال ـ على الأقل فيما يختص بالتمييز بين انفجار قنبلة نووية ، وانفجار مذنب ، إذ مايدرينا مثلا ماسيكون عليه الحال لو أن مذنب عام ١٩٠٨ قد وقع الآن على مدينة أو منطقة آهلة بالسكان ؟ .. الجواب : أن أحد المعسكرين الكبيرين قد يظن ذلك هجوما نوويا من المعسكر الآخر ، وما أسرع أن تشتعل الحرب الذرية نتيجة جهل أو سوء تقدير بما قد يحل بأرضنا من كوارث طبيعية غير منظورة ، وعندئذ لن تباد الحياة هذه المرة مما يأتينا من فوق ، بل مما صنعه البشر ، وعندئذ قد لا تبقي ولا تذر .. فمن يدري .. ؟

عبد المحسن صالح



شكل (٦) ربما ينكشف سر النجم القزم بهذا المنظار الفلكي الفضائي المتطور والذي يحمله مكوك الفضاء ليضعه في مدار بعيدا عن الأرض ، وعندئذ تتم فصول المسرحية التي حيرت العلماء لفترة طويلة

تذكار من فلسطين

في رحاب الحرم القدسي الشريف

يتألف الحرم القدسي الشريف من التوأمين المقدسين : « المسجد الأقصى » الذى بارك الله حوله ، واتخذه المسلمون قبلة لصلاتهم قرابة سبعة عشر شهراً من مطلع البعثة النبوية .. و « قبة الصخرة المشرفة » التى عرج منها الرسول الأعظم إلى سدرة المنتهي في ليلة الإسراء .. إضافة إلى ستة مساجد صغيرة أقيمت فى منطقة الحرم على تعاقب العصور ..

يقوم الحرم ، بجملته ، على رقعة فسيحة من الأرض تبلغ مئة وخمسين دونما . (أو ١٤٠٩٠٠ متر مربع على وجه الدقة) . أى ما يقرب من سدس مساحة القدس القديمة داخل السور ..

ونشاهد الآن ـــ فى اللوحة المقابلة ـــ ألوف المصلين الفلسطينيين وقد انتظمت صفوفهم سجداً قبالة محراب الأقصى (الذى لا تبرزه الصورة هنا) . بينما تنهض قبة الصخرة من خلفهم بجلالها الأخاذ .. وغالباً ما يتكرر مثل هذا المشهد فى صلوات الأعياد بوجه خاص ..

يعتبر مسجد الصخرة هذا أبهى عمارة روحية قدر لنوعنا البشرى أن يبتنيها على سطح المعمور . منذ أن فاضت بها قرائح المهندسين العرب في عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، فأنجزوا إشادتها ما بين سنتي ٦٦ و ٧٢ للهجرة ..

ولقد بني هذا الأثر الاسلامى الخالد بأموال شعبنا العربى المصرى ، من حيث رصد عبد الملك ابن مروان خراج مصر بأكمله لمدة سبع سنوات لتمام إنجازه .. ولقد فاض عن نفقات البناء مبلغ مئة ألف دينار ، أمر عبد الملك بمنحها مكافأة لكل من رجاء بن حيوة الكندي البيسانى ، ويزيد بن سلام القدسي ، لإشرافهما الكامل على إنجاز العمارة ، فرفض الرجلان المكافأة بقولهما : « نحن أولى أن نزيده من حلي نسائنا ، فضلا عن أموالنا » . فعندئذ أمر عبد الملك بأن يسبك الفائض ذهباً ، وأن تطلى به القبة والأبواب ..

يدعى اليعقوبي ، دون غيره من قاطبة المؤرخين العرب ـــ ومن موقع انحيازه الصريح ضد الأمويين ـــ أن عبد الملك قد استهدف من عنايته القصوى ببناء قبة الصخرة ، أن يستدرج بها الحجيج إلى بيت المقدس ، عوضاً عن مكة المكرمة التى كانت تشهد آنذاك ثورة عبد الله بن الزبير .. على أن الرأى الغالب ، والصائب أيضاً ، هو أن عبد الملك قد ألفى نفسه فى بلاد الشام مكتنفاً بعشرات الكنائس الفخمة الزاهية ، وعلى رأسها كنيسة القيامة فى القدس ذاتها ، فمن هنا ارتأى أن يكون للعمارة الروحية الاسلامية حضورها الرائع العملاق الذى لا نظير له من قبل ..

وعلى تعاقب العصور الاسلامية لحقت بالصخرة المشرفة عدة ترميمات موضعية .. على أن أطرف تلك الترميمات ، وأدعاها إلى الاستهجان فى آن ، هو ما حدث عند ترميم الخليفة المأمون لبعض أجزاء المسجد ـــ بعد ما يزيد على قرن من إنجاز بنائه سنة ٧٢ هـ فحذف العمال إسم عبد الملك بن مروان ، واستبدلوا به إسم المأمون ، دون أن يفطنوا إلى تبديل تاريخ البناء الأساسي .. فجاءت الكتابة على النحو الساخر التالي : « بنى هذه القبة عبدالله الإمام المأمون ، فى سنة اثنتين وسبعين ، فتقبلها الله منه ويرضى عنه آمين » !! ..

* * *

واقتباساً عن العلامة الفلسطيني الراحل ، عارف العارف ، فى كتابه « تاريخ قبة الصخرة والمسجد الأقصى » :

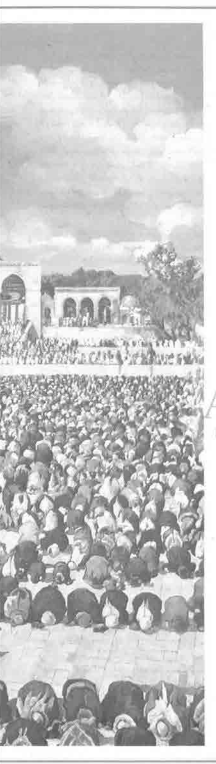
قال ج فرغسون : « لقد زرت كثيراً من القصور الضخمة والعمائر الرائعة فى الهند ، وأوروبا ، وفى أكثر أنحاء العالم ، ولكنني لم أر ما هو أروع ولا أبدع من قبة الصخرة » ..

وقال ت . هايتر لويس : « إن مسجد الصخرة دون ريب هو أجمل الآثار التى خلدها تاريخ الإنسان » ..

وقال كروزويل : « لقد بهرت قبة الصخرة ببهائها ، وورونقها ، وفخامتها ، وسحرها ، وتناسقها ، ودقة نِسَبها ، كل من حاول دراستها من العلماء والباحثين » ..

وأخيراً ، لغوستاف لوبون قوله : « قد يفكر المرء فى تلك القصور السحرية التى يبصرها بخياله أحياناً ، ولكن الخيال يأتي أقل من الحقيقة فى أمر جامع عمر » ..

يوسف الخطيب





في رحاب المسجد الأقصى



(١) الزفاف القطري .. للطالبة الفنانة خولة المناعي

نحو مدرسة قطرية في الفن التشكيلي

بقلم : الدكتور محمود البسيوني

- رسوم الطالبات القطريات بين مدرسة عصر النهضة والمدرسة الشرقية في التصوير .
- لوحات نابضة بالحياة والحركة .. تتميز بالبساطة والصراحة والألوان الزاهية المتناسقة
- حس الفتاة القطرية أقرب إلى ما سجله التراث الإسلامي الشرقي في المخطوطات
- الاتجاه نحو مدرسة قطرية في الفن ، بعيدة عن التعاليم الأكاديمية المستمدة من عصر النهضة الايطالي

(٢) الزفاف القطرى برؤية أخرى للطالبة الفنانة مريم الموسى

أسلوب آخر فى معالجة موضوع الزفاف القطرى فى لوحة الطالبة الفنانة عائشة الخليفى

(٤) مدخل مميز آخر لسهرة الزفاف في لوحة الطالبة الفنانة فاطمة عبد الرضا

نحو مدرسة قطرية في الفن التشكيلي

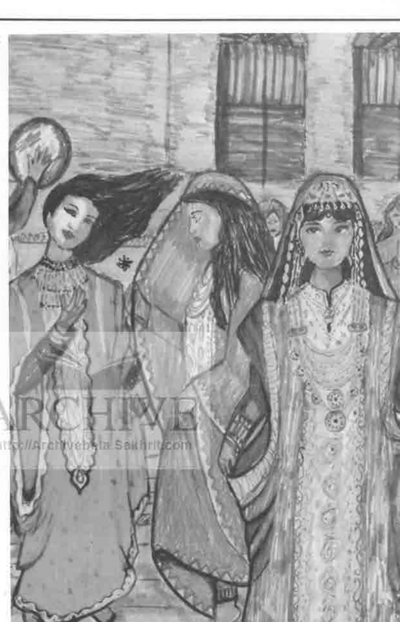
يقصد بكلمة « مدرسة » في هذا المضمون ، وحدة الفكر المشتركة بين إناس يعيشون في اطار ثقافي واحد ، ويجمعهم تاريخ حضاري طويل ، فحينما يبدعون بأدوات الفن التشكيلي وخاماته ، نستشعر من خلال تعبيراتهم سمات متفردة ، وخصائص ظاهرة ، وتقاطيع مميزة ، حتى ولو لم تعرف أصلا اسماءهم ، لكن تعبيرهم له طابع يدل عليهم ، ويشير إلى أن اصحابه لهم مذاق خاص يتفردون به عن غيرهم من البشر الذين يعيشون في بيئة أخرى ، لها عادات وتقاليد مغايرة عبر تاريخهم المختلف ، الذي ينبيء عن مذاق آخر. والسؤال الذي يبحث عن إجابة ، هل الحركة التشكيلية في قطر تمهد لمدرسة قطرية ذات معالم خاصة يمكن بيسر التعرف عليها ؟ وماسمات تلك المدرسة ؟ وكيف تتكون ؟

لو رحلنا بتفكيرنا عبر عصر النهضة الايطالي لوجدنا مقدمات ساعدت على تشكيل التعبير الذي اتخذ وجهة معينة ، فقد كان هم المفكرين الأوائل في هذا العصر ، اعادة انعاش الفنين الإغريقي



(٦) القيم الزخرفية والحركة المتناغمة في لوحة الرقص الشعبي القطري للطالبة الفنانة خالدة الهيل

(٥) الرقص الشعبي القطري كما عبرت عنه الطالبة الفنانة سعيدة سعدون



والروماني . وتقريب الصورة المرسومة من الطبيعة بإيجاد البعد الثالث ، وابراز المنظور ، والظل والثورة والتشريح ، حتى يفهم المشاهد ، وبخاصة الذى لا يعرف القراءة والكتابة ، الصور الغربية التى تحكى له قصة المسيح عليه السلام ومعجزاته . كانت تصور له الأحداث واقعية ، لتنتقل إليه بيسر الرسالة الدينية . وسرعان ماتبارى الفنانون التشكيليون من جيوتو (١٢٦٦ ــ ١٣٣٧) وماسوليفو (١٣٨٣ ــ ١٤٣٢) وماساشيو (١٤٠١ ــ ١٤٢٨) فى بداية الرحلة وحتى ميكلانجلو بيوناروتى (١٤٧٥ ــ ٠٥٦٤) وليوناردو دافنشى (١٤٥٢ ــ ١٥١٩) ورافاييل سانزيو (١٤٨٣ ــ ١٥٢٠) فى قمتهم ليحققوا هذا الهدف . فحينما نقتلع أى صورة من هذا العصر نجد أن لها تلك السمات التى انطلقت منها شرارة عصر النهضة بأكمله ، الذى عاش من القرن الثالث عشرحتى القرن السادس عشر تقريباً . وحينما تقع أبصارنا على بعض هذه الصور فى مواقعها فى الساحة الإيطالية ، أو فى متاحف العواصم الكبرى فى أوروبا وأمريكا نجد أننا أمام تعبيرات لها انتماؤها ، ويجمعها فلسفة مشتركة ، ومنهج مميز .

وبالمقارنة نتذكر المخطوطات الشرقية الإسلامية ، التى عاشت فى منطقة الشرق الأوسط لفترات موازية تقريباً لعصر النهضة ، ولكنها لم تأخذ من هذا العصر ، وإنما كان لها سماتها الشرقية . فهى لم تهتم بالبعد الثالث ، واقتصرت على البعد الثاني . وجمعت الصورة عدة لقطات فى وقت واحد ، واستخدمت الكتابة الإيضاحية كجزء متكامل مع التعبير ، أما التفاصيل فكانت تمتلؤ بها هذه التعبيرات . رأينا هذه المخطوطات ممثلة فى : كليلة ودمنة ، ورسائل اخوان الصفا ، وكتاب البيطرة ، ومقامات الحريرى ، والأغانى ، والقصائد الخمس وغيرها . فالصور الواردة فى هذه المخطوطات ذات نسق متقارب من ناحية التسطيح ، وتعدد الرؤى ، والاهتمام بالملامس ، ووهج الألوان ، والقيم الزخرفية المنتشرة . إن الصور فى هذه المخطوطات تختلف فى مجموعها عن صور عصر النهضة . وهى تمثل مدرسة فكرية مميزة .

وحينما ننتقل إلى الرسوم التى تصورها طالبات قسم التربية الفنية بجامعة قطر بأناملهن الرقيقة ، نجد عدة ظواهر توضح أن هناك اتجاهاً موحداً لهذه الرسوم . فهل هو اتجاه مقصود ؟ أم تلقائى ؟ وهل يجمعه وحدة ؟ أم أنه يمثل شتاتاً ؟ هل له جذور غربية أم شرقية ؟ هل هو امتداد لمدرسة عصر النهضة أم للمدرسة الشرقية فى التصوير ؟ وما هى السمات الغالبة فى تلك الرسوم ؟

لو تأملنا الصورة رقم (١) على سبيل المثال ، للاحظنا أن مسرح الصورة عبارة عن تجمع من الجانب فوق حافتها السفلى ، وعملية التنظيم فى تتابع الأشخاص تمثل امتداداً لتعبيرات الطفولة ، والحس قطرى حيث أن العريس وحده الذى يظهر فى الصورة بزيه الوطنى ، ومعه العروس ، وتحف



مخطوط اسلامي من الشرق الذي تأثرت به الطالبات القطريات

نحو مدرسة قطرية في الفن التشكيلي

بهما المدعوات . والموكب يمثل المراسم التى تحدث فى هذه المناسبة ، ببساطة ، وصراحة ، وألوان زاهية تجمع بين التباين والتناسق .

وفى الصورة رقم (٢) ترجمة أخرى للموضوع ، أما الاختلاف فى أن الرؤية من الأمام ، ويتمركز العروسان فى الوسط ، بألوان بيضاء مميزة عن سائر الأشخاص . لكن هذه الصورة وسابقتها تشتركان فى التسطيح ، أى أن كل واحدة منهما ذات بعدين ، ومليئة بالملامس ، وبالقيم الزخرفية للأقمشة ، وتقنية خامة الفلوماستر . كما أن الألوان زاهية وهى ألوان من النوع الأساسى غالباً الذى لا خلط فيه ، واستخدام اللون الأسود متمم لبقية الألوان ، ويحدث توزيعاً سليماً سواء في الأرضية . أو الشعر ، أو الأقنعة .

وفى الصورة رقم (٣) محاولة لطالبة أخرى لنفس الموضوع ، لكنها جاءت بتكوين أكثر تعقيداً وتداخلا . وهو تركيب من الأمام ، ملىء بالملامس ، والقيم الزخرفية ، والألوان الزاهية . والتكوين من النوع المسطح ذى البعدين ، وفيه حركات يكمل بعضها البعض الآخر . والصورة فى مجموعها ذات نمط هندسي .

أما الصورة رقم (٤) فتعطى مدخلا آخر مميزاً ، حيث أن مسيرة الزفاف مازالت فوق خط أرض واحد تقريباً ، إلا أن للصورة مركز اهتمام واضح وهو العروس ، التى تميز رداؤها وبخاصة فى الجزء العلوى الذى ظهر باللون الأبيض المميز عن سائر الألوان . وهناك محاولة لإيجاد منظور خلق للفراغ ، لكنه جاء مسطحاً . والصورة تشترك مع سابقاتها فى نفس القيم ، التى تعتبر امتداداً لفن الطفولة ، وشكلا من أشكال المدرسة التعبيرية البريئة أو الساذجة .

وإذا انتقلنا لموضوع آخر مثل الرقص الشعبى القطرى كما هو واضح فى الصورتين (٥) ، (٦) نشاهد استمراراً لهذه الروح التى سادت فى الصور السابقة ، مع عناية اضافية بعنصر الحركة . وهناك محاولة لتنغيم الأرضية بخطوط زرقاء لكنها تمثل فى عمومها خلفية مسطحة . أما فى الصورة (٦) فتلوح فيها القيم الزخرفية والملمسية والحركة فى تناغم وتآلف .

وتظهر ملامح الاتجاه نحو مدرسة قطرية في الفن التشكيلى لو قارنا الصورة السابقة بالصورة التراثية الواردة فى رقم (٧) وهى من المخطوطات الاسلامية التى تنتمى لنهاية القرن السادس عشر والموجودة حالياً فى المتحف البريطاني بلندن . ما هى أوجه التشابه ؟ لأول وهلة تظهر فى نصاعة الألوان التى تخرج من «البالتة» مباشرة دون خلط ، وفى ملامس السطوح ، وقيمها الزخرفية ، وفى تسطيح الأشخاص وربطها بخطوط أرض مختلفة . أكأن لتعبيرات الطالبات منبع حي فى التراث الشرقي فى التصوير ، الذى امتد فى منطقة الشرق الأوسط وعاش قروناً متلاحقة فى المخطوطات الموجودة حالياً فى مكتبات أوروبا وأمريكا ومتاحفهما .

لقد عشنا طويلا على موائد الغرب ، نأخذ منها الغث والثمين بلا تفرقة ، وقد انستنا هذه المعيشة شخصيتنا المميزة ، وماضينا الفنى الأصيل . لكن بصيص النور مازال يبدو فى البراعم الجديدة حيث أن الفتاة تحاط برعاية خاصة فى قطر ، وحسها الفنى أقرب إلى ما سجله التراث الإسلامى الشرقى فى المخطوطات ، ولم يشوه بعد بالتعاليم الأكاديمية المستمدة أصلا من عصر النهضة الايطالى ، وما تبعه من مدارس . فكلما وعينا بجمال التعبير الوارد فى أعمال التصوير الابداعية التى تنتجها فتياتنا فى قطر ، ساعد ذلك فى بلورة واعية لمدرسة قطرية فى الفن التشكيلى ، تعتبر امتداداً معاصراً للمدرسة الإسلامية الشرقية فى التصوير ، التى ظهرت فى المخطوطات المختلفة . ولنا فى النتائج المعروضة خير سند لهذا الاتجاه .

محمود البسيوني

جامعة قطـر



بقلم : الدكتور محمد البهي

علاج الخلاف بين الزوجين

علاج الخلاف بين الزوجين جاء في سورة متأخرة في الوحي المدني ، عن الإشارة التي في السورة الأولى منه اذ جاء ذلك في سورة النساء ، اذ هي تأخذ في ترتيب النزول في التشريع لبناء المجتمع الاسلامي : وضع الصورة السادسة .

والسورة الأولى المدنية اذن كانت تتفرغ لقضية الطلاق ، في العلاقة بين الزوجين . اذ الطلاق وإن كان يمثل حلا لأزمة في العلاقة بين الرجل والمرأة ، الا أنه ينبيء عن خطورة هذه الأزمة . اذا ترك وضع الزوجة فيه من غير تحديد دقيق ، يكفل لها سلامة الخروج من الأزمة كريمة .. غير مستذلة وغير مستغلة .

والوضع السابق على رسالة الرسول عليه السلام ــ وهو ما يسمى بالعهد الجاهلي .. أو العهد المادي الوثني ، وهو يتكرر إن طغت المادية والأنانية ــ يشير في وضوح : الى أن المرأة استضعفت واستغلت فيه استغلالا كبيراً ، وقاسياً ، رغم ان الطلاق كان اذ ذاك من وسائل الفرقة بين الرجل والمرأة . ولكن عدم تحديده .. وتحديد نتائجه والتزاماته تحديداً دقيقاً : أدى الى سوء استخدامه ، وكاد يصبح طريقاً لاذلال المرأة واكراهها على التنازل عن مالها أكثر مما هو طريق للتفرقة بينهما في كرامة بشرية .

والتشريع القرآني ينهى عن ذلك الطريق الجاهلي في استخدام الطلاق . اذ تقول سورة النساء التي تتكفل اما بالنهي عن عادات جاهلية كانت قائمة بين الرجل والمرأة .. واما بتخطيط طريق العلاج لأزمة الزوجية ، قبل أن يتعين الطلاق خلالها .

فيقول الله تعالى ــ فيها ــ نهيا عن استغلال الزوجة في صور مختلفة :

« يا أيها الذين آمنوا : لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرهاً ،

« ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ، الا أن يأتين بفاحشة مبينة ،

« وعاشروهن بالمعروف ، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ، ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ،

« وان اردتم استبدال زوج مكان زوج ، واتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً واثماً مبيناً » النساء ١٩ ، ٢٠ .

.. فهي هنا عن ثلاث صور من استغلال المرأة . وقد تميز بها العهد الجاهلي في علاقة الرجل بالمرأة .

الصورة الأولى : أن تستغل المرأة على العموم ــ زوجة ، أو غير زوجة بأن يؤكل ميراثها ، بضمه الى ميراث انسان يشاركها في الأرث .. أو بالمماطلة في عدم تحديده حتى تيأس من أخذ نصيبها فتستسلم . وتلك عادة كانت من خصائص العهد الجاهلي ــ وهي من خصائص الجاهلية ، والمادية الوثنية الى يوم البعث ــ وجاء القرآن في وصفها ، في قول الله تعالى : « وتأكلون التراث أكلا لما » (أي في غير تمييز بين الحلال والحرام .. وبين حق هذا ، وحق ذاك . والنهي عنه هو ما تعبر عنه الآية بقول الله تعالى :

« لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً » . .

والصورة الثانية : أن يضايق الزوج زوجته في المعاشرة الزوجية ليحملها على أن تفدى نفسها بالتنازل عن مهرها كله ، أو بعضه ، وتخلع بذلك نفسها .

« ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » (أي من مهور) الا أن يأتين بفاحشة مبينة (أي الا إذا سلكت الزوجات في الغلظة للزوج وأهله مسلك الفحش الواضح . عندئذ يجوز للأزواج أن يأخذوا من مهرها شيئاً مقابل خلعها منه .

والصورة الثالثة : أن يريد الزوج الزواج بامرأة جديدة ، على أن يطلق زوجته الحالية فتعلم بذلك ، وتضطر لأن تراضيه باعطائه ما دفع من مهر كله ، أو بعضه حتى لا يأتي بالجديدة ويطلقها هي :

« وان أردتم استبدال زوج مكان زوج (أي الزواج بامرأة أخرى غير التي هي موجودة على ان تطلق هذه) وآتيتم احداهن قنطاراً (أي أية واحدة من الموجودات ، اذا كن أكثر من واحدة معه) فلا تأخذوا منه شيئاً ، أتأخذونه بهتاناً واثماً مبيناً » (أي تأخذونه كذباً وعصياناً لما أمر به الله من حسن معاملة الزوجة . وليس من حسن معاملتها ابتزاز مالها عن طريق تهديدها ، بالزواج بأخرى عليها . وما يأمر به الله هو على نحو ما جاء قبل الآية من قوله سبحانه : « وعاشروهن بالمعروف . فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً . ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » .



أحفل أيامي بالسعادة والرضا

في هذه الحلقة الجديدة تواصل الشاعرة الكبيرة فدوى طوقان سرد ذكرياتها المضيئة التي تمتلىء بالصدق والدفء والعذوبة عن أيامها في لندن

التحقت (بمدرسة سوان) القائمة في شارع بامبوري أحد الشوارع الرئيسية الكبيرة في اكسفورد. وكنت قد انتقلت إلى المنزل رقم (١٠) في «بينتون رود» لأقيم مع سيدة وقور في السبعينات من العمر اسمها «مسز فيتهام».

في لقائنا الأول تم الاتفاق على أن أدفع اليها في نهاية كل أسبوع جنيهين ونصف الجنيه على أن أكون مسؤولة عن وجبات طعامي وتكاليف التدفئة. كانت صفقة رابحة بالنسبة لدخلي المتواضع، وكان علي أن أعود نفسي على الاقتصاد في نفقات معيشتي، فلم أكن أشتري من الملابس أكثر مما أحتاج إليه، كما اهتديت إلى مطعم صيني صغير، لطيف جداً، ونظيف جداً. كنت أتناول فيه وجبة ساخنة مقابل أربعة شلنات ونصف الشلن.

كانت مسز فيتهام قد سألتني في لقائنا الأول عما إذا كنت أحب مساعدة الآخرين. وحين أجبتها بالإيجاب قالت: انني كما ترين امرأة مسنة، وأنا لا أستطيع مغادرة سريري في الصباح قبل أن أحتسي فنجاناً من الشاي الساخن مع تناول الفطور، وستكون مساعدة إنسانية منك لو جهزت لي كل صباح فنجان الشاي مع الفطور وأحضرته إلي.

رحبت بالطلب كما سعدت به. ففنجان الشاي هذا سيوثق علاقتي بها، وهذا ماحصل فعلا. علمتني طريقة تجهيز اللحم ورحت أقوم كل صباح بأداء هذه الخدمة التطوعية. وأكثر من ذلك شرعت أقوم بشراء ما تحتاج إليه بين حين وآخر من خضار وفاكهة ولحوم. كما كانت تسألني مرافقتها إلى الكنيسة في بعض صباحات أيام الأحد، وذلك حين تكون في حالة ضعف ووهن، فتتكىء على ذراعي طوال الطريق إلى الكنيسة التي لم تكن على مسافة بعيدة، وحين أبديت لها ذات يوم ملاحظتي بصدد خلو الكنيسة إلا من عدد ضئيل من المصلين اكثرهم من كبار السن قالت وهي تهز رأسها بأسف: «هذه يابنيتي لعنة الحضارة المادية، الدين هذه الأيام في أوربا قائم فقط في الكنيسة».

كانت ذكية ولماحة بشكل مذهل. وذهنها الحاد لم تلمسه أصابع الشيخوخة بعد بالرغم من تقدمها في السن. كان الاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية هواية ملازمة لها. وكانت تعتبر الموسيقى الدينية أرقى أنواع الموسيقى. تجلس إلى جهاز الراديو الذي ماتجاوز صوته الخفيض قط باب غرفة الجلوس. وتصغى بخشوع وانخطاف إلى الأوركسترا السيمفونية وهي تعزف لباخ وهاندل وسواهما. ولا أنسى يوماً رافقتها فيه إلى كتدرائية كرايس تشيرش للاستماع إلى جوقة مرتلين مشهورة كانت قد قرأت اعلاناً عنها في جريدة اكسفورد اليومية. في الحقيقة، لا يمكن وصف جمال ذلك الأداء وجمال تلك الأصوات. لم أكن

● الصداقة الحقيقية انتصار من انتصارات الحياة وهي أطول عمرًا من الحب

● كلمة عرب في خيال الغربيين لا تعكس إلا صورة الخيمة والصحراء والجمل

أصغي إلى إنشاد ينبعث من أصوات بشرية ؛ بل أحسستني أحلق مع موسيقى الأجواء الكونية وقد اختفى كل شيء حولي .

كان العام الذي أمضيته في (مدرسة سوان) باكسفورد من أحفل أيام حياتي بالسعادة والرضى . فلقد نعمت . بالإضافة إلى الفائدة التعليمية التي حصلت عليها هناك ، نعمت بصداقات جميلة لايزال بعضها قائماً راسخ الجذور رغم البعد الجغرافي . إن للصداقة طعماً حلواً ودفئاً يستكين له القلب ، والصداقة الحقيقية انتصار من انتصارات الحياة ومكسب من مكاسبها . ولعلها تفوق الحب فهي أطول عمراً وإن كان الحب أشد تملكاً وتحكماً في عواطف المرء وإحساسه . ولكن من البديهي أن الناس لايتشابهون في علاقاتهم البشرية . هناك الصديق الهين اللين الذي لايفرض عليك الأشياء فرضاً ولا يصر على شيء ؛ وهناك الصديق المتعب المتعنت والذي تتحول معه الصداقة إلى عبء ثقيل . ما نفع الصداقة وأين حلاوتها إن لم تكن تجري بين قلبين كجريان الماء . أما المأساوي والمفجع فهو اكتشافنا أن هناك من الأصدقاء من تجردوا من أخلاقيات الصداقة . ومن بلغت أنانيتهم مبلغها البعيد المفضي إلى إيذائنا والإساءة إلينا ونحن في غفلة من الأمر . ولعل هناك حقيقة نفسية وراء بيت الشعر القائل : «احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة» .

على أية حال . إذا كانت إنكلترا قد أصبحت هوى لي منذ ذلك العهد البعيد فما ذلك إلا بسبب الأشخاص الذين عرفتهم وأحببتهم هناك . والإنسان إذا أحب بلداً فإنما يحبه من خلال الناس الذين عرفهم فيه . ولعل الصداقة التي نشأت بين عائلة سوان وبيني هي من أجمل ذكرياتي هناك ، ولا تزال روابط تلك الصداقة قائمة حتى كتابة هذه السطور . قبل فترة ليست ببعيدة تلقيت من مسز سوان رسالة تذكرني فيها بأن لي أهلا في اكسفورد . ومن جانبي فلابد لي كلما زرت انكلترا من زيارة تلك العائلة الصديقة . ولست أنسى رسالة تلقيتها منها بعد الاحتلال الإسرائيلي للضفة عام ١٩٦٧ تفيض بالمشاعر النبيلة وبالتعبير عن القلق من أجلي .

ومن أجمل الرسائل التي تلقيتها تلك التي بعثت بها الي عام ١٩٧٢ احدى أعضاء هيئة التدريس واسمها الآنسة مورغان . إنسانة حنون ، دافئة القلب ذات نزعة صوفية انسانية ، تؤمن بوجود الخير والحق في هذا الوجود وبشمول الأخوة الإنسانية في النهاية والوحدة الإنسانية رغم ما يبدو من تفكك الألفة بين الناس وعدم الترابط بين البشر . كانت تدعوني أحياناً إلى شرب الشاي في منزلها وتحيطني بجو من الألفة التي تبعث الغبطة في النفس وتمحو الشعور بالغربة .

تقول في رسالتها آنفة الذكر : «لعلك تتساءلين عن هذه التي تفاجئك بالكتابة اليك . لكني لا أزال أذكر مشوارنا معاً في شمال اكسفورد ذات مساء ربيعي نتحدث عن الحياة ومشاكلها . والآن قرأت ترجمة لبعض قصائدك ورأيت بعض صور نابلس في التلفزيون ، وهكذا ترين إلى أي حد أنت في تفكيري . وكان علي أن أكتب إليك وأخبرك بهذا . من الأشياء الأساسية تذكير النفس بأنه لا يزال هناك الحب والثقة والتفهم والتقدير المتبادل مهما بدا لنا أن العكس هو حقيقة قائمة .

ماذا يستطيع المرء أن يقول لك ولبني قومك وهو قابع في بيئة الدافئ المريح ، أنتم الذين تبدون وكأنما تحملون الوطأة العظمى لآلام العالم .

قد تبدو الكلمات مقيتة : ولكنا نعرف بالتأكيد أن كل فكرة محبة ، وكل عمل من أعمال الرحمة ، وكل اعتبار متسامح لانسان آخر ، انما هو الموت والنهاية لكذبة العراك والنزاع التي تصارع لتبقى كما لو أنها حمى . إن الاتحاد هو في طريقه إلى هذا العالم ولو كان من الصعب ملاحظته خلال معاناة آلام الوضع ، ولكن عملية الميلاد مستمرة : وطفل توحد العالم سيولد من خلال الايمان والثقة والوحي لدى اناس كقومك» .

هذا يقودني إلى الحديث عن الانطباع الذي تركته في نفس إقامتي هناك بالنسبة لطبيعة الإنسان الانكليزي وما عرف عن قوة إحساسه بفرديته وحبه لعزلته ، فهو شديد التحفظ (والخصوصية) ، لا يتكلم عن نفسه ولا يستحضر في أحاديثه موضوعات شخصية تشعرك بالحميمية وبالألفة الإنسانية . وتحفظه هذا ليس تجاه الأجنبي فقط بل تجاه الإنسان الإنكليزي نفسه . وعبارة (بيت الإنكليزي قلعته) من أقوالهم المأثورة ، فهو لايسمح لأحد بدخوله . ان الأسرة الإنكليزية مرتبطة بالبيت . ولا تحب تبادل الزيارات مع الجيران ، حبها يستأثر به بيتها وكلبها وحديقتها . ترى الجار يحيي جاره من وراء سياج الحديقة . ثم يعلقان بكلمتين على حالة الطقس ، ولا أكثر من ذلك . ولكن أهل الريف يظلون أكثر وداً وتلقائية .

من جهة أخرى يبقى الانكليزي متحفظاً إلى أن يثق بك . فإذا حصل التعارف الحقيقي ونشأت الصداقة تصبح أنت جزءاً من الأسرة وتستمر العلاقة . إن القول بأن الانكليز غير عاطفيين وغير انفعاليين تدحضه فيما أعتقد حقيقة كونهم جنساً منضبطاً إلى أقصى حد ، ولعل ذلك يرجع إلى أسباب تاريخية واجتماعية ، انهم يتعمدون إخفاء انفعالاتهم تحت قناع من البرود المصطنع .

* *

لا تنحصر عندي قيمة السفر في الاستمتاع بالتحرر والاستقلال ، ان الشعور بالنقص الانساني هو الدافع الحقيقي الذي يدفعني إلى السفر ، فهو النبع الزاخر للمعرفة . في السفر يتعلم المرء الكثير ، تتسع آفاقه ، يلاحظ ويراقب إيقاع الحياة المختلف بين كل بلد وآخر . في كل مكان وجه جديد للانسان الذي لايتغير في جوهره . فهو كتلة مشاعر ومطامح ونوازع تتقلب بين الانتصارات والانكسارات .

كان أكثر ما أحببته ذلك الطابع الانكليزي المتجسد في الصوت الخفيض أثناء الحديث وفي الصمت المخيم في الأماكن العامة كالحافلات وصفوف الانتظار . لاريب في أن البيت هو المدرسة الحضارية العظمى من ناحية تأثيره على الانسان المتمدن . كل العائلات التي عرفتها أو عشت بينها تتحدث إلى أطفالها بهدوء ، بصوت خفيض ، حتى في حالات التعنيف أو التأنيب . في الأحياء السكنية لايكاد المرء يسمع غير أصوات الطيور الجميلة . فاستعمال أبواق السيارات محظور حتى في الشوارع العامة المزدحمة بالعابرين إلا إذا اقتضت الحاجة القصوى استعمالها ، وللحظة فقط .

أما الحب فعلى قارعة الطريق ، في الحدائق ، في السينما ، في كل مكان . والقبلة بين الجنسين سهلة التناول ، بل قل رخيصة جداً ، وكأنها ظاهرة بيولوجية مألوفة كشرب الماء . قلت للسيد

أحفل أيامي بالسعادة والرضا

فيرنيش ذات يوم وقد لفت نظري فتى وفتاة في العشرينات من العمر يتعانقان على رصيف الشارع ويتبادلان القبل دون الاهتمام بالعابرين ودون اهتمام العابرين بهما . قلت له إن للحب قدسيته وسريته وهو أمر خاص جداً فما بال هؤلاء اليافعين يجردونه من غموضه وسريته ؟ قال لندع هؤلاء يحيون حياتهم ويسعدون بها . الحرب علمتنا الكثير وغيرت بلاد التقاليد والبيوريتانزم . أن نصنع الحب أفضل من أن نصنع الحرب .

ووجدتني أطرح على نفسي هذا السؤال : أي السلوكين أصح ، حرمان «وكبت» يكون نتاجهما اهتزاز في شخصية الفرد وانحرافات في سلوكه ، أم إطلاق الحرية بحيث لايعود الجنس مشكلة الفرد والمجتمع معاً ؟

سؤال تصعب الإجابة عليه لشدة الفرق والاختلاف بين الفكر الغربي «والفكر الشرقي» ، فلكل بلد تقاليده وأفكاره ومبادئه وظروفه ، والشرق هو الشرق والغرب هو الغرب ولا يلتقيان ، كما قال الشاعر كبلنج .

هذا ولعل تقلص الإمبراطورية وانكماشها غير الانكليز . فالجيل الجديد يتهكم اليوم على تعبير (بريطانيا العظمى) وهو لايمارس العجرفة التي اتسم بها جيل ماقبل الحربين ، ذلك الجيل الذي خرجه نظام المدارس الخاصة ، وكان نظاماً يهمل تنمية العواطف وينحو نحو الغلظة والقسوة لكي يقدم إلى الإمبراطورية الاستعمارية مترامية الأطراف ساسة تكلست عواطفهم وتحجرت قلوبهم . لقد أذهلني أن واحداً من الأساتذة الشباب كان يلقي علينا محاضرة عن شعراء الحرب العالمية الأولى والذين عرفوا باسم «الشعراء الجنود» ، وحين مر بقصيدة يهتف فيها الشاعر : انكلترا ، انكلترا انكلترا - مضى الأستاذ يتهكم على هذه العاطفية الوطنية المبالغ فيها .

* *

قضيت عيد رأس السنة ١٩٦٣ مع عجوزي المحبوبة مسز فيتهام لدى ابنة أخيها في ضاحية رامسدين Ramsden من ضواحي اكسفورد ، واستمتعت بالضيافة وبالاشتراك في الاحتفال التقليدي البهيج في ظل شجرة عيد الميلاد المتوهجة بالمصابيح الملونة . بعد تناول وجبة الديك الرومي وحلوى البودينج أقبلت على الابنة الطفلة (١٢ عاماً) وشقيقها (٩ سنوات) وبدءا يدردشان معي ، وكانت الدردشة أسئلة غريبة : هل لديكم كراسي في بلاد العرب . هل تنامون على أسرة ؟ هل تشربون الماء بكؤوس بللورية ؟ قلت : ماذا تظنان ؟ وتذكرت أطفال عائلة فيرنيش وأسئلتهم المشابهة .. إن كلمة عرب لا تعكس في خيال الغربيين إلا صورة الخيمة والصحراء والجمل .

فتحت حقيبة يدي وأخرجت منها بعض الصور الفوتوغرافية المأخوذة في دارنا القديمة وكان معي بعض صور لمدينة نابلس أخذت من قمة البلدية بأشجارها السامقة وأزهارها المتنوعة . فكانت الدهشة وكان الاستغراب فسألتني الطفلة أن أرسم لها شيئاً في دفترها ، أي شيء . رسمت بيتاً بدرج مع حديقة حول البيت . رأت الأم الرسم وسألتني إن كنا نعرف الدرج في بلادنا .. من الغريب أن تلتصق صورة الخيمة والصحراء بأذهان البريطانيين بهذا الشكل كأنهم لم يستعمروا بلادنا لعدة عقود .

يظل الانكليز بصورة عامة غير معنيين بما يجري خارج عالمهم البريطاني ، وباستثناء المتخصصين فالفقراء والعاديون هناك لايقرأون في صحفهم سوى الموضوعات المتعلقة بما يجري في بريطانيا . وهذه حقيقة سلم بها أحد الأساتذة في مدرسة سوان حين واجهه بها بعض الطلاب الأوروبيين في الصف .

كنت حريصة طوال إقامتي هناك على مطالعة الصحف الانكليزية . فالصحافة إلى جانب الإذاعتين المسموعة والمرئية هي أفضل وسيلة نضع من خلالها اصبعنا على نبض الحياة الجارية على مختلف الأصعدة ، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

كان في تصوري أن المرأة الانكليزية التي حاربت من أجل حق الانتخاب وانتصرت قد حازت على المساواة التامة بالرجل . وإذا بالصحافة تفيض بأخبار حرب الجنس الساخنة جداً . فالمرأة لاتزال تطالب بمساواتها مع الرجل في الأجور ، انها تقوم بنفس العمل والكفاءة كالرجل ولكنها تنال أجراً أقل لأنها بكل بساطة امرأة .. وكذلك فإن الوصايا التي تقول : «مكان المرأة بيتها» و «المرأة يجب ألا ترى ولا تسمع أو تفعل أي شيء يجرح غرور زوجها وخيلاءه» مثل هذه الوصايا كان هناك من ينادي بها . كما كان هناك من يحمل الفكرة التي تقول إن المرأة تابع يدور في فلك الرجل ، أو الفكرة التي تقول إن الوقت والنقود المبذولة على تعليم الفتاة هما وقت ونقود ضائعة ، فبالرغم من التعليم الحكومي المجاني كان لابد لعديد من الآباء ، إذا أرادوا تعليما جيدا لأبنائهم ، من التضحية المالية ، ومن هنا فإن النقود المتوفرة تصرف على الولد بينما تترك البنت طليقة مع تعليمات للتبحث لها عن زوج ، هذا هو المفترض عموماً أن يحل مشاكلها في عالم لايزال يؤثر الجنس الآخر بالفرص الممنوحة كما لو بحق سماوي .

حقائق كهذه فوجئت بها هناك . وإلى جانب صراع الأجيال المتمثل في الهوة السحيقة التي تفصل مفاهيم جيل الأبناء عن مفاهيم جيل الآباء ، كان هناك المرأة الغاضبة . إن جيل الشباب الغاضب لم يقتصر على الرجال ، فالمرأة تقيم الدنيا وتقعدها معلنة أنها تحب هذا أو أنها ضد ذاك . قد يكون ما يغضبها هو عقوبة الإعدام أو التجارب النووية أو التعصب العنصري أو الرأسمالية أو الشيوعية . مثل هذه المرأة الواعية ترى من حقها أن تقول كلمتها ، فإن لها حصة في البلد الذي يقول فيه جواز سفرها إنها مواطنة . وكان في الحملة القائمة آنذاك من أجل نزع السلاح عدد من الأعضاء النساء . اللواتي سعين من أجل حركة جماهيرية تؤدي إلى العصيان المدني . فقد كان الخوف شديداً من خطر حرب نووية .

في تلك الفترة كانت إدارة المدرسة قد هيأت لمن يرغب من الطلاب والطالبات فرصة مشاهدة مسرحية (كما تهواه) التي كانت تعرض آنذاك على خشبة مسرح شكسبير في مدينة ستراتفورد . وصادف أن جرت في يوم موعدنا مع المسرحية مظاهرة عصيان مدني جماهيري في ساحة طرف الغار بلندن ضد الأسلحة النووية . واشترك فيها رغم منع الحكومة لتلك المظاهرة آلاف من الرجال والنساء ، شيباً وشباناً . كان بينهم رجال دين ، طابعات على الآلة الكاتبة ، بناؤون ، تلاميذ ، أطباء ، أساتذة جامعات ، محاضرون . كانت ساحة طرف الغار مرصوصة رصاً بالناس رغم موجة البرد القارس ، والمتظاهرون محاطون بالشرطة والشرطة محاطة بالمشاهدين .

أما نحن فقد توجهنا في المساء إلى ستراتفورد واستمتعنا بمشاهدة الممثلة المشهورة (فانيسا ريد غريف) ، التي أصبحت بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ صديقة حقيقية للقضية الفلسطينية .



صورة تذكارية لفدوى طوقان مع أساتذة وزملاء دورة اللغة الانجليزية في «كرايس تشيرش» في اكسفورد – انجلترا (عام ١٩٦٢)



فانيسا ريدجريف : تمثل على المسرح في المساء ، وتشارك في مظاهرات الصباح

استمتعنا بمشاهدتها تمرح وتعزح وهي في السترة الضيقة والبنطلون الضيق في غابة آردن

في صباح اليوم التالي طالعتنا الصحف بصور وأخبار الظاهرة في لندن وكان من المثير لنا ، نحن الذين شاهدنا فانيسا في مساء اليوم السابق ، أن نقرأ عن مشاركتها في مظاهرة العصيان المدني ومغامرتها بالتعرض للتوقيف والسجن والاصابة بنوبة برد في حين كانت على موعد مع رواد مسرح شكسبير في مساء نفس اليوم . قالت فانيسا للصحافة حين سئلت عن مشاركتها ومغامرتها تلك : «كنت أدرك أنني أحمل مسؤولية تجاه المشاهدين ، ولكنني في نفس الوقت كنت على يقين من أن هناك مسؤولية أكبر تجاه ما نجرب عمله في هذه الحملة» .

ولقد كان من حسن حظنا وحظ رواد المسرح الآخرين أن السلطات اكتفت يومئذ بتوقيف المتظاهرين ومن ضمنهم فانيسا . ثم اطلقت سراحهم بعد الحكم عليهم بدفع غرامة مالية .

* * * *

تملك الصحافة في بريطانيا تراثاً ديمقراطياً يتمثل بأروع صورة في الحرية المتاحة هناك للفكر والرأي . لاينجو من النقد أحد مهما كانت امكانيته في المجتمع إذا اقتضى الأمر ذلك .

أما قضية الطاعنين في السن فكثيراً ما أثيرت في الصحف . أولئك المتوحدون ، المعزولون ، الذين لم يعودوا قادرين على العمل . رجال ونساء شب أبناؤهم وتركوهم . ولعل قوة الشعور بالبيت تظهر

● في كل مكان وجه جديد للإنسان الذي لا يتغير في جوهره

● لماذا كان بيت الإنجليزي هو قلعته؟!

أكثر ما تكون مثيرة للحزن والشفقة على وجوه أولئك المسنين الذين يملؤون غرف القراءة في المكتبات العامة . حيث يتردد العديد منهم يومياً سعياً وراء الدفء والمقاعد ، بعضهم يقلب الأوراق بلا هدف ، بعضهم يحدق بنظرة فارغة في صفحة كتاب بين يديه لعدة دقائق دون أن يقرأ سطراً واحداً . آخرون يجلسون وينظرون في الفراغ ، في اللا شيء ، يعيشون ويتنفسون على السطح الخارجي للحياة . على قشرتها ، يرى بعضهم بعضاً كل يوم دون أي تواصل ، إنهم منفصلون انفصالاً تاماً عن الحياة التي كانوا جزءاً منها .

أما بيوت المسنين فقد اتضح لي أنها لا تحل مشكلة الشيخوخة حلا جذرياً كما كنت أتصور ، ذلك أن تفكك الروابط العائلية في البلاد المتحضرة يترك نزلاء بيت المسنين في عزلة تامة عن العالم . ومتى شاخ الانسان هناك مل من وجوده الآخرون ولا يبقى من يهتم به . بعكس الحال في الدول النامية حيث لا تزال الألفة ولا يزال الترابط الانساني يمنحان الدفء لمن دخلوا في صقيع الشيخوخة ويخففان من شعورهم بالوحدة والاغتراب .

ليست قضية المسنين قضية مأوى وطعام وشراب فحسب . إن دولة الضمان الاجتماعي والرفاء الاجتماعي تتكفل بتقديم هذه الضروريات لأولئك المسنين . لكن الوجه المأساوي للمسألة هو انفصالهم وعزلتهم عن العالم ، هو شعورهم القاتل بالاغتراب والوحدة . لا تزال ذاكرتي تحمل تلك الصورة المثيرة للشفقة والألم منذ رافقت السيدة فيتهام لزيارة صديقة لها مقيمة في بيت للمسنين كانت البرودة والوحدة تسودان المكان ورائحة الشيخوخة والموت تغمر جوه الكئيب . وقفت مسز فيتهام عند باب غرفة نصف مغلق ، رأيت من خلال النصف المفتوح جسماً نسائياً ضئيل الحجم فوق غطاء السرير . مع دخولنا الغرفة رفعت المرأة رأسها والتفتت مستطلعة . فلم تكد ترى صديقتها حتى هبت إليها واحتضنتها ثم دفنت وجهها في صدر مسز فيتهام مجهشة بالبكاء وراحت تغمغم وهي تنشج : وحيدة وحيدة .. تقتلني هذه الوحدة . بعدها صادف أن قرأت ريبورتاجاً صحفياً عن بيوت المسنين انتهى بالتأكيد على الحقيقة التي تقول إن عيش المسنين في الأسرة أفضل من عيشهم في الملجأ .

البقية في العدد القادم



عرف المؤرخون وباحثو المخطوطات القديمة كنوزاً عظيمة من المخطوطات ظهرت في الأماكن المقدسة والمقابر والحفريات. وأكبر هذه الكنوز على الاطلاق ظهر في «الجنيزا» (خزانة القاهرة) المشهورة التى اكتشفها البحاثة الانجليزى الكبير ش. ز. شختر سنة ١٨٩٦. كانت هذه الخزانة في الطابق العلوى من معبد عزرا في حي الفسطاط بالقاهرة، وهو معبد قديم بني في القرن التاسع الميلادى، وقد كان هذا الطابق بدون نوافذ أو فتحات ولم تكن فيه سوى فتحة يمكن الولوج منها بالصعود في سلم خاص. وقد اختزنت في هذا الطابق مئات الآلاف من المخطوطات الأدبية والتاريخية التى أغنت التاريخ اليهودى والأدب العبرى عند ظهورها. ولازال مشروع فحص هذه الآثار ودرسها يشغل الكثيرين من البحاثة المتخصصين.

كان أول من تنبه الى وجود هذا الكنز من المخطوطات هو العالم جلدون في عام ١٧٥٣، ثم العالم سبيير في عام ١٨٦٤ م، ولكنهما لم يحصلا على شيء ولم يسمح لهما بالدخول، وذلك بسبب اعتقادات تافهة وخوف مبهم من مس هذه المواد.

ولكن برغم هذا هربت بعض الأوراق وبيعت للسائحين. ومن بين هذه الأوراق المهربة وصلت ليد البحاثة شختر في جامعة كمبردج أوراق عرف أنها مخطوط لكتاب أمثال ابن سيرة باللغة العبرية، وكان هذا الكتاب معروفاً في ترجمته اليونانية فقط. فهرع شختر الى مصر وبعد مجهودات شتى سمح له بالدخول الى الخزانة فبقي ينقب لمدة سنة كاملة حتى استخلص مائة ألف ورقة مخطوطة وبعث بها الى جامعة كمبردج حيث خزنت بصناديق في مخازن الجامعة وبقيت بانتظار اليد التى تبحثها وتكشف أسرارها. ولم يكن شختر وحيداً في تنقيبه واقتنائه لهذه الكنوز الأدبية، فقد قصد القاهرة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كثير من الباحثين وجامعي الآثار فحصلوا على ما استطاعوا الحصول عليه منها. ومن أكبر المخازن التى حوت هذه المخطوطات بعد مكتبة جامعة كمبردج المكتبة القومية في لينتجراد في روسيا.

وعند وصول هذه المادة الى الجامعات رقمت الأوراق والمجموعات وصنفت في كتالوجات ليسهل بحثها بعدئذ. وقد فحصت الموضوعات التى تضم هذه الأوراق فاذا بها تضم مواضيع واسعة من الآثار الفكرية لم يحلم باحث بأن يصل اليها في يوم من الأيام. ومن هذه المواضيع:

(١) أغلب كتاب أمثال ابن سيرة (ابن سيراخ).

(٢) قطع من ترجمة عقيلاس للكتاب المقدس الى اللغة اليونانية.

(٣) كتاب ميثاق دمشق.

(٤) أشعار قديمة كتبها شعراء عبريون في الأندلس والعراق وفلسطين.

(٥) مواد تاريخية جمعت من يهود الأرض المقدسة ومصر.

(٦) تاريخ جماعة القرائين.

(٧) وثائق لشخصيات مشهورة.

(٨) أشعار كتبها يهود من أوربا.

وبعد وصول هذه المخطوطات الى كمبردج وتصنيفها عرضت على طلاب العلم وبحاثه، فنظمت في مجموعة تايلور — شختر التي عرفت باسم «المجموعة الجديدة» Newserles، ومنها استخلصت بعض الأشعار والقطع الأدبية فنشر أولها اسرائيل دافيدزون في نيويورك عام ١٩٢٨، وثانيها ماركوس في نيويورك أيضاً عام ١٩٣٠. أما مكتبة لينتجراد فلم تسمح ببحث مخزوناتها أو تصويرها. ولذلك لم يعرف العالم ما فيها حتى اليوم.

ومن أكبر بحاث هذه المخطوطات البروفيسور حاييم شيرمان المتخصص في آداب القرون الوسطى في الجامعة العبرية. فقد بدأ أول مابدأ في استطلاعاته في عام ١٩٣٠ فراعه ماراه من المواد التى تنتظر يد الباحثين. ولم يتح له عندئذ أن يعمل في بحث هذه المخطوطات بسبب الظروف السياسية، فلم يبدأ في أبحاثه بنطاق واسع الا في عام ١٩٥٧ حيث قصد جامعة كمبردج ثلاث مرات في خلال ثلاث سنوات. وفتح في هذه الفترة ٢٦ صندوقاً وملأ من محتوياتها ١٣٣ علبة الحقت الى المجموعة الجديدة التى ذكرناها. وقد قصد كمبردج بعد ذلك علماء آخرون ولازال البحث مستمراً. وكان قصد البروفيسور حاييم شيرمان أن يكشف النقاب عن مؤلفات أدبية شتى لطبعها ونشرها بصورة واضحة ليستعين بها كل طالب علم في هذا المجال، فاختار لهذه الغاية مجموعة كبيرة من الأشعار والمؤلفات التى لم ينشر منها الا القليل، فدرس هذه الآثار في غضون خمس سنوات واستجلى معمياتها: فشكل هذه المؤلفات: وفسر مالم يكن مفهوماً من المعاني ومن الألفاظ. وكان ثمرة اجتهاده هذا كتاباً باسم «أشعار جديدة من الجنيزا»، وهو كتاب ضخم ضم طائفة كبيرة من الأشعار والمقامات والموشحات العبرية التى



كان العرب فى أيام إزدهار الحضارة الاسلامية يمثلون قمة التسامح مع كل أصحاب الأديان الأخرى ومن بينهم اليهود

كتبت ابتداء من الفترة البيزنطية فى فلسطين فى أوائل القرن السابع وضمت ماكتبه شعراء يهود العراق وفلسطين ومصر وشمال أفريقيا والأندلس. وقد كشف هذا النتاج الأدبى عن حقائق تاريخية قد يستفيد المؤرخ منها فى الاطلاع عما لم يعرف من قبل. وقد علمنا من هذه الحقائق أنه كانت فى شمال أفريقيا وشمالها الغربى طائفة يهودية فى القرون الوسطى فى الأندلس وحدها .وعلمنا بأن شعراء اليهود فى الأندلس كان لهم تأثير أدبى على مؤلفات سائر اليهود فى الشرق وذلك منذ القرن الثانى عشر وعلمنا كذلك بأنه فى النصف الأول من القرن الرابع عشر كان يوجد شاعر عبرى فى بغداد يدعى «هارون حاخيمان»، وكتاب حاييم شيرمان الذى ذكرناه .. وهو أهم كتاب من كتب خزانة القاهرة حتى الآن ـ ضم مؤلفات عبرية على النحو التالى:

(١) أشعار وموشحات لشعراء عبريين فى البلدان الشرقية وشمال أفريقيا، نذكر من هؤلاء الشعراء: حدوثا بار ابراهام، ونيس النهروانى وشلومو سليمان السنجارى وسهلان بن ابراهام، وشعراء من آل زبيدة، وراب سعديا جاؤون، وراب حاى جاؤون.

(٢) أشعار من المدرسة الأندلسية: شموئيل هناجيد، شلومو ابن جبيرول، يوسف ابن المهاجر، وموشى بن عزرا، ويهودا هليق، ويهوذا الحريزى وغيرهم.

(٣) موشحات أندلسية فى موضوعات دنيوية لشعراء مجهولين.

(٤) مقامات للشعراء موسى ابن لبق، واسحاق ابن سهولة وغيرهم.

(٥) مواضيع شتى لشعراء من ايطاليا ومن بيزنطة وأمثال مسجعة وأشعار لمواضيع تاريخية، ومدائح غزل وفخر، وجدل وهجاء.

إن هذه المجموعة الكبرى من الانتاج العبرى فى القرون الوسطى لم تكن متشابهة فى اتجاهاتها الأدبية لأنها ثمرة عصور شتى وبلدان مختلفة، الا أنها تتسم فى أغلبها بالأسلوب العبرى الغنى الذى استقى من مناهل العهد القديم والتلمود وازدهى بأبهى المحسنات البلاغية العبرية وازدان كذلك بفنون البلاغة العربية ـ وعلى الأخص الأندلسية منها ـ فتفنن هؤلاء الشعراء بالقوافى وزينوا قصائدهم بما يسمى «الاكروستيخون». وهى القوافى التى تبدأ بها الأبيات على نمط بعض أشعار العهد القديم (أمثال ٣٠، ١٠، مزامير ١١٩، مراثى أو غيرها).

وكانت الأشعار الأولى مكتوبة بأوزان أشعار الكتاب المقدس، والمتأخرة منها تأثرت بالبحور العربية المألوفة. وهنالك الأعمال النثرية من المقامات التى ضمت موضوعات دينية ودنيوية فى لباس عربى وعبرى مشترك. والموشحات الأندلسية التى كتبت بروح نشيد الانشاد. وقد ضمت هذه المؤلفات أكثر ماضمت تسابيح بهدف القراءة والانشاد فى الطقوس الدينية كما ضمت موضوعات مماثلة لماضى الأشعار العربية كالمديح والهجاء والعتاب والجدل والشكوى والغزل.

وأخيرا فان اكتشاف كنوز خزانة القاهرة ونشرها هو حدث علمى كبير، وذلك لأن هذه الانتاجات تكشف بجلاء ووضوح عن مدى السماحة التى عامل بها المسلمون اليهود خلال هذه العصور مما جعلهم يبدعون ويؤلفون، كما يكشف عن مدى تأثر التراث العبرى خلال هذه المرحلة بالتراث العربى الاسلامى فى شتى فنون الأدب والعلم والمعرفة سواء فى الشعر أو الفلسفة أو النحو أو غيرها من العلوم.

شوقي

بين خصومه وأنصاره

- كيف دافع أمير الشعراء عن نفسه ؟
- لماذا رفض الترشيح لجائزة نوبل ؟
- هل كان دفاعه عن نفسه سبباً في مرضه وموته ؟!

بقلم : كمال النجمي

لعل شوقي كان أنانياً في حبه لشعره ، جزوعاً هلوعاً عليه ، شديد السخاء بماله وطعامه في سبيله ، لكنه إنما كان يناضل في موقف تاريخي للشعر العربي كله ، كان شعره فيه محور هذا النضال ذي الأثر البعيد .

وقد أصابه التوتر الدائم الذي جلبه عليه هذا الصراع ، بداء القلب فقضى عليه !..

ولعلنا لانجد فى تاريخ الشعر العربى كله شاعراً بذل في سبيل شعره هذا الثمن الفادح ، حتى ارتخص حياته في سبيله ، وجعل من قضية شعره ، قضية الشعر العربي كله .. كيف يبقى ، وكيف يتطور ، وكيف يكون في عصرنا ديوان العرب .. كما كان ! !

في حياة أمير الشعراء أحمد شوقي موقفان متناقضان كل التناقض .. أما أحدهما فحفاوته الشديدة بشعره ، ودعايته له بما يشبه إلحاح الدعاية التلفزيونية والصحفية الحديثة ، ومثابرته على جمع القراء والمستمعين والمعجبين حول شعره بكل الوسائل ، في الصحف والمجالس والأندية والسرادقات والمدارس والجامعات ..

وأما موقفه الآخر ، فإهماله إهمالا شديداً جمع شعره في ديوان كبير أو صغير ، بعد أن نشر الكثير منه في الصحف بدون توقيع حتى أوشك بعض الشعراء أو المتشاعرين أن ينتحلوا بعض هذا الشعر أو ينحلوه لمن شاءوا من الناس ! .

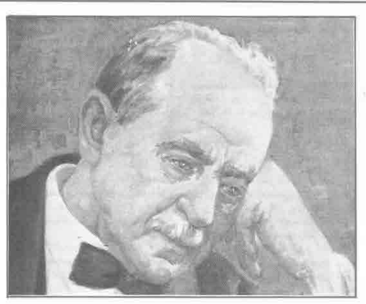
وبين موقفيه هذين يمتد ربع قرن من الزمان ، يفصل بينهما ، فينقض أحدهما الآخر ، حتى ليدهشنا أن يكون هذان الموقفان المتناقضان لشخصية واحدة ، في أمر واحد هو قوام حياتها ومجدها أولا وآخرا ! ..

في سنة ١٨٩٨ صدر الجزء الأول من ديوان «الشوقيات» ووعد شوقي قراءه باصدار الجزء الثاني بعد مدة يسيرة ، لكنه لم يصدر إلا الجزء الأول نفسه في طبعة جديدة ، بعد ثلاثة عشر عاما من صدور الطبعة الأولى ، أما الجزء الثاني فبقي جذاذات مخطوطة أو قصاصات مبعثرة ، أو نصوصاً مطبوعة في صحف ودوريات تجثم في دار الكتب بالقاهرة .

وفي أواخر سنة ١٩٢١ ـ بعد عودة شوقي من منفاه في أسبانيا ـ أعلن الأديب «سركيس» صاحب المجلة التي كانت تحمل اسمه : أنه سيقوم مع بعض أصدقائه الأدباء بجمع مختارات من شعر شوقي وترجمتها إلى الفرنسية وعرضها على اللجنة التي تمنح جائزة نوبل .

وعلم شوقي بهذا الاقتراح الجديد الذي كان مثيرا في وقته ، فلم يحرك ساكنا حتى يئس منه سركيس وأصحابه وعدلوا عن عزمهم وكتب سركيس معرباً عن ألمه وعتبه على أمير الشعراء : «إن شوقي لسوء حظ الأدب العربي لايهتم بشيء مما يهتم به سائر الناس ، فمنذ نحو عشرين سنة انتشر بيننا ديوان الشوقيات ، ولا أدري من جمعه وطبعه ، ولكني أعلم أن الاقبال عليه كان عظيماً .. ثم إن العشرات من أصحاب المكاتب والمطابع طالما توسلوا إليه وطلبوا منه بإلحاح أن يسمح لهم بطبع ديوانه الثاني ، وهو لايفعل ، معتذرا بأن هذا الأمر يحتاج إلى ذي عزيمة ونشاط يرتب الديوان ويقدمه للطبع ويعتني به» ! ..

ثم قال سركيس وكأنه يضرب كفاً بكف لفرط



الشاعر أحمد شوقي : جعل من قضية شعره ، قضية الشعر العربي كله .. وبذل في سبيل شعره ثمناً فادحاً !

دهشته :

«عرضت على شوقي أن أفعل ذلك كله إذا هو دفع إلي قصائده ، فأجعلها في أحسن نسق ، وأجمل طبع ، مع الشروح اللازمة فشكر ووعد ، وكان ذلك منذ عشر سنوات ـ أي سنة ١٩١١ ـ ولا أزال أنتظر ! .. فإذا كان شوقي لايهتم كل هذا الزمان بنشر ديوانه مع علمه بميل الناس واستعداد أصحاب المكتبات والمطابع ، فكيف ينتظر صاحب الاقتراح ـ أي اقتراح التقدم لجائزة نوبل ـ أن أكلف أنا نفسي كثيراً من وقتي ونشاطي والحاحي لأتوسل إلى شوقي أن يساعدني على قضاء هذه المهمة ؟! ..»

كان شوقي أول شاعر مصري أو عربي يفكر أدباء من مصر والشام في السعي إلى ترشيحه لجائزة نوبل . فلم يبال بهذا الترشيح ، وأحجم حتى عن جمع وطبع شعره في ديوان كامل .. ولم يكن يغيب عنه بطبيعة الحال أن الكثير من قصائده الكبرى قد نشر في الصحف غفلا من توقيعه أيام كان يعمل في الديوان الخديوي قبل نفيه إلى أسبانيا سنة ١٩١٤ حتى أن رثاءه المشهور لمصطفى كامل : «المشرقان عليك ينتحبان» نشر في جريدة «اللواء» بلا توقيع . وكذلك قصيدته الكبيرة : «ياأخت أندلس عليك سلام» نشرت في جريدة «المؤيد» بلا توقيع .. وقس على هاتين القصيدتين مئات من القصائد والمقطعات والأراجيز ، أوشكت أن تضيع لولا أن تدارك أكثرها الأديب العلامة المرحوم الدكتور محمد صبري «السربوني» في كتابه «الشوقيات المجهولة» ! ..

ويذكر الدكتور السربوني دليلا على عزوف شوقي عن الانشغال بجمع شعره ونشره في ديوان ، أنه لقيه في باريس صيف ١٩٢٣ وكان شوقي يزمع الذهاب إلى الشاطىء الفرنسي للاصطياف ، فقال له السربوني ، والإعجاب بشعره مل‌ء كلماته البسيطة الموجزة :

ـ أريد أن أنتهز هذه الفرصة لتاريخ حياتك وشعرك ! ..

فأطال شوقي النظر اليه ، ثم قال له باللهجة العامية كأنه يسأله عن «تكاليف» هذه المهمة :

ـ عايز كام ؟!

فطن السربوني إلى معنى هذه الصيغة العامية ، وأذهله ماذهب اليه شوقي من سوء الظن فقال له بنفس اللهجة العامية ومعناها المختصر الحاسم :

ـ مش عايز حاجة ! ..

والسربوني لبث طوال حياته يعظم شوقي ويرفعه فوق شعراء عصره ، ولكن شوقي اعتاد ـ بعد عودته من المنفى ـ أن يطرق بابه من يرتزقون بالثناء عليه في الصحف الصغيرة والكبيرة ، وفي المجالس والمنتديات ، فيعطيهم من ماله كما أعطوه من مقالهم ، وقد ظن أن السربوني واحد من هؤلاء ! .. ولاتقل : أين ذهبت عن شوقي فطنته وفراسته في هذا الموقف ؟!

ثم ألح أصدقاء شوقي عليه حتى أصدر في سنة ١٩٢٦ الجزء الأول من ديوانه مصدراً بمقدمة من قلم الدكتور محمد حسين هيكل ، ثم استحثوه على اصدار الجزء الثاني فأصدره سنة ١٩٣٠ ، وبعد وفاته صدر الجزء الثالث ثم الرابع ! ..

وبقي بعد ذلك تلك القصائد التي جمعها الدكتور السربوني في كتابه «الشوقيات المجهولة» .. ولو لم يجمعها لضاعت أو نسبت إلى غير صاحبها ، وربما جاء من الشعراء أو الشعارير من يحلف بالأيمان المغلظة أنها له وحده دون غيره ، كما حلف سبعون شاعراً في قديم الزمن على القصيدة «اليتيمة» المجهولة النسب :

هَل بـالطلول لسائل رَد
أم هَل لها بتكلم عَهد !

وفيها يقول صاحبها :

ضدان لما استُجْمِعا حَسُنَا
والضد يظهر حُسْنَهُ الضد .

والمضحك أن الأضداد الذين اجتمعوا على الحلف عليها ، خرجوا من تضادهم فيها بوجوه قبيحة خالية من كل أثر للحسن ، فقد ثبت أنهم جميعاً كاذبون ، وبقي صاحبها المجهول مجهولا ! ..

كان من غير المستطاع أن يصدر شوقي شعره كله في ديوان كامل متتابع الأجزاء ، إلا بعد تحرره من وظيفة القصر الخديوي ، ثم تحرره من المنفى عقب الحرب العالمية الأولى ، فقد حاول صاحب صحيفة «عكاظ» القاهرية الأدبية خلال تلك الحرب أن ينشر «الشوقيات» فحال دون نشرها قلم الرقيب التابع للسلطة البريطانية .. «فقد أعمل قلمه في الشوقيات شطباً وحذفاً وتشويهاً وإفساداً» .. على حد تعبير المرحوم فهيم قنديل صاحب عكاظ .

ولما عاد شوقي من المنفى ، عاد بنفسيته وعقليته ونظرته القديمة للأمور ، وكان حذراً خائفاً من الانجليز والسلطان أحمد فؤاد ، فلا يتكلم إلا بحساب ، ولايجالس أحداً إلا متوجساً مرتاباً .. ولبث كذلك سنتين أو ثلاثاً حتى اطمأن واندمج في الحركة الوطنية وتناسى الماضي ، فبدأ يعقد صلات جديدة مع أناس جدد ، ويمر على دور الصحف ، ويجالس أصحابها ورؤساء تحريرها ويسمر في مجالسهم ، ويستجلب مودتهم وتأييدهم له ، بعد أن شرع في الهجوم عليه نقاد جدد تنضح أقلامهم حدة عليه وكراهة له وزراية بشعره .. يحاولون هدم اسمه ، وخلعه من إمارة الشعر ! .

كان العقاد والمازني وطه حسين وغيرهم ينقدون شوقي نقداً شديداً ، وهو أعزل من سلطانه القديم غير قادر على اسكاتهم ، فنبهته ضربات هذه المعاول في صرح شعره ، إلى أن زمن اللامبالاة قد انقضى ، وأن من واجبه حيال شعره الذي هو مجده وحسبه ونسبه بين الناس ، أن يدفع عنه أعداءه ، ويحاربهم بسلاح كسلاحهم ، فأخذ يجمع حوله الأقلام المعجبة بشعره ، باسطاً عليها رعايته وسخاءه ومودته ، فنشبت بين هذه الأقلام والنقاد الجدد معركة هائلة دخلت تاريخ الأدب العربي المعاصر ، ولا خفاء بها على أحد ..

كان المدافعون عن شوقي هم أصدقاؤه ومريدوه ، إلا بعض كبار الأدباء ، أمثال مصطفى صادق الرافعي الذي ألف كتاب (على السفود) في نقد شعر العقاد ، فكان هذا الكتاب النقدي الفريد في شدته وسخريته وسعة اطلاع صاحبه ، أشبه برد

اعتبار لشوقي : وإن لم يقصد الرافعي ذلك ، لأنه كان يضمر الموجدة لشوقي ، فلما أراد شوقي أن يلقاه ليشكره امتنع الرافعي من لقائه (سنة ١٩٢٩) لأن شوقي سبق له في عز جاهه ومجده (سنة ١٩١٠) أن رفض مقابلة الرافعي حين ذهب اليه يزوره في مكتبه بقصر عابدين ..

أما الأديب الكبير الآخر الذي انتصر لشوقي فكان الدكتور زكي مبارك ، فقد التقيا في بعض المحافل ، فبادر زكي مبارك يقدم نفسه اليه قائلا بظرفه المعهود :

ـ أنا الدكتور زكي مبارك ملك الشعراء .. وقد عينتك أميراً للشعراء !..

فضحك شوقي ، وسرته هذه الدعاية ، ونشأت بين الرجلين صداقة حرص عليها ، وحرص عليها زكي مبارك لأنه ماكان لينضم إلى فئة من رؤوسها طه حسين عدوه الألد في ذلك الحين !..

بقي الكاتب الشهير مصطفى لطفي المنفلوطي الذي أغرق في الثناء على شوقي ، حتى أثار بعض الريبة في بواعث إغراقه في الثناء عليه ، وغمزه الرافعي بطريقته اللاذعة فقال إنه يمتدح شوقي «امتداحاً ذهبياً» !.. غير أن شوقي استمسك بصاحبه المنفلوطي لشهرته وقدرته وحسن بلائه في محاربة عدوه ، وحفظ له هذه اليد ، فرثاه حين مات ١٩٢٤ رثاء بليغاً صادق الإحساس .

وتعاظم شعور شوقي ـ بعد لامبالاته القديمة ـ بالحاجة إلى الدفاع عن مكانته في الشعر ، وعلم أنه لايكفيه أن يكون شاعراً مجيداً ليسلم له الجميع راية الشعر ويبايعوه بالإمارة والإمامة على الشعراء ، بل الأمر يحتاج إلى حياطة ورعاية ودعاية واسعة مستمرة لشعره ، مقرونة بهجوم مضاد لكل هجوم يشنه عليه ناقدوه أو اسدوه .

وكان شوقي في قديم عهده ـ أيام الخديو ـ لايحتاج إلا لكلمة أو إشارة ، لتنحية منافسيه من الشعراء وتأديبهم عند الضرورة .. كما فعل مع حافظ ابراهيم الذي طمع أن يكون الشاعر الثاني في بلاط الخديو ، فأبعده شوقي بحزم وعنف ، على أن حافظاً لم يكن نداً لشوقي في الشعر ولكنه كان ماهراً في المديح ، وكانت شهرته في الشعر تضارع شهرة شوقي !..

وأشد من ذلك وأقسى مافعله بالشاعر عبد المحسن الكاظمي الذي نزل القاهرة سنة ١٩٠٠ وعاش بها نزيلا لارزق له من أي مورد ، إلا ماكان يقتطعه «المفتي» الشيخ محمد عبده من مرتبه ويرسله إليه في بيته كل شهر ، فلما توفى المفتي سنة ١٩٠٥ تقطعت أسباب الرزق في يد الشاعر الكاظمي فذهب إلى قصر الخديو يطلب رزقاً ، ولعله ظن أن شوقي سيكون عوناً له في طلبه ، فإن شوقي هو القائل في صفة الكاظمي : «نظرته شعر ، ومنطقه شعر ، وجلسته شعر ، وضحكته شعر ، ومشيته شعر ، وهو في كل ذلك يحبب إلى النفس الشعر .. ليس بين الأدباء من يجهل الشيخ عبد المحسن الكاظمي فهو قمر بغداد الذي لم يكن يخفى في مصر» ..

ذهب الكاظمي إلى «عابدين» وهذه الكلمات ترن في سمعه فتبعث في نفسه الأمل ، وأوشك الخديو أن يأمر له براتب شهري لولا أن قال شوقي : «أنسيت يامولانا أن هذا الرجل كان شاعر المفتي ؟ !» ..

وضاع الراتب على الكاظمي لأن شوقي استطاع أن يثير في الخديو عداوته القديمة للشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية !..

فشوقي إذن لم يكن من بداية أمره ونشأته في إمارة الشعر وشعر الإمارة ، غافلا عن منافسيه ومزاحميه ، ولا متسامحاً في معاملتهم ، الا أنه كان مسيطراً فوقهم وفوق غيرهم مدة خدمته في الديوان الخديوي ، وكانت كلمته تمنح وتمنع ، فاقصر عن منافرته كل شاعر ، ولم يصرح له بالعداوة والبغضاء أحد من النقاد كما فعل فيما بعد نقاد العشرينات الذين فوجيء باجترائهم عليه ، واستهانتهم به ، وهو من هو !..

لقد وجد شوقي نفسه بعد عودته من المنفى بين ثلاثة أعداء ، النقاد المتحاملين عليه والانجليز المتربصين به .. والسلطان فؤاد المرتاب في ولائه ، فهرع شوقي إلى الحركة الوطنية فاحتمى بها ، فلم تقصر في حمايته لأنها وجدت فيه أشعر شعرائها ..

ثم التفت شوقي إلي ناقديه وشانئيه ، فجمع حوله من حملة الأقلام جنداً كثيفاً يذود هؤلاء الأعداء عنه ، فإذا أنشد المنشد قصيدة شوقي في السرادق المقام لرثاء سعد زغلول سنة ١٩٢٧ .. ثم وقف عباس العقاد فأنشد قصيدته في رثائه ، ثم قام حافظ ابراهيم فأنشد .. خرجت الصحف في اليوم التالي وفيها تعليقات تهزأ بالعقاد وتقول : من هذا الغراب «أي العقاد» الذي قام في سرادق سعد ينعق بين بلبلين ؟! .

وأظن شوقي وإن كان قد سره كثيراً هجوم جنده على العقاد وتشبيههم شعره بنعيق الغراب ، لم يسره أن يشبهوا حافظ ابراهيم بالبلبل ، لكن «البلاغة» في هذا المقام تقتضي محاصرة «الغراب» الناعق بين بلبلين صادحين !..

لقد عاش شوقي حتى بلغ الخمسين من عمره تقريباً ، لاينافسه شاعر سرا ولا علنا ، إلا ماكان من تطاول الشاعر عبد الحليم المصري عليه وزعمه أنه أشعر منه وأجدر بعطف الخديو والقرب من أعتابه .. وما كان من هجاء الكاظمي له بأبيات أرسلها اليه بشجاعة نادرة وبلا نظر إلى خطورة العواقب .. يقول :

تعال الله ما صَوّرَكَ الله «م»
وكم صَوّر !..
فلهفي لكَ من هادٍ
غواد الدهر فاستكبر

أما في السنوات العشر الأخيرة من حياة شوقي فقد وجد نفسه وقد ذهبت دولته الخديوية فلم يبق له من العز والجاه ـ مع المال الذي يملكه أو تملكه زوجته ـ إلا شعره الذي طبقت شهرته الآفاق ، وحصل به على منزلة اجتماعية رفيعة مع منزلته الأدبية العالية ولقب «أمير الشعراء» .. فعض على هذا اللقب بالنواجذ ، وبذل أقصى وسعه ليجعل من شعره حصناً حصيناً لاتثلم أسواره معاول النقاد ، وانقلب الشاعر الذي كان مدلا بجاهه وماله ونفوذه في عهد الخديو .. والذي لم يكن يبالي حتى بتذييل قصائده باسمه .. انقلب هذا الشاعر المطمئن إلى دوام الحال ، فإذا به نهب للوساوس والمخاوف .. يجزع من كل سهم يراش إلى قلعته ولو كان سهما طائشا ضعيفاً ، وتتوزع حياته المساعي الدائبة لتوثيق علائقه بأصحاب الصحف والصحفيين والكتاب والنقاد ، ويتخذ من بعض عارفيه رواة له يروون شعره في المحافل والمجالس ويشيدون بها وبه في كل مكان ، ويردون عنها وعنه كل نقد صحيحاً كان أو زائفا !..

ثم سعى الى كسر الحلف غير المكتوب بين المازني والعقاد وطه حسين وغيرهم .

فأما المازني فحضر مأدبة في دار شوقي ، خجل بعدها من الكتابة ضده ، وقال في بعض اعترافاته : كنا شباناً نحمل على شوقي لكي نشتهر .. وقد اشتهرنا !.

وأما طه حسين فجمعته وشوقي مصايف أوروبا ولبنان ، فسكت بعد شجار ونقار وغمز طويل .

ولم يثبت على الرأي أو الضغينة إلا العقاد ، فقد اشتوى عوده حياً وميتاً ، وكتب عنه بعد وفاته أعنف مما كتب عنه في حياته ، ولم يعدل عن رأيه حتى وهو يحاول التظاهر بالعدول عنه ، أو عن بعضه بعد زمان طويل !.

ولكن شوقي ظفر في معركته على كل حال ، وانكسرت بين يديه الجبهة التي توحدت ضده حيناً ، فعاش أخريات عمره في حلم جميل من أحلام السعادة والمجد والصيت البعيد ، لاينغصه إلا ماطرأ على صحته من تفاقم الأمراض ..

وكان شوقي يبتغي من زياراته المتكررة الطويلة إلى لبنان وسوريا ، لا مجرد الاصطياف ، بل ـ إلى ذلك ـ الدعاية شبه «الانتخابية» واصطناع الناس واكتساب الأصدقاء والمعجبين والمؤيدين !.. وقد



أحمد فؤاد
كان يحارب شوقي ولا يثق فيه

عباس حلمي الثاني
كان يحب شوقي ويناصره على كل أعدائه

نجح في ذلك إلى مدى بعيد ، فكانت رحلاته السنوية إلى جبل لبنان وفي صحبته المطرب محمد عبد الوهاب ، عيداً للشعر ومهرجاناً للغناء والفن ، يمتد شهرين أو ثلاثة كل عام ..

وفطن شوقي إلى فائدة لقائه الشخصي بأدباء البلاد العربية حين سمع أشعاره تدور على ألسنتهم في بيروت ودمشق ، كأنهم رواته ، فقال يذكر هؤلاء الرواة في قصيدته الدمشقية الرائعة : «سلام من صبا بردى أرق» :

رواة قصائدي فاعجب لشعر
بكل محلة يرويه خلق

وساق الشكر العميق اليهم في رائعته التي مطلعها : «قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا» :

يافتية الشام شكراً لا انقضاء له
لو أن إحسانكم يجزيه شكران

أما لبنان وشعراؤه فكما قال :

قالت تري نجم البيان فقلت بل
أفق البيان بأرضكم يممته
بلغ السها بشموسه وبدوره
لبنان وانتظم المشارق صيته
من كل عالي القدر من أعلامه
تتهلل الفصحى إذا سميته
حامي الحقيقة ، لا القديم يؤوده
حفظاً . ولا طلب الجديد يفوته

وكان شوقي وراء رحلة المطرب محمد عبد الوهاب إلى بغداد للغناء بين يدي الملك فيصل الأول سنة ١٩٣٠ فاقترن شعره بصوت هذا المطرب المشهور في قصيدته الذائعة التي غناها :

ياشراعاً وراء دجلة يجري
في دموعي تجنبتك العوادي

وبهذا وأمثاله سحر شوقي الألباب واستولى على مسامع الشعراء والأدباء في كل بلد عربي في زمن لم يكن فيه من وسائل الاتصال والدعاية بين البلاد العربية إلا أوراق الصحف والكتب ، وماكان أقلها عدداً ، وأكثرها أثراً ومدداً ! ..

وصار شوقي شاعر العرب لاشاعر مصر وحدها ، وأجمع على تقديمه وتفضيله غالبية أهل الأدب والرأي في البلاد العربية ، وأثمر إجماعهم أشهى ثمراته لشوقي حين توافدوا على القاهرة سنة ١٩٢٧ من العراق وفلسطين ولبنان وسوريا والبحرين والهند ، وتوجوه أميراً للشعراء في كل البلاد العربية والإسلامية .

هل كان شوقي يبلغ هذه المنزلة من إجماع الأدباء والشعراء عليه ، لو كان ــ بعد عودته من المنفى ــ قد سلك نفس مسلكه القديم في عهد الخديو عباس حلمي : يقول الشعر ويرميه ولايبالي ، أو ينشره بلا توقيع ، ويتهرب من جمعه في ديوان ؟! .

نظن أن شوقي لم يكن لينجح أو يبلغ مابلغ إلا بمسلكه الجديد في التعامل مع الأدباء والنقاد ، وهو نقيض مسلكه القديم .. إلا أنه لم يكن لينجح في هذا السبيل الجديد لو لم يكن جديراً بإجماع الناس على تقديره وتأميره ، وبخاصة في زمنه الذي كان للشعر فيه مقاييس معروفة لايمكن فيها التدليس والتلبيس وتزوير الحقائق كما نرى الآن أحياناً ..

لقد وجد شوقي أن حق موهبته عليه يقتضيه أن يدافع عنها ، ويقدمها للناس أحسن تقديم ، ويعرفهم بها أشمل تعريف ، بلا تزيد ولا دعاوى باطلة ! ..

وكان على الأهبة في كل وقت لمقارعة خصمائه أو موادعتهم إن قبلوا الموادعة ، دائباً في تأليف القلوب حوله ، فلا يمر عليه يوم وليلة إلا طاف بالصحف كبيرها وصغيرها ، وكانت مائدته الكبيرة في قصره ــ كما يقول صديقه الشاعر أحمد محفوظ في كتابه «حياة شوقي» ــ : «لا ترفع أطباقها ولا يطوى غطاؤها ، فهي دائماً محفوفة بمن يخشى أقلامهم ويخاف نقدهم» ! ..

واستغل بعض المهازيل والزعانف هذه الثغرة في شوقي فأثقلوا عليه بمطالبهم ، ولم يكن له مناص من تلبيتها ، حتى أن أحد «النقاد» نشر مقالا مقذعاً ضده ، فأرسل إليه ــ كما يقول أحمد محفوظ ــ «في اليوم التالي لنشره النقد وأعطاه وخلع عليه» !

مع ذلك كان شوقي شديد الثقة بمناعة مكانه على رأس الشعراء .. قال مرة للدكتور هيكل : «ماذا يقصد طه حسين من توجيه النقد لي في جريدتك ؟! .. أيظن أنه قادر على هدمي ؟! .. قل له إنني مجد قد اكتمل تكوينه» ! ..

كان شوقي معتل الصحة منذ طفولته ، فلم يكد يتخطى الخمسين من عمره حتى بدا كأنه في السبعين ، ولكنه عاش هذه الخفقة الأخيرة من عمره نجماً ساطعاً في المجتمع المصري والعربي ، بعد أن دفع الثمن من أعصابه فادحاً ليحتفظ بهذه «النجومية» غير المسبوقة في تاريخ الشعر العربي كله .. والتي لم تتكرر ..

وقد سعد شوقي أشد السعادة حين صدرت جريدة «الجهاد» لمحمد توفيق دياب ناطقة بلسان حزب الأغلبية حينذاك ، وتحت اسمها الضخم ، بيت شوقي :

قف دون رأيك في الحياة مجاهدا
إن الحياة عقيدة وجهاد

لقد نفذ شوقي هذا البيت من شعره تنفيذاً عملياً دقيقاً فوقف دون شعره مناضلا عنه حتى آخر يوم في حياته .. فهل كان على حق في الدفاع عن شعره هذا الدفاع المستميت ؟!

في رأينا أنه كان على حق ، فقد حفظ به للعربية تراثاً لاينبغي أن يضيع ، ولا يصح التسليم فيه بأقوال أعدائه أو حاسديه أو ناقديه ، لأن تمحيصها يظهر فضل شوقي ويرد عنه أكثر هذه الأقاويل ، وإن كان مجال النقد الصحيح في شعره واسعاً لمن أراد الإنصاف .

ولعل شوقي كان أنانياً في حبه لشعره ، جزوعاً هلوعاً عليه ، شديد السخاء بماله وطعامه في سبيله ، لكنه إنما كان يناضل في موقف تاريخي للشعر العربي كله ، كان شعره فيه محور هذا النضال ذي الأثر البعيد .

وقد أصابه التوتر الدائم الذي جلبه عليه هذا الصراع ، بداء القلب فقضى عليه ! ..

ولعلنا لانجد في تاريخ الشعر العربي كله شاعراً بذل في سبيل شعره هذا الثمن الفادح ، حتى ارتخص حياته في سبيله ، وجعل من قضية شعره ، قضية الشعر العربي كله .. كيف يبقى ، وكيف يتطور ، وكيف يكون في عصرنا ديوان العرب .. كما كان !!

كمال النجمي

- بيته ملىء بالقطط الصغيرة التى تمرح فى أرجاء المنزل .
- زوجته هى قارئته الأولى وسلاحه الذى واجه به متاعب الحياة
- أول مدرسة تعلم فيها هى حكايات الشاطر حسن والسندباد وعلاء الدين وسائر أساطير ألف ليلة
- رواية الخيال العلمى فى الغرب .. جذورها عربية .
- القمر ملىء بمعادن أكثر نقاء وجودة من مثيلاتها على الأرض .
- صلاح الدين معطى كاتب جديد لامع فى مجال الخيال العلمى .. تذكروه وانتبهوا إليه .

نهاد شريف

رائد الخيال العلميّ في الأدب العربي

حوار أجرته : سـارة

الخيال العلمى هو عنوان لعصرنا ، ربما اليوم أكثر من أى يوم مضى .. فهو ينطلق نحو الأمام مخترقاً طريقه غير عابىء بهؤلاء الذين ينظرون إليه من أعلى ، ويسخرون من معالمه وكُتّابه ، ويتصورون عمره القصير .. والخيال العلمى لا يهمه أن يتبعه أو لا يتبعه أحد .. فقد استطاع أن يحدد معالمه ويجذب إليه مريدين متعصبين متحمسين له . لن يتخلوا عنه أبداً .. ولن يتنازلوا قط عن الولاء له ، فقد فجر كُتّاب الخيال العلمي خيالاتهم بلا حدود دون أن توقفهم قيود السوق أو التجارة .

ولقد استطاع أدب الخيال العلمى أن يتحرّر من ذلك الإطار الضيق الذى التصق به لسنوات طويلة ، خاصة منذ منتصف القرن الماضى فى ثلاثينات هذا القرن .. وبدأ يستولى على كل أشكال الأدب ، فاستطاع أن يفرض نفسه على هذه الأشكال باعتباره أدبا تجريبيا وليس هامشيا .

هذه هى السطور الأولى من كتاب « نهاد شريف وأدب الخيال العلمى » . ــ تحت الطبع ــ لمحمود قاسم .. ومن هذا المنطلق الذى ذكره الكاتب ، كان الحرص على لقاء رائد قصص الخيال العلمى نهاد شريف الذى استطيع أن أقرر مطمئنة ــ كما يقول يوسف الشارونى ــ إلى أن الرواية العلمية العربية ترسي دعائمها على يديه ، ولئن كان أدبنا العربى المعاصر قد عرف الرواية العلمية ، فإن ما عرفه منها يعتبر محاولات متواضعة للغاية إذا ما قيست بجهود نهاد شريف الجادة .. ويكفى أنه استطاع الإفلات من دفع التيار السائد الطاغى ليكتشف بنفسه ولنفسه أرضاً نادراً ما ارتادها غيره فى أدبنا العربى .

في غرفة مكتبه بمنزله الصغير في الدقي كان لقاؤنا .. غرفة مغطاة جدرانها بعشرات الكتب والمراجع .. تزينها لوحات متفائلة الألوان رسمها والده الفنان التشكيلي الراحل منير ابراهيم شريف أحد الرواد في هذا المجال ، والذى كان ضمن أول هيئة قامت بالتدريس في كلية الفنون الجميلة .

وقد أثار دهشتي حقاً تكاثر القطط الصغيرة ومرحها الصامت في أرجاء المنزل ، وفسر لي نهاد شريف هذه الدهشة بقوله ضاحكاً : هذه القطط قدرنا أنها تأتي حيثما توجد ابنتى !

وقدم لي السيدة زوجته وكيلة معهد المعلمات بالزمالك بأنها مجدافه الذى عبر به مشاق الحياة .. قارئته الأولى .. وناقدته الأولى .. وأم لابنه الذى اتجه لعالم الأرقام والمحاسبة .. وابنته التى اتجهت لعالم السياحة الحي .

وحول البدايات البكر .. وإرهاصات الطفولة المتوهجة .. وتوثب الأحلام النزقة قال لي :

استطاعت جدتي أن تحتوى عقلي الطفل بحكايات الشاطر حسن والسندباد وعلاء الدين وعبد الله البري وقرينه البحري وسيل لا ينضب من أساطير ألف ليلة وليلة .. وكانت لديها مقدرة فذة وهى التى لا تحمل أى مؤهل دراسي على أن تروى لي القصة بأكثر من صورة حتى لا ينتابني السأم ، بل إنها كانت تضيف بعض التفاصيل الصغيرة الجديدة في كل مرة تروى لي هذه الحكايات مما خلق لدى القدرة على تعدد الرؤى .. وقد ساعدها على ذلك أنها كانت قارئة ممتازة لأربع لغات .. ثم بدأت محاولة تقليد ما تحكيه لي كتابة متأثرا بإلقائها الجاد الرصين . ومقلداً أسلوب أبي في رسوماته وألوانه الحية التى انطبعت في وجدانى عندما كان يأخذنى إلى مرسمه الخاص لأكون له عيناً محايدة وناقدة .. وبدأت أيضاً بالتسلل إلى مكتبة جدى لأصحب كامل كيلاني في مؤلفاته العلمية المبسطة للأطفال .. ولأتطاول بعدها في شغفي بالقراءة لابن خلدون والمعرى وابن طفيل وتشيكوف وديكنز وجول فيرن وويلز وهربرت جورج وكونان وغيرهم ..

وعندما كنت في الرابعة عشرة كانت متعتي الكبرى تتركز في اصطحاب قريب لي يعمل في مرصد حلوان ، حيث كنت أتابع في هدوء واهتمام مناقشات بعض علماء المرصد وخاصة الدكتور سماح الذى كان أحد كبار أساتذة علم الفلك في مصر

رائد الخيال العلمي نهاد شريف في مكتبته التي تضم أهم الكتب والمراجع الثقافية

والذى كان لا يتردد في الإجابة على أي سؤال كنت أطرحه .. وقد قيل عني آنذاك إن هذا الصغير قد أطل من مناظير المرصد أكثر من العلماء العاملين فيه .. وقد ظلت هذه التجربة الفريدة عالقة في نفسي حتى قمت بتسجيل آثارها في روايتي الأولى « قاهر الزمن » والتى تدور أحداثها في مرصد حلوان .. وهى الرواية التى ستتحول قريباً إلى فيلم سينمائى يقوم ببطولته نور الشريف وعادل أدهم ومحمود عبد العزيز .

وسألته عن اسم هذا « المغامر » الذى سيقوم بإخراج رواية علمية إلى فيلم سينمائى ؟ فأجابني قائلا :

ــ أعتقد أنك على حق في إطلاق صفة « المغامر » على المخرج كمال الشيخ ، لأنه ظن في المرحلة الأولى

نهاد شريف

رائد الخيال العلمي في الأدب العربي

من التفكير أن تحويل « قاهر الزمن » إلى فيلم سينمائى يمثل مغامرة . وكنت أعضده فى ذلك حتى استطعنا تجاوز المرحلة الصعبة وهى مرحلة إعداد السيناريو التى استغرقت عامين ، ومازال حتى الآن بحاجة لبعض التعديلات الصغيرة . وقد كان أحمد عبدالوهاب كاتب السيناريو عند حسن ظننا جميعاً .. ولقد تحول معظم ما كتبت تقريباً إلى أعمال إذاعية ماعدا « قاهر الزمن » التى كانت « محجوزة » أساساً منذ صدورها عام ١٩٧٢ م لفكرة راودت كمال الشيخ فى تحويلها لفيلم سينمائى .

الملامح الأدبية

• قلت لنهاد شريف ـ بينما زوجته تقدم لنا عصير المانجو البارد ـ كيف ومتى استطعت تحديد ملامح شخصيتك الأدبية ؟

ـ إنك تذكرينني بأصعب مرحلة فى حياتي .. مرحلة البحث عن الذات كما يحلو لي أن أسميها والتى بدأتها بكتابة قصص المراهقة الفكرية مثل الجارة الحسناء ، ورسالة إلى طيفها .. وانضممت بعدها وكان ذلك عام ١٩٥٤ إلى القسم العلمي بمجلة آخر ساعة بتشجيع من صلاح جلال ـ نقيب الصحفيين حالياً ـ وكنت طالبا فى كلية الآداب قسم تاريخ ، إلا أنني لم أجد نفسي فى العمل الصحفى .. وعينت بعد تخرجي مديراً للثقافة والارشاد بمديرية التحرير حيث قمت بإصدار مجلة محلية وأسهمت فى خلق كوادر ثقافية وشاركت فى إعداد البرامج للاذاعة المحلية ، بل إنني عملت ممثلا مسرحياً مع فرقة الريحاني أثناء زياراتها المتكررة لمديرية التحرير .. ولقد وفقت فى أداء الأدوار التى تتسم بالعصبية .. وعموماً فأنا لست إنساناً جماهيرياً .. إنني أنجح دائماً وأنا خلف مكتبي بعيداً عن الاحتكاك المباشر بالناس .. ومع ذلك فإن كل ما قمت به لم يستهوني ودفعني قلقي وعدم إحساسي بالرضا للانتقال من جديد إلى القاهرة لأعمل متحدثاً صحفياً لوزارة الزراعة ثم مديراً للعلاقات بهيئة تعمير الأراضى ..

وفى عام ١٩٦٣ بدأت مرحلة جادة فى البحث عن ذاتي من خلال تعاوني مع الإذاعة والتليفزيون ومن خلال العديد من البرامج مثل دائرة المعارف وقصص وراء القصص ، ودنيا ودين وأستطيع أن أقول أنني كنت ناجحاً فى كل الأعمال التى قمت بها ، إلا أنه كان نجاحاً يفتقد الحرارة .. ولقد صحبتني دوماً خلال رحلة عمري ملايين الرؤى والتصورات .. غامضة مبهمة .. متوجسة .. عنيفة الايقاع .. وظلت أفكارى وأحلامى تؤرقني وتحرضني .. وتباعد بيني وبين أقرانى وأفراد أسرتي حتى توصلت فى النهاية إلى أن هناك أدباً عالمياً مميزا .. أو عالما سحريا يسمى أدب الخيال العلمي .. فلما أعدت اكتشاف كُتّاب هذا الأدب وألفت مجالات نشاطاتهم الذهنية وجدت الشجاعة أخيراً لأعبر عن أحلامي وخيالاتي .. فتناولت فكرة علمية ظلت تراودني ما يزيد عن أعوام عشرة لأعلن من خلالها عن اتجاهي الجديد .. وكانت روايتي العلمية الأولى « قاهر الزمن » التي تحمس لها الصديق يوسف الشاروني والذي فاجأني بتحديد موعد مع رئيس القسم الأدبي بدار التحرير المشرفة على جريدة الجمهورية .. وقد طلب مني ـ رئيس القسم ـ بعد الاطلاع على الرواية حذف أو تعديل العبارة التى أقول فيها « إنني سئمت واقعي وسئمت ما يكتب من الواقع ولابد لي أن ألجأ إلى أجواء أخرى تتناول رؤى خيالية » ليتمكن من نشرها مسلسلة .. إلا أنني رفضت أى حذف أو تعديل لأنني لم أتفق معه فى أن هذه العبارة تسيء إلى كبار كتاب الواقعية فى مصر .. وقد قدر لهذه الرواية أن ترى النور عام ١٩٧٢ بعد حصولها على الجائزة الأولى من نادى القصة عام ١٩٦٩ وميدالية يوسف السباعي الذهبية عام ١٩٧٠ .. وقد حصلت كذلك على ثلاث جوائز أولى عن ثلاث قصص قصيرة من نادى القصة عام ١٩٧٠ .. وقد صدر لي حتى الآن روايتان وأربع مجموعات قصصية .

الخيال العلمي والتراث

وطلبت من نهاد شريف أن يحدد الهدف من كتابة قصص الخيال العلمي .. فأجابني قائلا :

ـ الواقع أنني لم أطرح هذا السؤال على نفسي أبداً وإنما كنت أكتب فقط تعبيراً عن مايتفاعل فى داخلي .. ولكني أستطيع أن أقول أن الهدف الأساسي كما حدده المؤتمر الذى عقد فى فرنسا منذ عامين هو تناول وتوضيح الآثار السلبية والايجابية لمنجزات التكنولوجيا وتأثيرها على حياتنا ، والإعراب عن المخاوف من التقدم العلمى غير المتكامل وبيان ما وصلت إليه بعض النظم البشرية ـ بفضل العلم ـ من تهديد لانسانيتنا .. كما أن الخيال العلمي قد استخدم للتعبير عن بعض القضايا المعاصرة مثل قضية هوية الإنسان والتعارض بين ظاهره وباطنه .. وكذلك فى رأيي أن من أهداف أدب الخيال العلمي تبسيط العلوم وتقديمها بصورة جذابة لطبقات الناس التي تنفر من كل ما هو علمي وجاف ، بالاضافة إلى ترغيب الشباب فى التفكير العلمى الجاد !

• هل ينتسب أدب الخيال العلمي إلى التراث الشعبى والخرافي أم إلى تراث الأدب الجاد ؟

ـ الأسطورة هى الجذور الرئيسية لأدب الخيال العلمى .. وهى التفكير العلمى الأول للانسان فى محاولاته الجادة لمعرفة ما يحيط به من ظواهر طبيعية ، وهذا ما أشار إليه روبرت شول فى كتابه « ! »

وقد تجاهل الدارسون الأجانب لفترة طويلة الجذور العربية المؤكدة لأدب الخيال العلمي والتي سبقت الجذور الغربية .. مثل آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي في القرن العاشر ، وهى نوع جاد من اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة سبقت يوتوبيا توماس مور في القرن السابع عشر..

وهناك أيضاً قصة « حي ابن يقظان » لابن طفيل فى القرن الثانى عشر والتى سبقت بقرون قصة روبنسون كروزو ، ومن بعدها قصة طرزان : وهما فى نظر الدارسين من جذور الخيال العلمى .. وقد أشرت فى العديد من المؤتمرات إلى هذه الجذور العربية ، ويقوم أحد المستشرقين الألمان حاليا بإعداد دراسة كاملة عن قصة « حي ابن يقظان » معتمداً على المعلومات التي قمت بتزويده بها ـ وكذلك ـ على كتاب شيخ الأزهر الجليل محمد عبدالحليم محمود عن ابن طفيل !

• هل رواية الخيال العلمي رواية أفكار أو رواية حبكة جيدة وشخصيات مدروسة ؟

ـ لا هذا ولا ذاك !. بل هي رواية تعتمد أساسا على مدى تمكن الكاتب وقدرته على فهم ومتابعة منجزات العلم ومبتكراته !! وليس شرطا أن يكون الكاتب متمكناً من الكتابة كأديب . فهذا نوع من المراس يستطيع اكتسابه مستقبلا .. ولكن الأهم أن يكون قادراً على « تنفس » المعلومات العلمية وهذه مهمة شاقة وعسيرة تتطلب لانجازها صبراً فى عصر بلغت فيه إنجازات العلم وتفرعاته حداً رهيباً تستحيل معه القدرة على المتابعة والالمام بكل جوانبه .

وتساءلت .. لماذا الطبيعة البشرية فى هذا اللون من الروايات مبسطة تبسيطاً شديداً خاليا من النضج والعمق ؟

ـ لأن الكاتب يحصر جهده وانتباهه عند الكتابة بالإتجاه العلمي للرواية وتكون شخصياتها عادة مجرد أدوات تنفيذ لأفكار ومخططات علمية !! ولكن هذه ليست قاعدة تطبق على الجميع فهناك بعض الكتاب الذين يكون اهتمامهم بالشخصيات مساو لإهتمامهم بالفكرة العلمية !! وأنا شخصياً أحاول التركيز على شخصية أو أكثر فى كل عمل من أعمالي !

• لماذا ركزت اهتمامك بشخصية الصحفي فى روايتك « قاهر الزمن » دون الآخرين ؟

ـ لأني أردت أن أوضح كيف يمكن لسطوة العلم أن تفقد الانسان إتزانه والتزامه وتنسيق مبادئه !



نهاد شريف مع زوجته التي تعتبر الناقدة الأولى لأعماله

حول البناء الفني

• ما هي ــ في رأيك ــ أسباب ضعف البناء الفني ــ عموماً ــ لرواية الخيال العلمي ؟

ــ أعتقد أن ضعف البناء الذي يعود أساساً إلى عدم عقلانية سير الأحداث فيها ، وعدم قدرتنا على تصديق ما يحدث .. إذ كيف يمكن أن نصدق أن « كبلر » قادر على نقلنا على جناح الحلم .. وكيف يمكننا أن نقتنع بمرافقة جول فيرن مع جماعته داخل قوقعة تطلق من مدفع هائل .. إن القارىء يقبل على قراءة الخيال العلمي كنوع من المتعة الذهنية ولكنه لا يستطيع أن يقنع نفسه حتى بمجرد محاولة تصديق ما يقرأ .

• النبوءة العلمية هدف محوري من أهداف هذا اللون من الكتابة . فما هي بعض النبوءات التي تحققت ؟

ــ لا يمكن حصر النبوءات الصادقة التي أشار إليها كتاب الخيال العلمي .. فهناك مثلا نبوءة الوصول إلى القمر قبل عشرات السنين من بزوغ فجر عصر الفضاء ، وكذلك اختراع الغواصة .. وهناك آرثر كلارك الذي تنبأ بمعظم ما تقوم به الأقمار الصناعية الآن قبل سنوات من ظهورها .

• لماذا يتصور أبطال القصص العلمي ــ عموماً ــ أن في تقيدهم بكوكب واحد نوعاً من السجن والنفي ؟

ــ لأن الانسان قلق بطبيعته يجنح لرفض وتحطيم كل القيود .. فإذا اعتبرنا أن البيت قيد بالنسبة له فإنه حتماً سيتطلع إلى ما وراء جدرانه ليرضي فضوله ونوازعه القلقة المتوثبة لكل ما هو جديد .. وكلما منحناه مساحة أكبر يمارس فيها تطلعاته للحرية فإنه سيظل يترقب مساحة أكبر وهذا ينطبق على أبطال الخيال العلمي الذين تمثل لهم الكرة الأرضية البيت الذي يجب تجاوز جدرانه ، وهذه ميزة تحسب للانسان وتقف إلى جانب علوم المستقبل التي تبحث عن كوكب بديل أو مكمل يمكن للانسان أن يعيش فيه . وهو الأمر المحتمل حدوثه خلال العشرة قرون القادمة على الكوكب المحيط بالمجموعة الشمسية .. وسوف ينجح الإنسان في خلق الظروف الملائمة له على سطح المريخ ــ مثلا ــ الأكثر برودة وكوكب الزهرة الأكثر سخونة بما سيحمل معه من معدات علمية جديدة .

• يقول كافور بطل ويلز « لا الانسان ذو فائدة للقمر ولا القمر للانسان » فهل تعتقد أن هذه المقولة قد ثبتت صحتها حتى الآن ؟

ــ ربما .. ولكن يكفيه أنه مازال بعد اكتشاف حقيقة وجهه المضيء مصدر وحي للشعراء والكتاب والعشاق .. ولكنى أستطيع أن أؤكد أن سيتم الاستفادة منه بصورة عملية في المستقبل القريب وخاصة أن الكشوفات الأولى قد دلت على وجود أنواع جديدة من المعادن ، بالاضافة إلى أن أنواع المعادن الأخرى أكثر نقاء وجودة من مثيلاتها الموجودة على الأرض .

• هل تعتقد أن رواية الخيال العلمي قد وصلت إلى الطريق المسدود عندما اصطدمت بالمأزق الانساني بين وعد العلم بالسعادة المادية المطلقة وبين استلابه للحرية الفردية والذاتية الشخصية وخلخلته للقيم الانسانية ؟

ــ لا .. لا أعتقد أن رواية الخيال العلمي قد وصلت الى الطريق المسدود ولا نستطيع الجزم بذلك لأن قلة من البشر أساءت استغلال طريق العلم .. فما زلنا في بداية الطريق .. ومازال في استطاعة العلم أن يقدم لنا الكثير الكفيل بحفظ توازننا النفسى والمادى .

• هل أنصف النقاد أدب الخيال العلمي وكتابه ؟

ــ أستطيع أن أؤكد أن النقاد لم ينصفوا أدب الخيال العلمي وكتابه . وأنا أقصد بالإنصاف المواكبة المستمرة لأعمال الكاتب وتقييمها .. فأدب الخيال العلمي أدب جديد ومعقد ويتناول رؤية الكاتب العلمية والسياسية والانسانية في وقت واحد .. وهذا يشكل عبئاً كبيراً على الناقد .. ولهذا يندر ناقد هذا الأدب الصعب سواء في العالم الغربي أو العربي .

• هل تعتقد أن كاتب القصص العلمية أقل شعبية وشهرة عن غيره من الكتاب ؟

نهاد شريف
رائد الخيال العلمي في الأدب العربي

ــ هذا صحيح بالنسبة لوطننا العربي إلى حد ما .. ولكن لكتاب الخيال العلمي في العالم الغربي مكانة خاصة ومميزة .. وهذا يتضح في اختيارهم للعمل كمستشارين في بعض المؤسسات العلمية الكبرى ، وذلك يعود في رأيي إلى إيمان عميق بهم وبأهميتهم وبتأثيرهم على الناس .

وعلى النقيض من ذلك نجد أن الكاتب العربي لا يجد الشجاعة الكافية لخوض هذا المجال اعتقاداً منه بصعوبته ولافتقاده القارئ المتحمس والناقد المواظب والناشر الجريء .

كتاب الخيال العلمي

• من هم كتاب الخيال العلمي في العالم العربي ؟

ــ كتب توفيق الحكيم مسرحية اسمها « رحلة إلى الغد » وقصة طويلة اسمها « سنة مليون » ولم يعتبرها النقاد المصريون وبعض المستشرقين من أدب الخيال العلمي .. في حين اقتصر الدكتور يوسف عز الدين عيسى على تقديم إنتاجه من هذا اللون إلى الاذاعة .. وكتب الدكتور مصطفى محمود روايتين : « العنكبوت » و « رجل تحت الصفر » .. وإن لم يعتبر النقاد روايته الثانية من الخيال العلمي .. ثم جئت أنا بكتاباتي .. وما يميزني عن هؤلاء الكتاب هو أنني قصرت جهدي على هذا اللون من الأدب .

• وماذ عن أعمال الدكتور أحمد زكي ؟

ــ مجرد كتابات علمية ولا يمكن اعتبارها من أدب الخيال العلمي .

• هل كتب تاريخ هذا اللون الروائي في الأدب العربي الحديث ؟

ــ لم يكتب بعد .. ولكنني بدأت منذ عام ونصف عام كتابة أول دراسة باللغة العربية عن أدب الخيال العلمي .. حيث تعاني المكتبة العربية من فقر في هذا المجال عدا محاولات بسيطة على شكل مقالات كتبها الدكتور نعيم عطية ويوسف الشاروني والدكتور علي شلش .

• هل تواجه قضية العلم في أعمالك من منظور يتشابه أو يختلف عن منظور الكاتب الغربي ؟

ــ إنني أواجه قضية العلم في كتاباتي من خلال نظرة ذاتية شخصية ونظرة محلية تتناول واقع أمتي العربية وما هي عليه من تأخر وتخلف في مجال العلم بالذات .. ونظرة أكثر شمولا تتناول العالم بأسره .. وحين أكتب فإن النظرة الشمولية تسيطر على واقع كتاباتي وتتركز في التحذير من المخزون النووي وترسانات السلاح في الدول الكبرى والصغرى على حد سواء .

• هل واجهتك مشكلات في البناء الفني للرواية كمشكلة الانتقال ــ مثلا ــ في الزمان والمكان ؟

ــ هذه فعلا واحدة من المشكلات التي يواجهها بعض الكتاب في البناء الفني للرواية .. ولكنني شخصياً استطعت تجاوزها .. وتبقى المشكلة الرئيسية والأهم وهي كيفية الحصول على أوجه النظر المتعددة للحقيقة العلمية الواحدة فمصادرها غربية بعيدة عن متناول يدنا .

نهاد شريف في سطور :

• من مواليد حي محرم بك الاسكندرية في ٢٥ يونيو ١٩٣٢ .

• حفيد رئيس الوزراء ومؤسس الدستور المصري محمد شريف باشا .

• مع أول عام ١٩٧٤ عمل مراقباً للمعلومات بالمجلس الأعلى للثقافة ثم مراقباً عاماً للتحرير والنشر ثم مديراً عاماً .

• عضو مؤسس باتحاد كتاب مصر ، وعضو مؤسس وعضو مجلس إدارة ، الجمعية المصرية للمحررين والكتاب العلميين .

• مؤسس ورئيس ، جماعة كتاب ومحبي الخيال العلمي المصرية .

• تدرس أعماله في أقسام الدراسات الأدبية بجامعات القاهرة ، عين شمس ، الاسكندرية ، ومعهد الاذاعة والتليفزيون .

• ترجمت مؤلفات له إلى اللغات : التركية ، الانجليزية ، الفرنسية ، الصينية .

• له تحت الطبع ثلاث روايات .. ومجموعة قصص « الشيء » .. ودراسة بعنوان « الخيال العلمي أكثر نماذج الأدب إثارة » بالاضافة الى ثلاثية « الرحلة المستحيلة » ومجموعة مقالات .

• عضو لجان التحكيم في مسابقات القصة والرواية التي ينظمها نادي القصة والمجلس الأعلى للثقافة .

• شارك في مؤلفين : يوسف السباعي في ذكراه الأولى (١٩٧٩) ــ ألوان من الأدب المصري الحديث (١٩٨٠) .

• وقد صدرت كتب تناولت أعماله منها : عالم نهاد شريف .. إلى أين ؟ وبه مجموعة دراسات بأقلام مجموعة من أساتذة الفنون الدرامية في مصر (١٩٨٣) ــ التفسير العلمي للأدب للدكتور نبيل راغب (١٩٨١) الرواية المصرية المعاصرة ليوسف الشاروني (١٩٧٧) . بانوراما الرواية العربية . د . سيد حامد النساج (١٩٨٠) .

• ما هي القضايا الفكرية التي أثرتها في أعمالك ؟

ــ قضيتي الأولى والحاسمة والمهمة جداً هي قضية بقاء الجنس البشري .

• لكنك أثرت في روايتك « قاهر الزمن » عدداً من القضايا الفكرية المرتبطة بحركة العلم في الساحة الاجتماعية وبما تثيره هذه الحركة من قضايا دينية واجتماعية وسياسية وإنسانية ، وأول هذه القضايا وأكثرها حدة قضية استخدام البشر في التجارب العلمية ، والقضية الثانية هي ألا يعتبر تبريد الأجساد تدخلا سافراً في مشيئة الله ؟

ــ بالنسبة للقضية الأولى فأنا أقف وبشدة ضد استخدام البشر في التجارب العلمية .. وأما بالنسبة للقضية الثانية فأنا لا أعتقد أن محاولة تبريد الأجساد تدخلا سافراً في مشيئة الله .. لأن الله الذي خلقنا هو الذي منحنا البصيرة لنكتشف مانكتشفه يوماً بعد يوم .. فمهما بلغنا من منجزات علمية فلن يكون خرقاً لإرادة الله .

للحوار بقية ..

وماذا بقي من هذا الحوار ..

قال لي نهاد شريف وأنا وجهاز التسجيل تصغي :

• كان يوسف السباعي عالما يحب العلماء .

• وكانت بعض مقالات أنيس منصور العلمية أفكارا حية لعديد من قصصي القصيرة .

• كان الناشر ــ في محاولاتي الأولى للنشر ــ يرجوني حذف عبارة « من قصص الخيال العلمي » حتى لا يصاب الكتاب بالكساد .

وتذكروا هذا الاسم « صلاح الدين معاطي » القاص المبدع الجديد القادم لأدب الخيال العلمي .. تذكروه .

• وقرأت تقريراً عام ١٩٧٦ يقول إن الذين يعملون من أجل دمار البشرية نحو ٤٪ من علماء اليوم .. والذين يعملون من أجل سعادة الانسانية والكون تؤخذ أعمالهم مباشرة للدمار ٢٠٪ والذين يعملون أيضاً من أجل خدمة البشر ويمكن أن تؤخذ بعض أعمالهم للهلاك ٢٠٪ أما الذين يعملون لصالح البشرية ولا تؤخذ أعمالهم ضدها فهم ٦٪ فقط .

• هذا التقرير المفزع كان أساس روايتي « سكان العالم الثاني » التي تنتمي لأدب الخيال السياسي .. وسوف يتم تحويلها إلى مسلسل تليفزيوني من إخراج فؤاد عبد الجليل .

• ابنتي إيمان تحاول كتابة الشعر .. وابنة أختي نازلي لها ديوان مطبوع .

وبقي أن أسجل كلمة قالها يوسف الشاروني : « لقد نجح نهاد بأن جعل من المغامرة العلمية مغامرتنا .. ومن حلم بطله حلمنا جميعاً » .

سارة

قصائد

شعر
أحمد عنتر مصطفى

العناكب

شُرفَتينِ على الحلم مفتُوحتَيْن ، تَظلَّانِ عيْناكِ ، تحتها (حينَ يَعْبُرُ قَلْبي)
يَمُورُ التلهفُ بينهما ، لكنّي حين أُطْلِقُ عُصْفُورةَ الشوقِ
تَنْقُرُ فيكِ النوافذَ ، ترْتجفينَ ، تفرِّينَ منِّي ،
وَعُصفُورةُ الشَّوْقِ ترْجعُ لي ، بَيْنَ مِنْقَارِها
الخيبةُ الداميةُ ...

دائماً تلْعَقُ الريحُ وَجْهِي ..
حَيْثُ تنحدرينَ مِنَ الذاكره ..
للنهرِ تَغْتسِلينَ ، تَعُودِينَ ،
فِي كَهْفِكِ المُظلمِ السنواتِ ، تَغِيبينَ ،
تتكئِينَ على صَخْرةِ النَار .. ، تَنْكمِشينَ .. ،
العَناكِبُ تنْسجُ فَوْقَكِ كلَّ خُيُوطِ الهُمُومِ . . . ؟
وَأَنْتِ تَمُوتِينَ فِي زَاوِيَهْ ! !

أوتوجراف

أرسمُ وردهْ
في حَجْمِ الفَرَحِ الجامحِ ، تزهُو ،
تتحدى سكيناً تَشْحُذها الريحُ الداميةُ المسعورهْ
وَجبالاً - أرْسُمُ - وبراكينَ ،
وَعينيْنِ كطفليْنِ وَدِيعيْنِ ،
وَأُمّاً تحملُ طفلاً حافيةً مَذْعُورهْ
أرسُمُ شمساً مُلْقاةً نِصفيْنِ على الأسْفَلْتِ ،
وَفاتِنةً تستقبلُ عاشِقَها ،
وَدِماءً في الغاباتِ ،
وَخُوذةَ جُندِي ،
وَقَميصاً ثَقبتْهُ الطلقاتُ ..

. . . .
. . . .
. . . . أَرْسُمُ قَلْبِي . . .

نبوءة

. . وَلغيْرِي قَدْ تكُونينَ غداً
وَأنا الآنَ على صَدْرِكَ أغْفو ..
لَسْتُ أحْلُمْ
إنما أَهْرَبُ من عَيْنيْنِ يَبْدُو فيهما شَيْءٌ مُحطَّمْ
وَرِياحٌ تترُكُ العُمْرَ رَمَاداً أَسْوَدَا
. . . . .
وَلغيْرِي قَدْ تَكُونِيَن غدًا ..



مقاومة

. . وَكَانَ يُغَنِّي
وَكَانَ يُلاطِفُ كُلَّ الصغَارْ
وَكَانَ إذا لكزَتهُ كُعُوبُ البَنادِقِ
يَرْسُمُ وَرْدَهْ ! !



صورة علوية من الجو للمباني الأكاديمية في الجامعة ، ويبدو مبنى المكتبة وهو يتوسط الكليات .

جامعة قطر الجديدة : تجسيد للفكر المعماري الإسلامي المعاصر

القصة الكاملة لأحدث جامعة عصرية في العالم العربي

بقلم : السيد حجازي



سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني في حفل تخريج الدفعة الأخيرة من جامعة قطر.. وسوف يفتتح سموه مبنى الجامعة الجديدة في الثالث والعشرين من هذا الشهر

الأعمال الكبيرة هي علامات مضيئة في عمر الزمن ، وهي المقياس الحقيقي لتقدم الأمم والشعوب ..

وانشاء جامعة عصرية جديدة هو في حد ذاته عمل كبير : ثقافياً وعلمياً وتاريخياً ..

وأحدث جامعة تفتح أبوابها خلال هذا الشهر هي جامعة قطر الجديدة ، أو بمعنى أدق : المباني الجديدة لجامعة قطر ..

انها عمل كبير بكل المقاييس ..

فهي مجهزة بآخر ما وصل إليه العلم والتكنولوجيا ، وهي تضم بين قاعاتها ومعاملها أحدث الأجهزة والمعدات ..

وهي أيضاً تحفة معمارية جديدة ..

فقد صممت بطراز معماري فريد ، يجمع بين الأصالة الإسلامية ، وفنون العمارة الحديثة ، والطابع المحلي ..

من هنا كان الاحتفاء بهذا العمل ، وتسجيل كل الجهود التي وقفت وراءه ، ودعمت جهوده ، وحولته من مجرد فكرة الى واقع حي ملموس ..

وهذه هي قصة هذا العمل الفريد ..

هذه هي قصة أحدث جامعة عصرية في المنطقة .. وربما في العالم كله ..

يكون حواراً ، وقد يكون تقريراً يقدمه أحد الطلاب ويعرض للنقاش ، كما قد يكون عبارة عن تقسيم الطابة الى عدد من المجموعات الصغيرة تعالج كل منها جزئية تتكامل فيما بعد ، بالقاء الأضواء على كل أكبر متكامل ..

وفي هذا قد تحتاج الدراسة للاستعانة بما يسمى التكنولوجي البسيط والمركب ، مثل السبورة وجهاز الفيديو ، أو آلة السينما ، أو معمل اللغويات ، أو غير ذلك ..

وتتمثل المهة الأولى لجامعة قطر في تصور مديرها في المساهمة في اعداد قيادات يكون لها دورها الواضح في توجيه حركة المجتمع للحاق بالعصر ..

وهذا ليس مجرد تقليد للغرب ..

انه التطور المنطلق من هويتنا الذاتية الاسلامية العربية ..

فمفهومنا عن العصر هو مفهوم أصيل حتى لو تطابق في مساحات كثيرة مع مفهوم العصر عند المجتمعات الأخرى ..



مبنى كلية العلوم على اليمين ومبنى كلية الانسانيات على اليسار (صورة من الجو)

● لا تتماثل مع نظيراتها من الأبنية الجامعية في المنطقة العربية وفي العالم

● أبنية فريدة من نوعها وطابع معماري اسلامي مواكب لتطورات العصر

والبداية قديمة ..

فمنذ أن بدأ التفكير في إقامة جامعة قطر صاحب هذا التفكير موضوع اقامة مبان جامعية مناسبة ..

ومن هنا يتضح أن فكرة المباني الجامعية الجديدة هي قديمة قدم الجامعة نفسها ، وتطورت مع مراحل التعليم الجامعي منذ عام ١٩٧٢ ..

وكان طبيعياً ، هكذا يقول الدكتور محمد ابراهيم كاظم مدير الجامعة ، أن يكون التفكير في اقامة جامعة قطر تفكيراً غير تقليدي : في مبانيها وتصميماتها ..

فجامعة قطر ليست مجرد مكان يتلقى فيه الطلاب والطالبات المحاضرات من الأساتذة .

ولكن المباني هي الوعاء الذي يفترض فيه تحقيق أكبر الفرص للنشاطات الجامعية .

لذلك فإن أغراض جامعة قطر من الناحية المكانية ـ والحديث لايزال لمديرها ـ أن تكون مستقراً لمجتمع بشرى ينشط وينمو ويتفاعل . ويكون للفكر والحركة المادية والانتماء المحلي والعربي والعالمي بصماته الواضحة عليه ..

فالمباني الجامعية مكان توجد فيه المكتبة والمختبر وقاعة الدرس والملاعب والمطاعم وساحات النشاطات المختلفة للطلاب .

كما أنها المكان الذي يسمح بعقد الندوات المحلية والاقليمية والدولية ..

وحتى قاعة الدرس فإنها ليست قاعة محاضرات بالمعنى المتعارف عليه . فأسلوب المحاضرة ليس الأسلوب الوحيد للنمو المتكامل لطالب الجامعة . بل إن جامعة قطر تتطلع الى نظام تعليمي جامعي يؤكد على تعلم الطالب بنفسه دون الاعتماد فقط على دور الأستاذ في تعليم الطلاب .

ويضيف الدكتور كاظم مدير الجامعة :

لاشك أن نجاح الجامعة في نهاية الأمر بالنسبة لطلبتها ، هو تخريج نوعية من الشباب قادر على النمو المتكامل وليس الأكاديمي فقط . قادر على تعميق مشاعره بالانتماء المرتبط بإدراكه لهويته الحضارية كمسلم وعربي وكقطري وكانسان معاصر ..

ويتضح من هذا أن حاجة هذا الانسان للعلم لابد أن تتكامل بحاجته للرياضة والتعامل مع الناس وتحمل المسئولية والتحلي بالخصال الحميدة والسلوكيات المناسبة ..

لذلك فإن قاعة الدراسة يكون دور الأستاذ فيها إدارة المناخ التعليمي الذى قد يكون محاضرة ، وقد

مجموعة برامج

ويضيف الدكتور كاظم الى ذلك قائلا إن هذه المهام وهذه الأفكار مترجمة فعلا الى مجموعة من البرامج والمؤتمرات والنشاطات والاجراءات . مترجمة الى برامج تطرحها الكليات ومراكز بحثية تعالج قضايا المجتمع . ومترجمة أيضاً الى مجموعة من المجلات المتخصصة والصحافة الطلابية ، والى موسم ثقافي ونشاط رياضي وفني ..

وطبيعي كذلك ألا يتم هذا دون وجود المطاعم والنوادي الطلابية ..

وأسأل الدكتور كاظم خلال حديثه عن تصميمات المباني الجديدة ، ولماذا جاءت بهذا الشكل بالذات ..

وتجيء الاجابة بسيطة ومقنعة ..

فقد كانت مهمة المهندس المعماري الأستاذ الدكتور كمال الكفراوي أن يصوغ في تصميمات متكاملة هذه المفاهيم والمعاني ..

والدكتور الكفراوي هو عربي مسلم عمل كأستاذ في قسم العمارة بكلية الفنون الجميلة بباريس ..

كانت قضيته من ناحية الشكل أن يكون التصميم منتمياً للبيئة الخليجية العربية الاسلامية ، من ناحية حلولها التقليدية لمعمارها ، ومن ناحية وجودها في بيئة لها مميزاتها الخاصة من حيث سطوع الشمس ودرجة الحرارة وغير ذلك ..

النظرة الداخلية

ولذلك اتجه المهندس الكفراوي الى النظرة الداخلية التي تجلت في مجموعات من الوحدات التي تتصل ببعضها البعض اتصالا داخلياً عن طريق الأحواش والممرات المزروعة ، فالهادئة ،

الدكتور عبد الله الكبيسى
مساعد مدير جامعة قطر



الدكتور محمد ابراهيم كاظم
مدير جامعة قطر



الدكتور عبد الرحمن الابراهيم
أمين عام جامعة قطر

والمظلة ..

كما اهتم أن تكون قاعات الدراسة والوحدات مثمنة الشكل ، بحيث تتناسب مع استخدامات لا تقتصر على أسلوب المحاضرة التقليدى الذى ربما كانت الغرف ذات الأربعة جدران أفضل لها ..

واهتم المهندس أيضاً بأن تكون التصميمات الخاصة بالمكتبة مرتبطة ارتباطاً واضحاً بالمزاج العربى ..

وفى نفس الوقت فإن التكنولوجيا الحديثة أغنت عن الحاجة الى المساحات الضخمة والأرفف الطويلة التى يحتاج إليها للاحتفاظ بأعداد هائلة من المجلدات . وأصبح الاتجاه الآن الى مفهوم « الميكروفورم » أو ما يسمى بالمصغرات ..

واهتم الدكتور الكفراوى أيضاً بتكامل الوظائف داخل هذا الوعاء الحيوى ، من حيث التجاور ، وابتعاد الوحدات بعضها عن بعض ، وقد تجلى ذلك بوضوح فى محاور الجامعة ..

كما راعى كذلك متطلبات المجتمع القطرى فى الفصل الكامل بين الجنسين ..

ويعلق الدكتور كاظم على نتائج هذه المحاولات قائلا ان مبانى جامعة قطر هى عمل معمارى فريد ..

ولذلك فإن معايير الحكم عليه تتجلى فى جمال الشكل ووظيفية المضمون ..

وطبيعى أن المفروض فى العمارة الجديدة أن تستوفى الجانبين . وهذا يؤكد ما يقال باستمرار من أن المبنى الجيد لا يكفى فيه أن يؤدى وظيفته ، بل يجب أيضاً أن يتسم بالجمال ..

وبهذه المناسبة فإن الجمال قيمة عربية اسلامية انسانية أصيلة ..

ومن الناحية النفعية فإن الجمال من الممكن أن يؤدى الى زيادة الانتاج ، وهو عبارة عن تفاعل الأذواق المتطورة نحو مزيد من السمو ، وقدرة الموضوع على التلاؤم مع هذه الأذواق . واذن فإن للجمال عناصره الذاتية والحضارية . وطبيعى أن هذا لا يتعارض مع البعد الانسانى ..

● الجامعة الجديدة تتكلف ٧٠٠ مليون ريال وعشر سنوات من العمل المتواصل

● ٣٩٩ عضو هيئة تدريس و ٤٦٥٨ طالباً وطالبة وقبة سماوية لدراسة الفضاء

جدل واختلاف

وسيظل هذا العمل لمدة طويلة مجالا للجدل والاختلاف بين الناس ..

هكذا يؤكد مدير جامعة قطر فى حديثه معى ..

فالأعمال الأصيلة لا تصنف بسرعة ولا بسهولة . وهى أعمال مرنة المعنى والدلالة ، متغيرة الأثر ..

وسوف تختلف أحكام الناس على مبانى الجامعة فى قطر من ناحية الشكل والتذوق الجمالى . كما سوف تختلف الأحكام من حيث نجاحها الوظيفى باختلاف النظرة الى مفهوم الجامعة ووظائفها وأهدافها وأدوارها ومراحلها الحضارية وعلاقتها بالمراحل الحضارية للمجتمع المحلى والمجتمعات الأوسع ..

وتبقى على أية حال كما يقول الدكتور كاظم أن تكون مهمتنا فى الوقت الحاضر هى أن نقابل هذا التحدى الجديد : تحدى الانتقال من البيئة التقليدية المألوفة فى مبانيها المؤقتة الى هذه المبانى الأرحب مكانياً ومعنوياً ..

ويضيف ان مهمتنا أن نتطور بنظرتنا الى أنفسنا والى الأمور والى الامكانات الجديدة المتاحة والقيود الجديدة التى تمليها الظروف الجديدة وهماً كانت أو حقيقة . وهذه على أية حال مسيرة الحياة ، والعصمة من الصعاب ليست بالجهل بها ، ولكن بالتعامل معها وتكريس الجهود بالتغلب عليها وتحقيق التقدم الحثيث الدائم ..

ولا يمكن ونحن نسجل بعض الجهود التى وقفت وراء هذا العمل الضخم أن ننسى أنه خلال السنوات الماضية ومنذ انشاء مكتب التطوير الفنى فى الجامعة ، والكل يعمل على متابعة المبانى والتجهيزات والتأثيث ..

مائة ألف قطعة

وفى هذا يقول الدكتور كاظم إن لك أن تتصور أن الإعداد للانتقال يتضمن وضع مائة ألف قطعة فى أماكنها المصممة لها . ويضيف أنه ينتهز هذه الفرصة فى الواقع ليشيد باخوانه أعضاء مكتب التطوير على الجهد الذى قاموا به ومازالوا ، لتحقيق عملية انتقال سلسلة وميسرة ..

كما يوجه الشكر أيضاً للمكتب الفنى بالديوان الأميرى وعلى رأسه المهندس هشام قدومى ، فهذا المكتب يحق له أن يعتز بتكليل جهوده عبر هذه السنوات فى متابعة التنفيذ . ويضيف قائلا إنه أولا وأخيراً فإن الشكر يوجه الى حضرة صاحب السمو الرئيس الأعلى للجامعة ، الذى لولا عنايته ورعايته لهذا المشروع ودفع خطواته وتذليل صعابه لما جاء بهذه الصورة التى حققت لقطر موضعها الأكيد على الخريطة الحضارية ..

وأترك الدكتور كاظم لكن بعد أن أعرف منه بعض الأخبار والمعلومات الهامة عن هذا الانجاز الكبير ..

فقد بلغت تكاليف المبانى الجديدة لجامعة قطر حوالى ٧٠٠ مليون ريال قطرى . وهذا المبلغ الكبير يبدو فى رأيه متواضعاً أمام الانجاز الذى تم ..

ويقوم حضرة صاحب السمو أمير قطر المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني بافتتاح المبانى الجامعية الجديدة يوم السبت الثالث والعشرين من هذا الشهر (فبراير) . وسوف يكون ذلك فى إطار

أحد الأفنية في كلية الهندسة بالجامعة الجديدة وقد تم استعمال نظام المشربيات في انشائه

الاحتفالات بيوم ٢٢ فبراير الذى يعد مناسبة قومية كبيرة. وسوف يستمر الاحتفال بافتتاح المبانى الجامعية لمدة ثلاثة أيام ..

وقد وجهت الدعوة لحضور الاحتفال بالمبانى الجامعة الجديدة لرؤساء الجامعات العربية والعالمية ، والعديد من الشخصيات الدولية المرموقة فى مجالات الحضارة والفكر والثقافة ..

دور المكتب الفنى

وبعد هذا اللقاء مع مدير الجامعة أشاهد عن قرب البناء الضخم الشامخ ، وأسأل بعد جولة فى أركانه عن الجهد الذى بذله المكتب الفنى للتطوير الجامعى فى هذا العمل الكبير ..

وتجيئنى الاجابة من الدكتور عبدالله الكبيسى مساعد مدير الجامعة ورئيس المكتب الفنى للتطوير الجامعى ..

فى البداية تحدث عن دور المكتب بالتفصيل ..

قال ان قراراً صدر من مدير الجامعة بإنشائه فى أواخر عام ١٩٧٩ ؛ ليتولى مسئوليات التطوير الجامعى . ويتابع الدراسات والمقترحات والتصميمات الهندسية للحرم الجامعى ؛ ويعمل على تنسيق الاتصال بالمسئولين عن أعمال الانشاءات الجديدة وضمان ملاءمتها لاحتياجات الجامعة ..

ويعتبر المكتب الفنى للتطوير الجامعى كما يقول الدكتور عبدالله الكبيسى هيئة استشارية تتبع مدير الجامعة ، ترفع إليه الاقتراحات والتوصيات ومحاضر الاجتماعات ، للنظر فيها ، واعتمادها قبل أن تجد طريقها الى التنفيذ ..

وقد يكلف مجلس الجامعة المكتب الفنى للتطوير باجراء بعض الدراسات كما حدث فى عدد من الحالات ..

ويضيف الدكتور الكبيسى : إن خطوط اتصال المكتب متعددة ومستمرة ، سواء داخل الجامعة أو خارجها . كما أن هناك لجاناً فنية دائمة داخل



الدكتور كمال الكفراوى المهندس المسئول عن تصميم مبانى الجامعة الجديدة



الأفنية والحدائق الداخلية مصممة بنظام خاص مميز كما يبدو في الصورة

المكتب تواصل دراسة ما يخصها من موضوعات وهى لجنة المباني ولجنة التجهيزات ولجنة اللوائح والتنظيمات الادارية ، ولجنة الحاسب الآلي ..

وبالاضافة الى ذلك يوجد عدد من اللجان المؤقتة التى ينتهى عملها بانتهاء ما يناط بها من مهام مثل لجنة شئون الجدول الدراسى للبنات بالمبنى الدائم ..

ولقد قام المكتب بمناقشة التخطيط العام لمبانى الجامعة الجديدة ، والاتفاق على الوحدات المطلوبة ، ومتابعة اجراءات تنفيذ وتجهيز المبنى . وعقدت اجتماعات دورية سواء مع المسئولين عن تنفيذ تلك المبانى أو مع ممثلى الأقسام بالجامعة ، أو مع خبراء اليونسكو لتحديد احتياجات الكليات من الأجهزة والاثاث ..

خطوات المتابعة

لكن ما هى الخطوات التى قطعها المكتب فى متابعة المبانى والتجهيزات والتأثيث ؟ ..

طرحت السؤال على الدكتور عبد الله الكبيسى ..

وجاءتنى الاجابة التى تكشف عن دور المكتب فى هذا العمل الكبير ..

ان المكتب قطع شوطاً كبيراً فى متابعة المبانى والتجهيزات والتأثيث . فقد تم تجميع كل المعلومات المتعلقة بالنواحى الاكاديمية والتى يمكن تنفيذها لرفع كفاءة المبنى . وتحقق ذلك باستطلاع آراء أعضاء هيئة التدريس بالأقسام المختلفة بالجامعة ، ومتابعة وتنفيذ احتياجات الأقسام من التجهيزات العلمية والأثاث ، وادخال العديد من التعديلات فى المبنى أثناء التنفيذ ..

كما اقترح المكتب اضافة العديد من الاحتياجات الجديدة التى لم تكن ضمن المراحل الأولى مثل الأنشطة الطلابية والاجتماعية لكل من البنين والبنات ..

وهناك بطبيعة الحال صعوبات تعترض أى مشروع كبير ..

وبالنسبة لاقامة المبانى الجديدة كانت هناك كما يقول محدثى بعض الصعوبات ..

مثلا عدم تنفيذ كل المطلوب فى الموعد المحدد ، أو تأخر توريد بعض التجهيزات أو الأثاث ..

لكن المكتب تمكن من مواجهة هذه الصعوبات ، وايجاد حلول لها ، بالتعاون مع المكتب الفنى للديوان الأميرى ، ومع أعضاء اللجان المعنية بالمكتب ..

والحقيقة ، هكذا يضيف الدكتور عبدالله الكبيسى ، أن دور المكتب لم يقتصر منذ انشائه على ما يتعلق بالمبانى الجديدة ..

هناك مهام أخرى عديدة يتولاها بناء على قرار انشائه ..

منها استكمال واعداد الدراسات اللازمة لمشروعات الكليات أو المراكز أو البرامج الجديدة ، واعداد الدراسات والتنظيمات اللازمة لتطوير الأجهزة والنظم الادارية والمالية بالجامعة ، والاعداد لاستخدام مبانى الحرم الجامعى الجديد عند الانتهاء منه ..

بعض المشروعات

وقد قطع المكتب شوطاً فى انجاز بعض هذه المشروعات ..

على سبيل المثال ـ تم اضافة الى ما سبق ـ اعداد مشروع اللائحة التنفيذية لقانون الجامعة ودراسة



المباني الجديدة لجامعة قطر وتبدو معها مناطق التوسعات المستقبلية (صورة من الجو)

الهيكل التنظيمي المقترح ، ودراسة عدد من القضايا التعليمية الهامة ، مثل نظام الساعات المكتسبة ، واعداد دراسة مفصلة لتشكيل لجان جامعية تنبثق من مجلس الجامعة ، ودراسة احتياجات الجامعة لخدمات الحاسب الآلي ، ودراسة مشروع الضمان الاجتماعي لأسرة الجامعة ..

ويتابع المكتب انجاز مهامه الدائمة في كافة المجالات ..

وهو يتعاون مع أجهزة عديدة سواء داخل الجامعة أو خارجها . ففي داخل الجامعة يتعاون مع الأقسام والمراكز والادارات المعنية ومع خبراء اليونسكو ومع جهاز الحاسب الآلي . وخارج الجامعة يتعاون مع المكتب الفني للديوان الأميري ، ومع مستشفى حمد العام وإدارة شئون الموظفين وغيرهم من الأجهزة والهيئات الرسمية في الدولة ..

وقد اقتضت طبيعة العمل في المكتب تشكيل لجان فرعية عديدة من بين أعضائه وغيرهم من أعضاء هيئة التدريس والخبراء ، لدراسة القضايا المختلفة ، مع الاستفادة من كل الخبرات الجامعية السابقة ، سواء على المستوى الخليجي أو العربي أو العالمي ..

وبالنسبة لأعماله الجديدة فإن الدكتور عبدالله الكبيسي يشير في نهاية حديثه مع الدوحة الى أن المكتب يقوم في الوقت الراهن بوضع سياسة عامة لعملية التغذية للطلاب بالمبنى الدائم ، واعداد دراسة عن القدرة الاستيعابية للقاعات الدراسية والمعامل بالمباني الدائمة ، ووضع الاقتراحات اللازمة لتنفيذ الجدول الدراسي ، واستكمال احتياجات التجهيزات الخاصة ببعض معامل الجامعة ، كما يقوم بدراسة عدد من القضايا التعليمية خاصة ما يتعلق منها بالكفاءة التعليمية ..

ندوات ووفود

وبعد هذه الصورة عن دور المكتب الفني في بناء الجامعة الجديدة ، تأتي صورة أخرى حافلة بالتفاصيل عن أحدث جامعة عصرية ..

يقدم هذه الصورة الحافلة الدكتور عبد الرحمن الابراهيم أمين عام الجامعة ..

يقول مثلا إن الاحتفال بإفتتاحها سوف يضم عدداً من الندوات الثقافية التى تقيمها الجامعة بهذه المناسبة الهامة ، وسوف يشارك فيها وفود من مديرى الجامعات الخليجية والعربية وبعض الجامعات الاسلامية والأجنبية ، ونخبة من العلماء البارزين في مختلف المجالات ..

كما تقام المعارض التى تتضمن أنشطة كليات الجامعة ومراكز البحوث بها ..

وسألته عن عدد الأساتذة والطلبة الذين ستضمهم هذه المباني الجديدة .. ويضع أمامي احصاء كاملا ..

يقول هذا الاحصاء إن اجمالى أعضاء هيئة التدريس بكليات الجامعة هذا العام بلغ ٣٩٩ عضواً ..

من هؤلاء ١٨ عضو هيئة تدريس قطرى ، و ٢٠٠ عضو هيئة تدريس غير قطرى ، و ١٢٩ مدرس مساعد ومعيد قطرى موفد منهم ١١٢ في بعثات للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه ..

ويأتى بعد ذلك مدرسو اللغات ومشرفو التربية العلمية ..

أما اجمالى الطلاب والطالبات في العام الجامعي الحالى فقد بلغ ٤٦٥٨ طالباً وطالبة ..

وعن الأجهزة الحديثة داخل المباني الجديدة والملاعب والأماكن الترفيهية والمكتبة والمطاعم ، وهل هى كافية لممارسة الأنشطة المختلفة .. عن كل ذلك تحدث الدكتور عبدالرحمن الابراهيم أمين عام الجامعة ..

قال ان المبانى الجديدة مزودة بالأجهزة العلمية الحديثة ..

ان كلية العلوم مثلا تضم ما يقرب من ٥٤ معملا مجهزاً بأحدث التجهيزات التعليمية ، وبزيادة قدرها ثلاثة أمثال المعامل القائمة بالمبنى المؤقت الحالى ..

معامل وقبة سماوية

ويشتمل المبنى الخاص بالكلية على العديد من المعامل المتخصصة للمقررات المتقدمة ، والمعامل الخاصة بالبحوث كمعامل مركزية لخدمة الكلية مثل معمل الميكروسكوب الالكتروني ، ومعمل أجهزة الطب وغيرهما ..

كما تضم الكلية قبة سماوية تستخدم كوسيلة تعليمية لدراسة الفلك والفضاء الخارجي ..

أما كلية الهندسة فتضم ما يقرب من ٣٥ معملا تخصصياً وبحثياً ، وهى مزودة بأحدث التجهيزات العلمية للأغراض التعليمية والبحثية . واضافة الى ذلك توجد ورشة تعليمية كبرى على أحدث أساليب العصر . وهى تعتبر من أكبر الورش التعليمية في منطقة الخليج العربي ..

وتشمل المباني الجديدة ، والمعلومات مازالت تأتي على لسان الأمين العام ، على مبنى تكنولوجيا التعليم المزود بكل الوسائل التعليمية والبصرية والسمعية من استوديوهات للتليفزيون والاذاعة لأغراض التعليم والتدريب والتصوير العلمي ..

كما تضم المباني الجديدة أيضاً مبنى للبنين ، ومبنى آخر للبنات . ويضم كل منهما معامل حديثة ومجهزة بأحدث الوسائل التعليمية كمعامل اللغات والجغرافيا والاقتصاد المنزلى والتربية الفنية ..

ويوجد في كل مبنى مطعم كبير مكون من طابقين أحدهما للطلبة ، والآخر لأعضاء هيئة التدريس . كما توجد كافتيريا عامة كبيرة ، بخلاف كافتيريات صغيرة موزعة بمباني الكليات تقدم فيها المرطبات والوجبات الخفيفة ..

وفي الوقت نفسه تضم المبانى الجديدة للجامعة مبنى المكتبة المركزية ..

وهو عبارة عن مكتبتين منفصلتين تماماً ، احداهما للطلاب ، والأخرى للطالبات ، وتشمل كل منهما أقسام الخدمة المكتبية والتزويد والفهرسة والتجليد ..

وقد زودت المكتبات بنظام اتصال دولى ببنوك المعلومات العالمية لخدمة البحوث العلمية ..

ويوجد كذلك مبنى للأنشطة الطلابية للبنين ، وآخر للبنات ، ويحتوى كل منهما على أماكن مناسبة لممارسة الأنشطة الثقافية والاجتماعية المختلفة ، من أماكن لسماع الموسيقى فيها وممارسة الهوايات من رسم وقراءة وتصوير ونحت ..

وبالاضافة الى ذلك هناك أقسام خاصة بالبنك وبالبريد ..

امكانيات رياضية

وللأنشطة الرياضية بالذات مبنيان .. أحدهما للبنين والآخر للبنات . ويضم كل

منهما جميع الامكانات الرياضية من ملاعب رياضية للتنس والاسكواش وغيرهما ، بما يفي باحتياجات قسم التربية الرياضية ..

وللعلم فإن أماكن الأنشطة الطلابية والرياضية كافية على المدى الطويل ، حيث روعى فيها التوسع بل التوسعات المستقبلية ..

وقد تم انتقال كلية الهندسة الى المبنى الجديد في بدء الفصل الدراسى الحالى ، وانتظمت بها الدراسة منذ بداية العام الجامعى الحالى ..

هكذا قال الدكتور عبدالرحمن الابراهيم .

وأضاف أنه سيتم استكمال الانتقال بالنسبة للطالبات ، واستئناف دراستهن بجميع كليات الجامعة ، وكذلك تكنولوجيا التعليم وهيئة الادارة العليا وبعض الادارات اعتباراً من بداية الفصل الدراسى الجديد هذا الشهر ..

أما انتقال الطلاب فسوف يتم مع بداية العام الدراسى القادم ..

وتتسع المبانى الحالية بحيث تسمح باستيعاب أعداد جديدة من الطلبة ، علاوة على ما سيتم استكماله من مبان اضافية جديدة .. ويجرى العمل في ذلك حسب الخطة الموضوعة على مراحل واحدة بعد الأخرى ..

● مكتبة مزودة بنظام اتصال دولى ببنوك المعلومات، وملاعب ومطاعم وأماكن ترفيهية

● مبنى لتكنولوجيا التعليم مزود بوسائل علمية واستوديوهات ومعامل مجهزة للغات

● نظام الأبراج الهوائية لتهوية القاعات الدراسية ونظام المشربيات للنوافذ

هذا العقل الهندسى ؟!

وكان لابد من التعرف على العقل الهندسى الذى يقف وراء هذا العمل الكبير ..

صاحب هذا العقل هو الاستاذ الدكتور كمال الكفراوى ..

ماذا تقول بطاقته ، بل ماذا تقول قصة حياته العلمية والعملية ؟ ..

هو ببساطة شديدة مهندس معمارى عربى من مواليد جمهورية مصر العربية . تعلم في مدارسها القومية الابتدائية والثانوية ، ثم التحق بقسم العمارة بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة ، وحصل على بكالوريوس العمارة بمرتبة الشرف عام ٥٧ ..

كان موضوع بحثه في البكالوريوس مشروع انشاء جامعة بحرية في منطقة قناة السويس ، ومتخصصة في علوم البحار ..

وقد عين بعد ذلك معيداً في نفس العام بالكلية ، ثم سافر في بعثة تدريبية عام ٥٨ الى جمهورية بولندا الشعبية ، للعمل في مشروع اعادة تعمير مدينة وارسو التاريخية والتى سبق أن دمرت عن آخرها خلال الحرب العالمية الثانية ..

سافر الى باريس عام ٦٠ لاعداد دراسات عليا ..

وهناك حصل على دبلوم اللوفر في الفنون الاسلامية ، ودبلوم تخطيط المدن من مرسم تونى جارنيه ، كما حصل كذلك على دكتوراه الهندسة المعمارية من مدرسة البوزار للعمارة ..

كان موضوع بحثه هو تنمية وتخطيط مواقع المدن الأثرية والتاريخية في وادى النيل ..

وكانت الدراسة التفصيلية هى عن تنمية وتخطيط موقع معابد أبو سمبل في مكانها الجديد بالنوبة ، وذلك نظراً لأن هذه المنطقة كانت مركزاً لحضارة النوبة ، ومركز اتصال مصر بالدول الأفريقية ..

وفي عام ١٩٦٥ عين أستاذاً مساعداً بالبوزار بباريس ..

وقد قام بتأسيس قسم المعمار الشرقى والذى تدرب فيه كثير من المعماريين العرب والآسيويين والأفارقة ، وعدد من المهندسين الأوربيين الذين لهم اهتمامات خاصة بهذا النوع من المعمار ..

واشترك الكفراوى مع الأستاذ المهندس الفرنسى لويس أرتش في تخطيط وتصميم مجموعة من المشروعات الكبرى في فرنسا ، وأهمها تخطيط جامعتى روان ورين في منطقة بريتنى . وكذلك التخطيط العام للحى المركزى لمدينة رين ، والمدينة الجديدة أورليان لاسورس ..

وقام أيضاً بتنفيذ بعض المشروعات السياحية في فرنسا وأسبانيا ، ومشروع مدارس دار الفكر للبنين والبنات في جدة بالمملكة العربية السعودية ..

ومنذ عام ١٩٧٣ وحتى الآن وهو منتدب لجهاز اليونسكو ، ومنه الى دولة قطر ، وذلك لتخطيط وتنفيذ مشروع جامعة قطر الجديدة ..

الفلسفة المعمارية

هذا هو اذن الرجل الذى رسم وخطط وتابع ونفذ ..

وقد كانت بداية حديثى معه سؤالا عن وجهة نظره في شكل المبانى الجامعية المعمارى ، ولماذا جاءت المبانى بهذا النمط ، وما هى الفكرة الكامنة وراء هذه الفلسفة المعمارية ؟ ..

وبكل هدوء وثقة والابتسامة تسبق كلماته أجاب :

ـ إن شكل مبانى جامعة قطر هو تجسيد للفكر المعمارى الاسلامى الحديث المتطور ، الذى قامت عليه فكرة التصميم والانشاء .. وفي بداية الأمر وقبل الشروع في اجراء الدراسات قمت باستعراض المذاهب الفكرية المعمارية والسائدة في العالم الآن ..

وأخذ الدكتور الكفراوى يعدد هذه المذاهب ، وهى كما يلى :

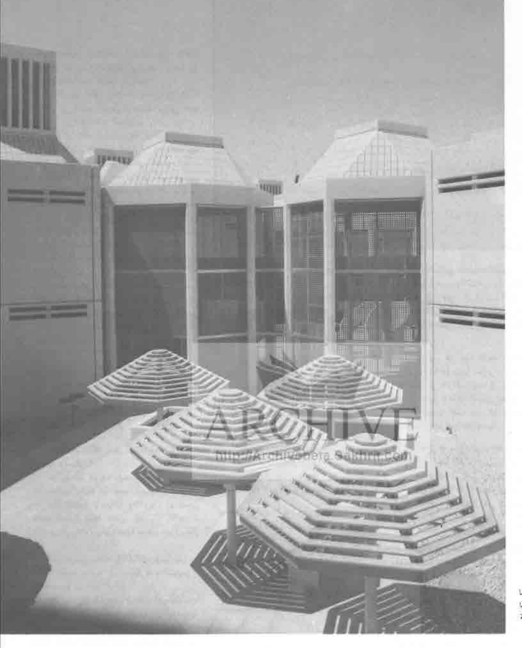
• الأول هو مبدأ الأخذ بالنمط المعمارى التقليدى كما هو بدون تطوير ، وهو يرفع شعار المحافظة على التراث ، وهذا في رأيه خطأ كبير ، حيث يحرم الانسان العربى المعاصر من ملكات الابداع لتجديد نفسه بما يتفق ومعطيات العصر الحديث العلمية والتكنولوجية ..

• الثانى هو مبدأ استيراد الفكر المعمارى الغربى وغرسه في دولة قطر الاسلامية ، وتشييد مبان تطابق نظيراتها في أوربا وأمريكا . ومخاطر هذا الفكر هى في تشكيله لأجسام غربية وغريبة في الواقع المحلى ، مما يؤثر على شخصية الانسان القطرى ، ويعمل على خلخلة القيم الثقافية التى تربطه بالبيئة الحضارية الخاصة به ..

• أما المبدأ الثالث فهو يعنى استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة الغربية وتطويعها في تطوير وتحديث النمط المعمارى التقليدى . وهذا يؤكد ذات الانسان القطرى العربى المعاصر ، وعلاقته الوثيقة بالبيئة التاريخية والمعاصرة ، ونظرته التطلعية المستقبلية نحو بناء مجتمع حديث أسعد ، يستمد جذوره من ماضيه وحاضره .. الحضارى الاسلامى .. وهو يعنى أيضاً إتاحة الفرصة لميلاد فكر عربى معاصر متطور يكون عنواناً لقدرته وشكلا لشخصيته ..

ويستطرد الدكتور كمال الكفراوى قائلا إنه إتخذ من المبدأ الثالث والأخير هدفاً يعمل على تحقيقه ، وهو في حد ذاته يشكل المنهج المهنى والفكرى الذى يقوم ببحثه ودراسته وتدريسه في الحقل الاكاديمى والعملى ..

وفي وصفه للخصائص الأساسية والقيم المعمارية للفكر العربى الاسلامى يعطينا الكثير من التفاصيل



كلية العلوم فى شكلها النهائى وتبدو فيها الأفنية الداخلية المزروعة

الهامة والجديدة ..

ان شكل القاعات الداخلية يظهر بحيث تكون متعددة الأحجام والارتفاعات ، وذلك وفقاً لوظائفها الخاصة ، وكذلك أشكالها الهندسية البحتة والمتعددة ..

كما أن هناك توافقاً وتجانساً وتكاملا عضوياً بين العناصر المعمارية فى شكلها ومضمونها مع البيئة الطبيعية ، وهو ما يعنى طوبوغرافية المكان : السماء ، والخضرة ، والمياه ، وأن البيئة الطبيعية كانت أحد المكونات الأساسية فى النسيج التخطيطى المعمارى ، وجزءاً لا يتجزأ من مضمونه ..

الانسان والبيئة

ومن هنا كان تحقيق معادلة الانسجام الكامل بين الانسان وبيئته الطبيعية ، وهذا ما أخذت به جامعة قطر ، حيث خططت القاعات الدراسية حول أفنية خضراء ، مغطاة ، وغير مغطاة ..

وفى الوقت نفسه فإن هناك تفاعلا بين الفكر المعمارى الاسلامى وقوانين القوى الطبيعية ، وهى الهواء ، والضوء الشمسى والقمرى ، والحرارى ، والرطوبة ، وذلك وفقاً لقواعد وخصائص العلوم الطبيعية ..

ولقد أفرز هذا التفاعل الصنائع المتخصصة



فى مدخل الجامعة تبدو الصورة المعمارية الفريدة بكل ملامحها المميزة

للسيطرة على هذه القوى الطبيعية ، واستخدامها بالقدر اللازم وفى المكان المناسب ، لتشكيل البيئة المعمارية التى يهدف لها الانسان..

ولقد استخدم فى جامعة قطر نظام الأبراج الهوائية (فى منطقة الخليج) وهو ما يطلق عليه محلياً « البادجير » ، لتهوية بعض القاعات الدراسية ، بالاضافة الى استخدام التكييف الآلى ..

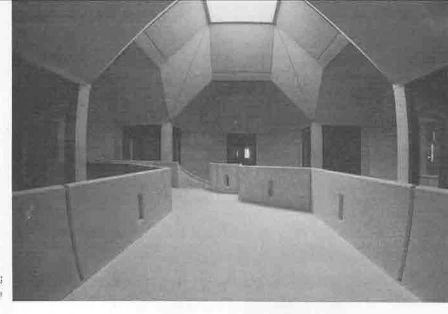
وطبق أيضاً نظام المشربيات (الستائر الخشبية) والجصية لتغليف النوافذ ، للحد من اللمعان فى الضوء الشديد ..

واستعملت أبراج الاضاءة العلوية وغير المباشرة ، للقاعات الدراسية والمكتبة ، بهدف الحصول على الكثافة الضوئية المريحة للنظر والنفس البشرية ..

ونسقت الأفنية الداخلية والخارجية بالخضرة ونوافير المياه ، وذلك لتلطيف الطبقات السفلى من سطح الأرض ، وبقدر ارتفاعات المبانى وهى عبارة عن طابقين فقط..

ويواصل الدكتور الكفراوى حديثه عن العمارة الاسلامية الحديثة وتطبيقاتها فى جامعة قطر فيقول :

ان صناعة المعمار العربى والصنائع المكملة لها بلغت حد الكمال ، وكما قال العلامة العربى ابن خلدون فإن الصنائع وكمالها انما هو بكمال الحضارة ..



أبراج الاضاءة العلوية للقاعات الدراسية وللأفنية المغطاة

ولقد أتقن المعماريون والحرفيون القدماء وأبدعوا فى استخدام وتعلم تكنولوجيا البناء فى حضارات الشعوب السالفة ، بل وتطورت أساليب الإنشاء على أيديهم ، وأضافوا الى الفكر المعمارى والانسانى الكثير ..

الفكر الاسلامي

ومن أهم خصائص المعمار الاسلامى التقليدى تجانسه الطبيعى والمتكامل مع الفكر العام الاسلامى ومضمونه الدينى ، والثقافى ، والاجتماعى والاقتصادى والبشرى : فى الحضر ، والريف والبادية ، وفى بلاد دار الاسلام المختلفة ..

فلو تأملنا جامع قرطبة ، وقصر غرناطة بالأندلس ، وجامع السلطان حسن فى مصر ، وجامع قبة الصخرة فى القدس المقدسة ، وجامع دمشق العظيم فى الشام ، ومساجد أصفهان بفارس ، ومقبرة تاج محل فى الهند ، وغيرها الكثير ، فاننا نلاحظ أن كل هذه الأبنية اسلامية الطابع ..

وهذا يتضح رغم اختلاف أشكالها العامة ، والمواد التى بنيت منها ، واختلاف العوامل الجغرافية والمناخية ، والطبيعية ، والبشرية ، والوظائف المختلفة ..

وهكذا فإن الفكر المعمارى والتخطيطى والانشائى لمبانى جامعة قطر الاسلامية هو تطبيق حديث متطور ومتجدد لكل الخصائص والقيم المعمارية التقليدية ، وذلك باستخدام صنائع العصر الحديث والتى يطلق عليها تكنولوجيا الانشاء المعاصرة ..

والهدف من ذلك أن تتكامل رسالة الجامعة ، كمركز اشعاع حضارى إقليمى ، وكملتقى ثقافى اجتماعى ، مع عصرها الحديث ..

وهناك نقطة أخرى جديرة بالذكر ..

ان نمط معمار جامعة قطر بهذا الشكل يقدم مادة جديدة وحلولا عملية ، تتفق مع أهداف سياسة المحافظة على الطاقة ، والتى أصبحت علوما حديثة فى ترشيد استهلاك الطاقة والتكنولوجيات المترتبة عليها فى دول الغرب الصناعية ..

فلاشك أن اللوائح المنظمة للمبانى وتخطيط المدن قد نالها الكثير من التعديلات لكى تشمل فصلا جديدا يتعلق بالادخار فى مجال الطاقة ..

لماذا هذا المكان ؟

وبعد هذا التفصيل العلمي الدقيق والمشوق عن العمارة الاسلامية الحديثة والمتطورة والتى طبقت فى جامعة قطر الجديدة أسأل الدكتور الكفراوى :

لكن لماذا اختيار هذا المكان بالذات (منطقة الدفنة) لاقامتها ، وهل هناك فلسفة وراء اختياره ، وما هى ؟ ..

ويجيبنى الدكتور الكفراوى بنفس الهدوء والثقة ..

ان موقع الجامعة الجديدة هو على بعد سبعة كيلو مترات من منطقة الدوحة الجديدة . وهى بحكم حجمها وطبيعتها الوظيفية كمؤسسة علمية ثقافية تشكل مركز جاذبية لنمو مدينة الدوحة ..

ولقد بدأ هذا بالفعل منذ بدأ تعمير مشروع الجامعة . وسوف يزداد فى المستقبل بعد اتمام شبكة المرافق العامة فى هذه المنطقة ..

أما عن أسباب اختيار هذا المكان فإنه يمكن تلخيصها فى سببين :

. الأول هو أن مساحة الأرض التى كانت مطلوبة للجامعة وتوسعاتها المستقبلية هى حوالى ٥٠٠ هيكتار مربع ، أى ما يعادل حوالى خمسة ملايين متر مربع . وكان من الصعب تواجد هذه المسطحات فى وسط العمران ..

. الثانى أن الجامعة كمؤسسة تعليمية ، ثقافية واجتماعية هى فى حد ذاتها مدينة صغيرة ، أو قرية تعليمية . وبالتالى فإنه يجب اعطاء تخطيطها وعمران مبانيها الشخصية الذاتية لها . وهى على هيئة واحة خضراء تضم الأبنية التعليمية والمرافق الرياضية والمدينة السكنية المستقبلية للعاملين بها ، والطلاب الغرباء ..

ولتحقيق ذلك فإنه كان من اللازم تواجد موقع كبير فى أطراف المدينة ، ويسهل ربطه بمدينة الدوحة بشبكة طرق ، يسهل التحكم فى حركة المرور منها واليها ..

شخصية ذاتية

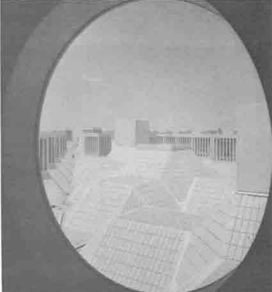
لكن هل تتماثل هذه المبانى من حيث المحتوى مع مبان جامعية أخرى فى بعض البلاد ، وهل جرب هذا النمط فى أماكن أخرى ؟ ..

يقول الدكتور الكفراوى مؤكداً إن مبانى جامعة قطر لا تتماثل مع نظيراتها من الأبنية الجامعية التعليمية فى المنطقة العربية أو العالمية ..

انها أبنية فريدة من نوعها ولها شخصيتها الذاتية ..

وليس من المستحب والمطلوب تماثل المبانى الجامعية فى البلدان المختلفة . ولكل جامعة لحظة تاريخية لميلادها ، تفرض بالضرورة على هيكلها ومضمونها مقومات ومميزات شخصيتها المستقلة والمختلفة عن نظيراتها ..

وقد تم ويتم انشاء حوالى أربع عشرة جامعة فى مختلف دول مجلس التعاون الخليجي ، وكلها



نظام أبراج الهواء (البادجير) الذى يوفر التهوية الطبيعية

منظر عام لمبانى الجامعة بطرازها المعمارى المتميز

تختلف عن بعضها البعض فى النمط والشكل ، بل وفى مضمونها الاكاديمى والتربوى ..

وهذا النمط الخاص بجامعة قطر لم يطبق فى أماكن أخرى من قبل ..

ويضيف الدكتور الكفراوى بنص كلماته :

ـ ولو أتيحت لى فرصة تصميم وتخطيط جامعة أخرى فى المنطقة ، فانها سوف تكون مختلفة فى الشكل عما قمت بعمله فى جامعة قطر ، ولكنها ستكون فى اطار المبدأ الثقافى المعمارى نفسه ..

التوسعات المستقبلية

وأعود لأسأله من جديد عن التصميمات وهل وضعت حساباً للتوسعات المستقبلية التى يحتمل القيام بها فى الجامعة ..

وتجيء الاجابة بأسرع مما كنت أتصور ..

لقد تم وضع المخطط العام المبدئى للجامعة ، وهو يشمل ما تم انجازه فى هذه المرحلة ، وكذلك ما يتم انجازه فى القريب العاجل ، وما يمكن أن تراه الجامعة من توسعات على مدى العشرين عاماً القادمة ..

أما مضمون التخطيط العام فيشتمل على عدة مناطق رئيسية ..

الجامعة الاكاديمية الحالية وامكانية توسعها فى المستقبل . المرافق الرياضية والاجتماعية والثقافية للبنين . المرافق الرياضية والاجتماعية والثقافية للبنات . المدينة السكنية للطلبة . المدينة السكنية للطالبات . المدينة السكنية للأساتذة والاداريين . منطقة الخدمات العامة للجامعة ..

ويعتقد الدكتور الكفراوى أنه بمقارنة مستوى الجودة العالى للمبانى وسعر تكلفتها فإن المحصلة النهائية تعتبر اقتصادية ومرضية تماماً . ويشير الى أن مساحة المبانى الاكاديمية والتى تم انجازها كمرحلة أولى تبلغ ٧٤ ألف متر مربع . وهى تشمل كلية العلوم وكلية الهندسة وورشة كلية الهندسة ، وكلية الانسانيات للبنين . وكلية الانسانيات للبنات ، ومبنى الوسائل التعليمية . ومبنى المكتبة والمعارض . ومبنى الادارة .. وكانتين للبنين ، وكانتين للبنات . ومبنى الخدمات المركزية والمخازن ..

أما المرحلة الثانية فتشمل مبنى الأنشطة الترفيهية والمطاعم للبنات . ومبنى الأنشطة الترفيهية والمطاعم للبنين ، ومبنى الحاسب الآلى والمرافق الرياضية للبنات الداخلية والخارجية ، والمرافق الرياضية للبنين ، وكلاهما يشتمل على الملاعب الخاصة بجميع أنواع الرياضة وفقاً للمقاييس العلمية ..

أما المبانى التى سيشرع فى بنائها هذا العام فهى المسجد والمركز الاسلامى ، ومساحتها حوالى خمسة آلاف متر ، ودار الحضانة للتربية ، وبعض المختبرات الخاصة بالطاقة الشمسية ، الى جانب بوابة رئيسية للجامعة ..

وتمثل المكتبة بمساحتها الكبيرة مركز الصدارة عند مدخل الجامعة . وهى تعتبر من أعلى المبانى الاكاديمية ، ويسهل الوصول اليها من طرف البنين والبنات على السواء . وتكفى سعتها المرحلة الحالية ، الا أنه يمكن توسيعها ، بضم مبنى المعارض لها ، على أن يتم اقامة المعارض الثقافية والفنية فى مبانى الأنشطة الطلابية للبنين والبنات عند انتهاء انشائها ..

انطباعات وردود أفعال

وفى نهاية حديثه معى قال المهندس المسئول عن هذا النمط المعمارى الفريد انه قد قيل فى هذا المشروع الكثير ، من المحليين والزوار العرب والأجانب ..

ولكن هذه الأقوال لا تخرج عن كونها انطباعات وردود أفعال ، وآراء مختلفة ، منها اللاذع والمادح ..

ولكن الشيء الذى لم يختلف عليه الجميع هو أنه عمل جديد فريد فى نوعه ..

وبحكم أنه جديد وفريد فإن ردود الأفعال بالطبع لابد أن تكون متفاوتة ، ومتضاربة ..

وعموماً فإن المبانى الجديدة لم تخضع بعد لعملية نقد فنى دقيق من النقاد الفنيين المتخصصين فى المعمار ..

وهذا لا يمكن اتمامه الا بعد تشغيل المبنى كله ..

بعد ذلك يمكن رصد التقييم النهائى والفنى للمشروع ، والاستفادة من ذلك فى المستقبل قطرياً وخليجياً ..

وهكذا تنتهى جولتنا مع قصة أحدث جامعة عصرية ، تفتح أبوابها هذا الشهر فى قطر ، وهى القصة التى رسمت صورة كاملة الأبعاد لهذه الجامعة ، والتى سيصبح يوم افتتاحها حدثاً تاريخياً ، على المستوى الثقافى والعلمى والوطنى ..

فهو يوم الأجيال الجديدة المشرقة بالأمل ، المتطلعة لغد سعيد ، ومتقدم ، وحافل بأكبر المنجزات ..

السيد حجازى

المؤدبون في الأرض

وحرك مطواته أمام عينى الخياط ، قريبة كل القرب من وجهه ، فقال الخياط بصوت مختنق :

ـ وحياة أولادى لن يخرج من يدى بعد اليوم بنطلون واحد من هذا الصنف الذى كدر خواطركم الشريفة .. كانت غلطة ولن تتكرر !

بقلم : سـعد مكاوي

الصفعة على قفا المواطن عزت عبد الحق دوت في أتوبيس ٧٠١ المتجه من المعادي إلى العباسية وسمعها معظم ركابه المحشورين في فراغه كما لو كان زحامهم الكثيف نتيجة لعملية تعليب بارعة .

كان في طريقه لزيارة شقيقه الأكبر المقيم منذ سنوات في مستشفى الأمراض العقلية ، وعندما شعر بيد الراكب الملتصق بظهره تحاول بكل وضوح اقتحام جيب بنطلونه الخلفي مد يده بحركة تلقائية فأزاح بها تلك اليد المتلصصة وهو يلتفت في غضب نحو النشال الجريء ، لكنه لم يكد يعتدل في وقفته حتى تلقى الصفعة القوية ، وسمع مع معظم الركاب صيحة اللص :

ـ العادة عند جميع خياطي العالم منذ اختراع البنطلون أن يكون جيبه الخلفي بزرار واحد ، وجيب حضرته بثلاثة زراير ، فما هذه اللعبة الجديدة يا أبناء اللئام ؟!

وبعد صمت مذهول من جرأة اللص تجاوز راكب قريب من مكان الواقعة عن الإهانة الشاملة للكل في نهاية خطاب اللص ، وخاطبه بنعومة وحذر : من المؤكد أنها ليست غلطة الأخ ، والمسئول عنها في رأيي هو الخياط الذي يفصل عنده ملابسه ، فسامحه في هذه المرة !

ارتفع من قرب مقعد السائق صوت امرأة ، مفعم بالازدراء والغضب :

ـ ماشاء الله !... تتفرجون منكمشين وتطلبون إلى السارق أن يسامح المسروق!

والسائق منكفئ على عجلة القيادة ومحتفظ بمظهر من يركز اهتمامه على الطريق أمامه ، وكأنه لاشأن له بما وقع في العربة ..

أتاها صوت النشال العملاق الذي ينم وجهه السوقي عن عدوانية شرسة :

ـ الزمي حدك ياامرأة !

كما ارتفع قرب باب الأتوبيس الخلفي صوت آخر مؤيد لوجهة نظر النشال ، صادر من شخص قميء مريب :

ـ عجيب والله أمر هؤلاء الناس الذين يريدون أن يتدخلوا في كل شيء ... مادخلك أنت أيتها البدينة الغبية في هذا الحوار ؟

قالت المرأة التي يدل مظهرها على أنها أم وموظفة في طريقها إلى عملها :

ـ بعد كل الذين يؤدبوننا في هذه الأيام لم يكن ينقصنا غير النشالين !

ـ اخرسـي .

تطوع راكب آخر ، شاب طويل الشعر يبرز من جيب قميصه العلوى طرف علبة سجائر مستوردة :

ـ ياجماعة لعل يد الأخ لمست جيب الأخ عفواً وبدون قصد ، فلنعتبر المسألة من سيئات الزحام الذي صرنا نعيش فيه ، ومنتهية ، ونقول كلنا يافتاح ياعليم .

أتاهم صوت النشال واضحاً حاسماً :



ـ ليلزم كل واحد حده ، فلن يهدأ لي بال حتى أعرف اسم وعنوان الخياط صاحب فكرة الزراير الثلاثة .

سألت المرأة :

ـ وماذا يهمك من هذه المسألة ؟

ـ أحاسبه وأردعه قبل أن تشيع هذه البدعة !

نظرت المرأة إلى السائق نظرة من تريد الحصول منه على موقف ، لكنها وجدته مايزال محتفظاً بمظهر من لاشأن له بما يجري في العربة ، لا يريد أن يسمع أو يتكلم . فقالت بصوت يرعشه الغضب :

ـ هل بلغت وقاحة اللصوص في هذا الزمن إلى هذا الحد ؟ ... ماهي صفتك التي تسمح لك بأن تستجوب وتفرض إرادتك وتلزم جميع هؤلاء حد الصمت المذعن المهين ؟

قال بلهجة من يذيع اعلاناً :

ـ بصفتي نشالا ، هل عند أحدكم اعتراض ؟

وأبرز في يده بهدوء مطواة طويلة النصل ، ولمس بطرفها عنق عزت عبد الحق :

ـ اسم الخياط وعنوانه ؟

أرهف الركاب أسماعهم عندما نطق المواطن المقهور بصوت ترهقه الذلة باسم خياطه وعنوانه ..

وبعد هذا الاستسلام المهين من ركاب السيارة رقم ٧٠١ أراد عزت عبد الحق أن يشق اللحم البشري نحو الباب الخلفي فمنعه النشال بلمسة أخرى من نصل المطواة اللامع :

ـ لا ... أنت لا تنزل .

ـ محطتي هنا .

ـ لا أهمية لهذا .

ـ عملي له مواعيد ومسئولية .

ـ لا أحد ينزل في المحطة القادمة غيري أنا وزميلي المرابط عند الباب الخلفي ، والمعترض يترحم على نفسه قبل أن يرفع صوته .

في هذه المرة لم يعد يملأ الصمت غير ضجيج الموتور العتيق : إلى أن توقف السائق عند محطة فدخل الكل بعضهم في بعض مفسحين الطريق لبريق المطواة . ونزل النشالان على مهل والعملاق يلقي اليهم بكلمة أخيرة :

ـ قريباً تسمعون عما جرى للخياط حمدي عوض صاحب البدعة السمجة !

* *

وبعد نزول النشال اكتشف عدد من الركاب فقد ماكان في جيوبهم من نقود ، عليه العوض ومنه العوض ، كان في الإمكان أن تكون المصيبة أكبر ، ويتعرض الأتوبيس لحادث ، أو يمزق النصل الحاد لحم البعض : قدر ولطف ياجماعة ..

صرخت المرأة وهي تكاد تفقد عقلها :

ـ أيها المستخذون المقرَزون .. إن الصفعة التي دوت في أسماعنا لم تكن على هذا القفا وحده بل كانت على أقفيتكم جميعاً .. أتسمعونني ؟

قال صوت خافت من عمق الزحام :

ـ الصفعة خير من الذبح أيتها السيدة .. لنحمد الله على أن هذا المواطن لم يسل دمه أو يتيتم أولاده !

دعك عزت عبد الحق قفاه ... الصفعة فدية النقود التي جمعها بصعوبة لينهشها المرضون والإداريون في مستشفى الأمراض العقلية ، هكذا حدثته نفسه المستخذية في مناخ الاستخذاء العام ، لعل هذه الرشوة التي يدفعها في كل زيارة لهؤلاء الطغاة ترفع بعض جبروتهم الذي لايعرف الرحمة عن شقيقه المسكين الذي قادته طهارة ذمته إلى مؤامرة من زملائه في العمل كانت نتيجتها هذه الإقامة الجبرية في عالم الجنون والقسوة وراء الأسوار الصماء .

* *

ـ أهلا وسهلاً .

قالها حمدي عوض عندما دخل عليه شخصان من غير زبائن الدكان ، لكنه استشعر في الحال شيئاً من التوجس أمام الجهامة غير الطبيعية في سحنتيهما ، وزاد خوفه عندما رأى العملاق يحتل ركن طاولة التفصيل التي يقف وراءها وفي يده المقص الكبير ، بينما احتل الركن الآخر بحركة انسيابية زميله القميء بشعره المكوي وقميصه المزركش وسيجارته المتدلية من ركن فمه ، ونظراته الثعبانية ...

ـ أي خدمة ؟

ـ دع المقص من يدك واسمعنا .

وضع المقص فوق قطعة القماش ، واعتدل وقلبه يدق منتفضاً في صدره ، وقال العملاق في هدوء :

ـ أنت حمدي عوض ؟

ـ نعم .

ـ وما هذا القماش

ـ وماذا يكون غير بدلة زبون !

ـ والبنطلون ؟!

قال الخياط في دهشة من غرابة الأسئلة :

ـ بدلة كاملة ... جاكتة وبنطلون طبعاً !

ـ وكم زراراً ستضع في جيب البنطلون الخلفي ؟

ـ نعــم ؟!

ـ شوف ياحمدي ياعوض .. توسع وتضيق وتطيل وتقصر في تفصيل بدل الزبائن كما تشاء فهذا شأنك ولا دخل لنا فيه .. أما بدعة الزراير الثلاثة في جيب البنطلون الخلفي فهذا منذ الساعة ممنوع ، أفاهم أنت ؟

ـ ممنوع ؟! ... من الذي يمنعه من فضلك ؟

ـ نحن المانعون .

ـ هل فرغت الحكومة من حل جميع مشاكل الناس وبدأت تشرع للزراير والجيوب وتفصيل البدل ؟!

لم تكد الكلمات تفلت منه حتى وجد عنقه في قبضة عاتية سحبته من وراء طاولة التفصيل حتى صار منبطحاً على بطنه فوقها ، وانحنى فوق وجهه المتقع ذلك الوجه الغليظ الواثق من نفسه :

ـ إن التي تمنع ذلك هي نقابة النشالين ، فما رأيك ؟

ـ نقابة النشالين ؟!

ـ وأنا وصاحبي مندوبان عنها لتحذيرك يا حمدي يا عوض .. عندك أولاد ؟

ـ أربعة .

ـ وتريد أن تعيش لهم وتربيهم ؟

ـ طبعاً .

ـ إذن قل إن عصر الزراير الثلاثة في الجيوب قد انتهى إلى غير رجعة .

ـ حاضر .

ـ قلها .

ـ عصر الزراير الثلاثة انتهى إلى غير رجعة .

ـ جدع ياحمدي

وبدفعة قوية أعاده واقفاً وراء الطاولة ، وكلمه النشال القميء لأول مرة بصوته الرفيع وهو يفعص عقب سيجارته في خشب طاولة التفصيل اللامع :

ـ على المواطنين جميعاً أن يتصرفوا بما لا يعرقل نشاطنا أو يعوقنا عن العمل المثمر ، وزرايرك الثلاثة حرمت زميلي صباح اليوم من مبلغ محترم كان يملأ جيب زبون لك في الأتوبيس ، فهمت ياحمدي ؟

ـ فهمت .

ـ إذن يمكننا أن نطمع في أنك بعد انصرافنا لن تجد في نفسك حقداً علينا ؟

ـ يكون ذلك إن شاء الله .

ـ كأن زيارتنا لك لم تكن ، فأمسك لسانك .

ـ حاضر .

قال العملاق وهو يتأهب للانصراف في تعاظم :

ـ من لايسمع كلامنا نؤدبه بأدواتنا .. انظر ياحمدي ...

وحرك مطواته أمام عيني الخياط ، قريبة كل القرب من وجهه ، فقال الخياط بصوت مختنق :

ـ وحياة أولادي لن يخرج من يدي بعد اليوم بنطلون واحد من هذا الصنف الذي كدر خواطركم الشريفة .. كانت غلطة ولن تتكرر .

قال النشال القميء وهو يشعل سيجارة جديدة :

ـ هل هناك خياطون غيرك يزاولون هذه البدعة ؟

ـ كيف أعلم ؟

ـ وهل من المعقول أن تكون أنت الخياط الوحيد قليل الأدب في مصر كلها ؟

ـ ومن أين لي أن أعرف ؟

طوى النشال مطواته وأعادها إلى جيبه :

ـ نحن نصدقك لسبب واحد هو أنك رجل عاقل ولا تريد أن يعيش أولادك الأربعة أيتاماً ، لكننا لن نترك المسألة عند هذا الحد .. إن من واجب نقابة الخياطين أن تصدر قراراً في هذا الشأن !

ـ قرار من النقابة ؟!

ـ وبالإجماع .. كما أن هيئة النقل العام مطالبة هي الأخرى أمام نقابتنا بأن تعلق على جدران عرباتها وعلى جميع الخطوط منشوراً يحرم على الركاب أن يلبسوا بنطلونات من هذا النوع .. حرك أنت القضية في نقابة الخياطين واترك لنا تحريكها بوسائلنا الخاصة في هيئة النقل العام ..

قال الخياط المسكين وقد خايله وجه شقيق صديقه عزت لحظة اقتياده إلى مستشفى المجانين :

ـ يكون ذلك إن شاء الله !

وظل بعد خروج الرجلين من الدكان يرتعد وقد تحول كيانه كله إلى ارتعاشة مجردة من الفهم والأمان والكرامة .

* *

سنقيم الدنيا ونقعدها ، هكذا قال حمدي عوض ليونس زميله في المهنة وهما يبدآن طوافهما على دور الصحف والإذاعة والتلفزيون .

كانا يحملان في مظروف كبير بيان نقابة الخياطين الذي صاغ صورته النهائية أديب من زبائن حمدي حضر اجتماع النقابة الصاخب واستمع مع خياطي القاهرة الغاضبين إلى قصة الإعتداء المنكر على هذا الخياط الوديع صاحب فكرة الزراير الثلاثة في جيوب البنطلونات الخلفية .

لكنهما أدهشهما في دور الصحف القومية والحزبية أن يجدا على مكاتب المحررين منشوراً من نقابة النشالين سبق بيانهما إلى قيادات التحرير ، هذا نصه :

«إن الجمعية العمومية لنقابة النشالين في دور انعقادها غير العادي في المدة من ٣ إلى ٥ ديسمبر قد استقر رأيها بالإجماع على استنكار البدعة السمجة التي استحدثتها قلة منحرفة من الخياطين ، كما شجبت الضجة المفتعلة التي أثارتها زيارة اثنين من أعضاء النقابة لأحد أولئك الخياطين ، قاما خلالها

في مناقشة هادئة وموضوعية بلفت نظره إلى خطورة الخطوة التي أقدم عليها ، والتي اكتشفها بالصدفة أحد الزملاء ، وكان لها وقعها السيىء عند جميع أعضاء النقابة ... والنقابة تهيب بجميع الأطراف المعنية أن تعمل على احتواء الأزمة بما يحقق مصلحة الجميع ، كما تطالب هيئة النقل العام على جميع خطوطها الرئيسية والفرعية بوضع تحذير للركاب ينبههم إلى الامتناع عن ارتداء بنطلونات لها جيوب خلفية بأكثر من زرار واحد .. ولعل مما يسهم في رد الأمور إلى نصابها وفي تهدئة الخواطر الثائرة أن تبادر هيئة النقل العام في نفس الوقت وفي جميع عرباتها بالغاء لافتات «احترس من النشالين» ، فإن إلغاء هذا الاستفزاز من شأنه أن يشكل موقفاً بناء ومثمراً .. والجمعية العمومية لنقابة النشالين على ثقة تامة من أن الصحافة والإذاعة والتلفزيون تستطيع هي الأخرى أن تقوم بدور فعال في احتواء هذه الأزمة المفتعلة على نحو يعود بالفائدة على جميع الأطراف المعنية ..

قرأ حمدي عوض هذا المنشور وسأل المحرر الذي عرضه عليه :

ـ هل هذا معقول يأستاذ ؟ .. هل بلغت الوقاحة بلصوص هذا الزمن الأغبر أن يوزعوا بيانات ويتقدموا بمطالب ويفرضوا وجودهم كطرف معني في مشاكل الناس وفي نسيج الحياة ذاته ؟

طمأنه الصحفي إلى أن الصحافة ستقوم بدورها ، ثم سأله وهو يودعه إلى باب مكتبه ويده المتوددة على كتفه :

ـ وكم تأخذ الآن في تفصيل البدلة من أصدقائك أمثالي ؟

وعند هذا السؤال غير المتوقع حرقت الخياط نكتته الحاضرة :

ـ هذا يتوقف يأستاذ على عدد الزراير التي تريدها في جيب البنطلون الخلفي !

* *

بينما كان عامل من عمال هيئة النقل العام يرفع لافتة «احترس من النشالين» من داخل الأتوبيس ليضع مكانها لافتة جديدة تنبه على الركاب بالامتناع عن ارتداء ملابس تحمل جيوبها أكثر من زرار واحد ، ظل السائق محتفظاً بمظهر من لا يرى غير الطريق أمامه ، حرصاً على سلامة الركاب ، ولا شأن له بما يجري في داخل السيارة .

وفي نفس اللحظة كان الحوار يبلغ ذروته بين مندوبة التلفزيون وموظف كبير بهيئة النقل العام في مكتبه الأنيق المكيف .

ـ الحمد لله ، تم احتواء الأزمة .

ـ بفضل جهودكم المكثفة ياسيادة المدير العام .

ـ بل الفضل يرجع أولاً وآخراً إلى وعي المواطنين وإدراكهم لضرورة هذا الاحتواء حتى تتفرغ جميع الأطراف المعنية لمزاولة نشاطها في خدمة الأهداف العليا .

ـ في الواقع ياسيادة المدير العام أن زيارة كاميرات التلفزيون لجميع الأطراف المعنية قد كشفت لنا بوضوح عن النوايا الحسنة عند الجميع وعن رغبة الكل في تعايش يسمح بأن تظل المسيرة ماضية في سبيل تحقيق الصالح العام .

ـ في تقديري أنها كانت أزمة عابرة ، ولولا ما عمد اليه بعض المغرضين من النفخ فيها لما أخذت هذا الحجم ولا كانت لها هذه الضجة ...

ـ هل عند سيادتكم تصريح أخير للتلفزيون ؟

ـ أنا متفائل دائماً .. وفي رايي أن كل الأطراف المعنية بهذه الأزمة التي اجتزناها تنظر إلى المستقبل بعين الرضا والطمأنينة ، وتشعر معي بهذا التفاؤل الكبير الذي يلقي بضوئه على المستقبل .

* *

قطعة القماش أمامه ، وفوقها المقص الكبير ، والزبون الجديد الذي يتهيأ للانصراف بعد الاتفاق على موعد البروفة الأولى قال فجأة :

ـ نسيت أن أقول لك أني أفضل أن يكون لجيب الجاكتة الداخلي وجيب البنطلون الخلفي أكثر من زرار واحد ، فهذا أدعى للطمأنينة !

وما إن قالها حتى راعه أن يرى حمدي عوض يتواثب في الدكان ويدق بقبضتيه المتشنجتين على طاولة التفصيل وعلى الجدران وهو يصرخ :

ـ زراير .. زراير ياعالم .. ياناس ارحموني .. ارحموني من زرايركم !

تساءل الزبون المذهول وهو يتراجع في خوف نحو باب الدكان :

ـ اهدأ ياأسطى حمدي .. ماذا أصابك ؟

ـ ارحموني إن كنتم لا تريدون أن ألحق بشقيق عزت عبد الحق عند مجانين العباسية .. ماالذي يضيركم لو خلت دنياكم من الزراير الكثيرة أو القليلة كما خلت من المعقولية ؟

سعد مكاوي

كيف نشأت منظمة الأوبك ؟ ـ اجتماع القاهرة واجتماع بغداد ـ ما هو النظام الاقتصادى العالمى الذى تسعى الأوبك لإقامته ؟ ـ قطر تنضم إلى المنظمة عام ١٩٦١ ـ البترول بين تخفيض الانتاج وتخفيض الأسعار ـ لماذا لجأت الأوبك خلال هذا العام إلى خفض سقف الانتاج للدول الأعضاء ؟

الأوبك

قصة المنظمة التي تتجه إليها أنظار العالم

يقلم: الدكتور محيى الدين علي عشماوي

الجزائر
إيران
إكوادور
العراق
نيجيريا
الجابون
الكويت
قطر
الإمارات
إندونيسيا
ليبيا
السعودية
فنزويلا

الدول الأعضاء فى منظمة الأوبك



الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية والبترول يرأس وفد دولة قطر في المؤتمر العادي الثاني والسبعين لوزراء بترول الأوبك في جنيف

كلمة « أوبك » هي النطق العربي للكلمة الانجليزية « "O.P.E.C." » والتي هي مختصر لاسم « منظمة الدول المصدرة للبترول » .
Organization of Petroleum Exporting Countries

هذه المنظمة التي تجمع في عضويتها ١٣ دولة من الدول الغنية بالثروة النفطية والمنتجة لها والتي تتحكم في سوق النفط العالمية بما تتبعه من سياسة موحدة في الانتاج والأسعار تحقيقاً لمصالح أعضائها .

وحتى يمكن التعرف بصورة مبسطة على هذه المنظمة من حيث كيفية نشأتها ومبادئها وأهدافها والعضوية فيها وتنظيمها الداخلي وعلاقاتها بوكالات الأمم المتحدة وانجازاتها التي أدتها منذ نشأتها ووضعها الحالي نذكر ما يلي :

كيف نشأت الأوبك ؟

بدأت فكرة انشاء الأوبك منذ عام ١٩٤٩ ، حين قامت اتصالات بين فنزويلا وايران والعراق والكويت والمملكة العربية السعودية بهدف تبادل الآراء حول انتاج وتصدير النفط واقامة تنسيق دائم ومستمر بين هذه الدول في هذا الشأن .

ثم حدث في عام ١٩٥٩ أن قامت شركات النفط العالمية بتخفيض سعر شراء برميل النفط الخام الذي تبيعه فنزويلا وكذلك دول الشرق الأوسط النفطية ، مما دعا الدول العربية المنتجة للنفط إلى عقد اجتماع لها في القاهرة طالبت فيه شركات النفط العالمية بأن تتشاور مع حكومات الدول المنتجة للنفط قبل اقدامها على احداث أي تغييرات في أسعار النفط .

وعلى الرغم من ذلك ، فلقد قامت شركات النفط للمرة الثانية بخفض سعر البرميل من النفط الخام بمقدار يتراوح ما بين ٤٪ إلى ١٤٪ من الدولار للبرميل الواحد ، وعلى الفور جرت اتصالات ما بين فنزويلا وحكومات الدول النفطية في الشرق الأوسط بهدف اتخاذ الاجراءات الحاسمة نحو هذه الشركات للمحافظة على أسعار النفط الخام ومنع أي محاولات جديدة لتخفيضه ، وبالفعل انعقد بتاريخ شهر سبتمبر ١٩٦٠ مؤتمر في مدينة بغداد حضره ممثلو حكومات كل من ايران ، والعراق ، والكويت ، المملكة العربية السعودية وفنزويلا حيث تم في هذا المؤتمر الاتفاق على انشاء منظمة الدول المصدرة للبترول (الأوبك) كمنظمة حكومية دائمة . وعقدت الاتفاقية التي وقعتها وصدقت عليها الحكومات المشار إليها والتي ولدت بموجبها الأوبك . وقد تم تسجيل هذه الاتفاقية بمنظمة الأمم المتحدة في شهر نوفمبر ١٩٦٢ تحت رقم ٦٣٦٣ وثائق الأمم المتحدة .

وقد نصت اتفاقية انشاء الأوبك على فتح العضوية لأي دولة من الدول النفطية التي تنتج وتصدر كميات كبيرة من النفط الخام والتي لها مصالح حيوية مماثلة للدول الأعضاء في المنظمة . ويمكن لأي دولة تنطبق عليها هذه الشروط أن تصبح عضواً كاملا في المنظمة إذا رغبت في ذلك وتقدمت بطلب الى المنظمة وتم قبولها بموافقة أغلبية ثلثي الدول الأعضاء ومن بينهم الدول الأعضاء المؤسسة للمنظمة .

وبالفعل فقد توالى انضمام دول أخرى إلى المنظمة بعد انشائها في عام ١٩٦٠ وذلك حسب الترتيب الزمني التالي :

• في عام ١٩٦١ انضمت دولة قطر .
• في عام ١٩٦٢ انضمت أندونسيا .
• في عام ١٩٦٢ انضمت ليبيا .
• في عام ١٩٦٧ انضمت امارة أبو ظبي (والتي اندمجت في دولة الامارات العربية المتحدة في عام ١٩٧٤) .
• في عام ١٩٦٩ انضمت الجزائر .
• في عام ١٩٧١ انضمت نيجيريا .
• في عام ١٩٧٣ انضمت الاكوادور كعضو مشارك ثم أصبحت عضواً كاملاً في نفس العام .
• في عام ١٩٧٣ انضمت الجابون كعضو مشارك ثم أصبحت عضوا كاملا في يونيه ١٩٧٥ .

وبذلك أصبح عدد الدول الأعضاء في الأوبك ١٣ دولة كاملة العضوية منذ عام ١٩٧٥ وحتى الآن . ولم تنضم بعد ذلك أية دولة نفطية أخرى ، وإن كان بعضها يدعى لحضور جلسات المؤتمر الوزاري كمراقب للتنسيق مع دول الأوبك وذلك على النحو الذي حدث في المؤتمر الوزاري الاستثنائي لدول الأوبك والذي عقد في مدينة جنيف في شهر أكتوبر ١٩٨٤ ودعيت إليه مصر كمراقب .

أهداف الأوبك

يمكن تلخيص أهداف الأوبك فيما يلي :

١ ــ التعاون والتنسيق وتوحيد سياسات الدول الأعضاء في المنظمة فيما يتعلق بانتاج وتسويق وتصدير وتسعير النفط الخام .

٢ ــ اتباع أحسن الوسائل اللازمة لحماية مصالح الدول الأعضاء فردياً وجماعياً .

٣ ــ العمل على استقرار أسعار السوق النفطية العالمية بالشكل الذي لايحدث ضرراً بمصالح الدول المنتجة للنفط ويحافظ على دخلها الذي تحصل عليه من تصدير ثروتها النفطية ويؤدي في ذات الوقت إلى استمرار تدفق النفط إلى الدول المستهلكة مع الحصول على عائد عادل لرؤوس الأموال التي تستخدم في استثمارات الصناعة النفطية .

٤ ــ كما تسعى دول الأوبك ــ في تشاورها وتعاونها ــ مع غيرها من دول العالم ، إلى انشاء نظام اقتصادي عالمي جديد مبني على العدل والتفاهم المتبادل وتحقيق الصالح العام والرفاهية لجميع شعوب العالم .

التنظيم الداخلي للمنظمة وأجهزتهـا المختلفـة

١ ــ المؤتمر الوزاري :

ويعتبر المؤتمر الوزاري هو السلطة العليا في الأوبك ويتكون من وزراء النفط في حكومات الدول الأعضاء ، ويجتمع هذا المؤتمر مرتين كل عام ، ويختص بالمسائل الرئيسية التالية :

• اعداد السياسة العامة للمنظمة وتقرير الوسائل والطرق المناسبة لتنفيذ هذه السياسة .
• النظر في طلبات الانضمام لعضوية المنظمة .
• الموافقة على تعيين أعضاء مجلس محافظي المنظمة .
• توصية مجلس المحافظين لاعداد التقارير والتوصيات الخاصة بالموضوعات التي تتصل بمصلحة المنظمة .
• النظر في تقارير وتوصيات مجلس المحافظين والموافقة عليها فيما يتعلق بكل شئون المنظمة .
• الموافقة على ميزانية المنظمة والتي تحال إليه من مجلس المحافظين .

٢ ــ مجلس المحافظين :

ويتكون مجلس المحافظين من المحافظين الذين يتم تعيينهم بواسطة حكومات الدول الأعضاء ويوافق عليهم المؤتمر الوزاري .

ويختص مجلس المحافظين بالمسائل التالية :
• توجيه الجهاز الاداري بالمنظمة وتنفيذ قرارات المؤتمر الوزاري .
• النظر والموافقة على التقارير التي تحال إليه من السكرتير العام للمنظمة .
• رفع التقارير والتوصيات التي تتعلق بموضوعات المنظمة إلى المؤتمر الوزاري .
• اعداد الميزانية السنوية للمنظمة ورفعها إلى المؤتمر الوزاري للموافقة عليها .

٣ ــ السكرتارية :

تتولى سكرتارية الأوبك ــ والتي تتخذ مقرا لها في مدينة فيينا بالنمسا ــ جميع الوظائف التنفيذية للمنظمة وذلك طبقاً لنصوص النظام الأساسي وفي ضوء توجيهات وتوصيات مجلس المحافظين وقرارات المؤتمر الوزاري .

وتتكون السكرتارية من السكرتير العام وعدد من الموظفين الرئيسيين المعاونين له في تسيير أعمال المنظمة .

والادارات الرئيسية بالسكرتارية هي الادارة الاقتصادية ، إدارة المعلومات ، الادارة القانونية ، الادارة الفنية ، وحدة الاحصاء ومكتب السكرتير العام والشئون الادارية .

وتتولى كل ادارة تنفيذ الاختصاصات الموكلة لها واعداد التقارير والتوصيات اللازمة في الشئون الادارية والقانونية والاقتصادية والفنية والاحصاءات اللازمة لشئون النفط العالمية وشئون النفط في الدول الأعضاء .

وفي عام ١٩٦٤ وفي إطار الأوبك أنشئت اللجنة الاقتصادية كجهاز دائم متخصص في الشئون الاقتصادية ويعمل ضمن السكرتارية العامة . وكان الهدف من انشاء هذه اللجنة هو العمل على المحافظة على استقرار أسعار النفط في السوق العالمي عند مستويات متعادلة . وتتكون هذه اللجنة من مجلس ولجنة موظفين وممثلين للدول الأعضاء . وتجتمع اللجنة أربع مرات سنوياً .

علاقة الأوبك بوكالات الأمم المتحدة

ترتبط الأوبك مع الوكالات المتخصصة التابعة للأمم المتحدة بعلاقات تعاون وثيقة أنشأتها الأوبك مع هذه الوكالات على فترات مختلفة منذ نشأتها .

ففي عام ١٩٦٥ وافق المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة على انشاء علاقات مع الأوبك وذلك بموجب قرار أصدره المجلس في شهر يونيه من ذلك العام يعترف فيه بالأوبك كمنظمة حكومية دولية متخصصة في شئون البترول للدول الأعضاء فيها .

ونتيجة لاعتراف الأمم المتحدة بالأوبك فقد دعيت هذه المنظمة بواسطة السكرتارية العامة بها إلى الشاركة في اجتماعات وكالات الأمم المتحدة المتخصصة مثل مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية المعروف باسم (انكتاد UNCTAD) وغير ذلك من اجتماعات المنظمات الدولية الهامة .

أهم انجازات الأوبك منذ نشأتها

يمكن تلخيص أهم انجازات الأوبك خلال الفترة منذ نشأتها عام ١٩٦٠ حتى تاريخه فيما يلي :

• القيام بدور هام نحو المحافظة على استقرار أسعار النفط ومواجهة محاولات شركات النفط العالمية لخفض الأسعار تحقيقاً لصالحها .
• عقد اتفاقيات هامة مع شركات النفط العالمية من أجل الحصول على أسعار مرتفعة للنفط الخام ودخل عال مع تعويضها عن الارتفاع الكبير في الأسعار نتيجة التضخم .
• وضع المبادىء النموذجية بالنسبة للتشريعات البترولية للدول الأعضاء .
• المشاركة الجادة في المؤتمرات الدولية والاقليمية التي تتصل بصناعة النفط .
• توحيد السياسات البترولية بين الدول الأعضاء لتحقيق مصالحها المشتركة في مواجهة الشركات البترولية العالمية .
• وضع لوائح ونظم المحافظة على الثروات البترولية في الدول الأعضاء .
• مساعدة الشركات البترولية الوطنية على النهوض بصناعة البترول في الدول الأعضاء ومنافسة الشركات العالمية الاحتكارية .
• تحقيق سياسة تملك الدول الأعضاء لشركات البترول الأجنبية التي تعمل في أراضي الدول الأعضاء سواء في المناطق البرية أو البحرية .

• أخذ زمام المبادرة فى تحديد أسعار النفط الخام الذى تصدره الدول الأعضاء إلى الأسواق العالمية .

• الاتفاق على حجم الانتاج لدول المنظمة من أجل مجابهة النقص على الطلب فى السوق العالمى ومنع تدهور الأسعار نتيجة لذلك .

• تقديم المساعدات للدول المتخلفة من أجل مساعدتها فى مشروعات التنمية .

• الدعوة إلى نظام اقتصادى عالمى جديد من خلال التعاون والتشاور الدولى مما نتج عنه ميلاد مؤتمر التعاون الاقتصادى الدولى (CIEC) والذى عرف بحوار الشمال والجنوب ، North-South Dialogue بين ١٩ من الدول النامية تضم ٧ دول أعضاء فى الأوبك و ٨ دول من الدول الصناعية الكبرى وبهدف التوزيع العادل للثروة العالمية والموارد الوطنية .

• انشاء صندوق الأوبك OPEC Fund لتقديم الدعم والمساعدات والقروض طويلة الأجل وبدون فائدة لما يقرب من ٤٥ دولة فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .

• العمل على حل مشكلة الغذاء العالمى عن طريق تقديم معونة مقدارها ٤٠٠ مليون دولار مساهمة من صندوق الأوبك لمشروعات الصندوق الدولى للتنمية الزراعية (IFAD) .

وختاماً فإن الأوبك تتولى الآن سياسة الدفاع عن مصالح الدول الأعضاء فيها فى مواجهة محاولات شركات البترول العالمية لخفض أسعار النفط الخام بدرجة كبيرة عن طريق تقليل حجم الطلب على صادرات دول الأوبك استناداً الى قيامها بالسحب من مخزونها الاحتياطى لفترة من الزمن تجبر فيها دول الأوبك على خفض أسعار نفطها حتى تتمكن من تسويقه عالمياً والحصول على العائد من التصدير اللازم لتحقيق مشروعاتها للتنمية .

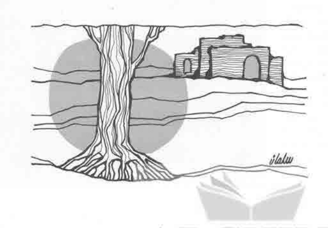
وقد لجأت الأوبك فى خلال هذا العام إلى طريقة خفض سقف الانتاج للدول الأعضاء فيها وذلك حتى يتم امتصاص السوق للفائض النفطى الموجود به ويعود حجم الطلب على النفط من دول الأوبك الى حجمه الطبيعى وبالتالى لا تضطر الأوبك إلى خفض الأسعار الذى تسعى إليه شركات النفط العالمية .

ويعد ذلك صورة من الصور الحية للدور الهام الذى تلعبه الأوبك فى تنسيق سياسات أعضائها البترولية من حيث الانتاج والأسعار من أجل المحافظة على مصالحها وبالتالى مصالح شعوبها فى المحافظة على ثرواتها البترولية والاستفادة من الدخل العائد من تصديرها لتحقيق الرفاهية والتقدم لشعوبها .

محيى الدين علي عشماوى

طفولة

شعر : محمد آدم



حين كنتُ صغيراً
أطاطىء رأسي لشمسِ النهارِ الغريبِ
وأبني من الرملِ بيتاً
أعرشهُ بالريـاحِ ،
ونخلِ الفـؤادِ ،
وأجرى على ضفةِ النهـرِ
تهـوى فراشـةٌ ،
لتحسو قليلاً من الماء
أو تتأملُ شمسَ النهارِ الكسولِ
فأضـحكُ ،
ثم تغـادرُ
ها هو عشبٌ من الأرضِ
يركضُ صوبَ الرياحِ المطيرةِ
ثم يغازلُ نخلَ السماء
ويبتلُ بالأرضِ
والشمسِ
آهِ
الفراشـةُ غابتْ

وغابَ النهارُ المضيءُ
وها هى بعضُ النجيمات تهوى على فضةِ الماء
كى تتكسـرَ
أو تتـلألأ
أو تتوارى خلالَ العشبياتِ والشجراتِ
التي تمايلُ من شدة الريح
والريحُ لا تتوقفُ عن ركضِها المتواترِ
فوقَ العشبياتِ

والنخـلاتِ
والظـلِ
أوغلَ ركبُ النهارِ
وعادتْ طيورُ القرى لمساكنها مثقلةْ
هل تعودُ الفراشـةُ
أو يعـودُ
الصغيرُ الذى كان يلهو على ضفةِ
النهـرِ
حتي يغيبَ النهـارُ ! !

- احذروا هذا المسلسل التليفزيوني الصهيوني
- نهرو: براءته وطيبة قلبه سبب متاعبه
- لا داعي للاعتذار: لقد ماتت السينما الايطالية
- أخبار ثقافية عن الكتب والمتاحف والفنون



« التراث »
دعاية صهيونية سافرة في مسلسل تليفزيوني

يبدأ فى أوائل عام ١٩٨٥ عرض مسلسل تليفزيونى فى الغرب بعنوان « التراث » .. المسلسل أنتجته شركة WNET للانتاج التليفزيونى بنيويورك . ومن المقرر إذاعته فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا . وهناك مفاوضات لنقله على الهواء مباشرة بالأقمار الصناعية من التليفزيون البريطانى الى معظم دول أوربا الغربية واسرائيل حيث يتقارب التوقيت .

وتقول صحيفة « كريستيان ساينس مونيتور » إن رسالة المسلسل يمكن تلخيصها فى عبارة واحدة هى « أننا جميعاً الى حد ما .. يهود » !

يكفى أن تعرف ذلك لتدرك مدى ضخامة الجرعة الدعائية الصهيونية فى هذا المسلسل .. العملاق .

وهو مسلسل عملاق بالفعل من حيث الامكانات والاخراج والتمثيل والتصوير الخارجى . ويراد له أن يضرب أو يتفوق على المسلسلات التليفزيونية الشهيرة الأخرى مثل « الحضارة » لسير كنيث كلارك ، و« صعود الانسان » للبروفيسور جاكوبو برونوفسكى . و« يوميات بيل مويرز » وهى مسلسلات تركت أثراً عميقاً فى حياة مشاهديها .

وقد استغرق العمل فى تخطيط مسلسل « التراث » وانتاجه حوالى ست سنوات ، وتم تصوير أجزاء منه فى ١٩ دولة مختلفة وتكلف أكثر من ١٠ ملايين دولار . ويقول عنه النقاد إنه ليس مجرد عرض تليفزيونى بقدر ما هو « جامعة الكترونية » تقوم بدور أداة فعالة فى التعليم والاكتشاف . وقد زكته ١٠٠ جامعة وكلية فى أمريكا وبريطانيا كوثيقة تعليمية اعتماداً على قائمته الطويلة من الخبراء والمستشارين .

والمنتجون التنفيذيون لهذا المسلسل الكبير هم مارك سيجال ، وأرنولد لا باتون ، وجون فوكس .



لقطة من مسلسل « التراث »

أبا إيبان

شكسبير

والأخير هو أيضاً مخرج المسلسل . ويعملون تحت اشراف روبرت كوتلوفيتش مدير مؤسسة « وتيك » للانتاج التليفزيونى . وجميعهم يهود . بالاضافة الى عشرات الكتاب والمخرجين المساعدين والمصورين السينمائيين وعدد مهول من الممثلين والشخصيات الثانوية . ووضع موسيقاه جون ديق .

هذا المسلسل يقول بكل جرأة وجسارة إن الحضارة العالمية المعاصرة هى الى حد ما يهودية .. من نتاج عبقرية اليهود وآمالهم وآلامهم .. وإن كل انسان منا فيه شىء يهودى . وكل نسيج حضارى فيه خيط يهودى ، وإن هذه المجموعة من البشر التى تضم ١٤ مليون شخص يمثلون مالا يزيد عن ٢٥ر٠٪ من التعداد العالمى قد قاموا خلال ٣٠٠٠ عام بدور مؤثر ومحورى فى الديانات والثقافات البشرية ، كما أنهم استوعبوا كل الحضارة العالمية واندمجوا فيها .. فهم ملح الأرض وزبدة التاريخ (!)

ومثل هذه المغالطة الكبرى لا يجرؤ عليها سوى صهيونى مثل ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل سابقاً ومؤلف المسلسل ، وهو الذى يقوم بدور الراوى والمرشد والمعلم فى المسلسل ، ويظهر على الشاشة ٥٤ مرة فى أماكن مختلفة من العالم ، والمسلسل كله مأخوذ من كتاب وضعه ابا ايبان عن تاريخ اليهود عنوانه « شعبى » .

يقف ابا ايبان مراراً أمام الكاميرا ليشرح كيف أن شعب اسرائيل الذى وجد منذ الأزل قد هضم حضارة الامبراطوريات القديمة التى قامت على ضفاف النيل والفرات ، وأضاف إليها من عبقريته الذاتية وتفرده الفكرى حتى أصبحت اسرائيل القديمة منارة فى التاريخ . ومنها انتقل النور الحضارى الى بلاد فارس واليونان وروما وأوربا المعاصرة وأمريكا . وهذا هو « التراث » الذى يشارك فيه كل فرد فى العالم الآن ، يهودى أو غير يهودى ، ويجعل من الجميع يهوداً الى حد ما !

وابا ايبان بالطبع ليس غبيا كى يقع فى فخ الدعاية المباشرة لليهود ، أو يفتح على نفسه الثغرات التى ينفذ منها النقاد وما أكثرها . لذلك فهو يعالج موضوعه بدبلوماسية فائقة ، جاهداً أن لا يمس شعباً من الشعوب أو ديناً من الأديان ، حسبه أن يبرز « الأيادى البيضاء » لليهود على الحضارة العالمية ، ويخفى « الأظافر القذرة » التى نشبوها فى صدور غيرهم من الشعوب .

فمثلا ، فى الحلقة الرابعة من المسلسل التى تتحدث عن الحضارة العربية الاسلامية لا يحاول ايبان التقليل من شأن العرب ، وانما يشيد بتأثيرهم الثقافى فى المجتمع العالمى ، ويبرز بصفة خاصة ازدهار المجتمع اليهودى تحت حكم الأمراء المسلمين فى فترات كثيرة من التاريخ ، وحسبه أن يبالغ قليلا فى الدور الذى قام به المثقفون اليهود فى خدمة ونشر الثقافة العربية كما لو كانت هذه الثقافة غير مدينة لأحد قدر دينها لموسى بن ميمون !

وعندما يتحدث فى الحلقة الثالثة عن ظهور المسيحية يحاول أن يتجنب إثارة الخصومات الدينية ، أو كما يقول ايبان فى حديث لاحدى الصحف « إن معالجتى لا ينبغى أن تثير أية

خصومة دينية، لأنها تاريخية بحتة، فالمسلسل يقول مثلا: كان هناك صبى يهودى يدعى عيسى، ولد فى بيت لحم، ونشأ فى الجليل، وراح يعظ، وفى وعظه اختلف مع العهد القائم.. فهذه حقائق تاريخية لا يمكن المنازعة فيها، أما ما يمكن أن يكون محل نزاع فهو ما إذا كان ينبغى قبول تعاليمه أم لا، غير أننا لا ندخل هذه المنطقة بتاتاً.

ويرى ايبان فى الشتات اليهودى «الدياسبورا» نعمة ونقمة فى نفس الوقت، لأن اليهود كانوا إذا اضطهدوا فى مكان وجدوا مأمناً فى مكان آخر. وهكذا أنقذهم الشتات من الابادة الجماعية.

وتظهر اسرائيل فى الحلقة التاسعة من المسلسل لتلم عناصر الشعب اليهودى التى مزقها الانفجار، وهى اللغة والأرض والعقيدة والسكان.. معجزة ليس لها مثيل فى التاريخ!

أما التاريخ الحقيقى لليهود، وما قاموا به فى كل زمان ومكان من مؤامرات خفية، وثورات دموية، وخيانات وطنية، وتعصبات دينية، وما درجوا عليه من الاستغلال المالى، والغش التجارى، والغدر بالأغيار، وما جبلوا عليه من قسوة ولؤم وخسة سجلها أدباء عظام محايدون من طراز شكسبير فى «تاجر البندقية» وتشارلس ديكنز فى «دافيد كوبرفيلد».. كل ذلك لا يشير إليه المسلسل بشىء، فهو من قبيل «معاداة السامية» وهدف المسلسل بالطبع إزالة هذه الوصمة من القلوب!

والواقع أن ايبان فى اتباعه هذا الخط لم يأت بجديد، فقد جبل اليهود على نسبة الانجازات الكبرى فى تاريخ البشرية الى أنفسهم، وهذا ادعاء كاذب تصدى له الكثيرون فى الشرق والغرب ومنهم الأستاذ العقاد فى كتاب كامل من كتبه، وأثبت أن اليهود عاشوا متسلقين على الثقافات المختلفة، ولم تكن لهم ثقافة خاصة بهم فى يوم من الأيام، أى أنهم كانوا دائماً على هامش الثقافة البشرية ولم يكونوا محوراً لها.

ونتذكر أنه عندما شاهد مناحم بيجن هرم الجيزة الأكبر قال إن أجداده هم الذين بنوه! مع أن الهرم بنى قبل ظهور بنى اسرائيل فى التاريخ القديم بأكثر من ألف عام وكانت هذه فضيحة كبرى لرئيس وزراء اسرائيل كشفت جهله وادعاءه. وهناك فيلم أخرجته هوليود منذ عدة سنوات يسمى «أرض الفراعنة» يدعى أيضاً أن المهندس الأكبر للهرم كان يهودياً من بنى اسرائيل. أما الكتب التى وضعت خصيصاً للايهام بأن اليهود هم أصل الحضارة العالمية وصلبها فى كل العصور فكثيرة لا تكاد تحصى. ومنها مجلد ضخم يحمل عنوان «تراث العالم القديم» من تأليف و. ج. دى بورج، وللأسف فقد ترجمت بعض أجزاء هذا الكتاب الى العربية عام ١٩٦٥ فى مجموعة «الألف كتاب» باشراف الادارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالى بمصر ولم يتعرض مترجمه زكى سوس أو مراجعاه دكتور يحيى الخشاب ودكتور صقر خفاجة لتفنيد المزاعم والمغالطات الكثيرة التى جاءت فى ذلك الكتاب.

ولكن المسلسل التليفزيونى «التراث» هو أخطر هذه المحاولات جميعاً، لأنه يخاطب ملايين الناس فى جميع أنحاء أوربا وأمريكا مع ما للتليفزيون من أثر عميق فى تشكيل الرأى العام. ومن المؤسف حقاً أن العالم العربى على ثرائه وثقافته يعجز عن التصدى لمثل هذه الدعايات الصهيونية أو إنتاج أعمال عالمية جيدة تبرز الشخصية العربية والحق العربى.



نهرو

جواهر لال نهرو
١٩٥٦ — ١٩٦٤
بقلم: سارفيالى جوبال

صدر الجزء الثالث والأخير من أهم وأوثق وأكبر ترجمة ذاتية للزعيم الهندى الراحل جواهر لال نهرو بقلم المؤرخ الهندى سارفيالى جوبال. الكتاب بأجزائه الثلاثة يحمل عنوان «جواهر لال نهرو»، وهذا الجزء الثالث يغطى السنوات التسع الأخيرة من حياة نهرو (١٩٥٦ — ١٩٦٤) وهى أيضاً من أنشط سنوات خدمته كرئيس لوزراء الهند، فقد شهدت هذه السنوات ظهور حركة عدم الانحياز التى لعب فيها نهرو دوراً رئيسياً مع تيتو وعبدالناصر، كما شهدت حرب تحرير جزيرة جوا من الاستعمار البرتغالى، وفى نهايتها حدث النزاع الدامى بين الهند والصين الذى حاول نهرو عبثاً أن يتجنبه.

وقد كان نهرو رئيساً لوزراء الهند ووزيراً لخارجيتها طوال الـ١٧ عاماً التى قضاها فى الحكم، ويعد بحق منشئاً للهند الحديثة التى أقامها على أسس من الديمقراطية والوحدة، وقد اشتهر نهرو بالشجاعة والانسانية والترفع عن الصغائر، حتى أن أشد ناقديه لم يستطيعوا أن يتهموه بأى عمل خسيس أو مهين بالرغم من الخصومات الكثيرة التى تعرض لها والمعارك التى خاضها فى مختلف الجبهات.

ويبرز المؤلف جوبال كيف أن براءة نهرو وطيبة قلبه كانت أحياناً سبباً لمتاعبه، فقد كان كثيراً ما يضع ثقته فى أشخاص غير جديرين بالثقة. ان نهرو كان يتصور أن كل البشر على شاكلته طيبون مستقيمون دافئو القلوب، وكان شديد الاخلاص بصفة خاصة لأصدقائه القدامى، ولكن بعضهم لم يكن يستحق هذه الثقة ومنهم المدعو ماثاى الذى ظل مساعداً وثيقاً لنهرو طيلة ١٣ عاماً أحدث خلالها ضرراً كبيراً الى أن اضطر نهرو للتخلص منه بعد فوات الأوان.

وكذلك ينتقد المؤلف كريشنا مينون ويعتقد أنه لم يكن يستحق محبة نهرو واحترامه، ويقول إن مينون كان فردياً وأنانياً وضاراً كما أن عصبيته وعدم قدرته على التحكم فى سلاطة لسانه أفقداه كثيراً من الأصدقاء.

وقد أثنى كثيرون من النقاد الغربيين على كتاب جوبال بأجزائه الثلاثة، وامتدحوا أحكامه باعتبارها سليمة ومعقولة. وقال أحد النقاد فى صحيفة «فاينا نشيال تايمز» البريطانية إن الكتاب عبارة عن أثر خالد لرجل عظيم لم تضعف قبضته يوماً على القيم التى تصنع السلوك المتمدين.

مأزق فى الأوبرا

أقدم فرقة أوبرا فى العالم هى فرقة مترو بوليتان الأمريكية. وقد احتفلت الفرقة مؤخراً بدخولها القرن الثانى من حياتها بتقديم ثلاث أوبرات متتالية على مسرحها فى نيويورك، هى «لوهنجرين» (أى المجرية) لفاجنر و«حكايات هوفمان» لأوفنباخ، و«أيوجين أونيجين» لتشايكوفسكى.

وحدث أثناء تقديم الأوبرا الثانية «حكايات هوفمان» أن احتبس صوت البطل ويليام لويس (تينور) فى الفصل الثانى، وكان هذا مأزقاً عسيراً، ولكن بديله الاحتياطى كنيث ريجيل استدعى على عجل للغناء بدلا منه داخل الجوقة الموسيقية (الأوركسترا)، بينما استمر ويليام لويس يمثل الدور ويحرك شفتيه بالكلمات!

ومضى الأمر على خير ما يرام دون أن يلحظ الجمهور ما حدث.

تدهور السينما الايطالية

صناعة السينما في ايطاليا دخلت هذه الأيام مرحلة من التدهور الخطير، وفقدت كبار فنانيها .. فمن المنتجين العظام: كارلو بونتي الذى يعتكف الآن في سويسرا، ودينو دى لورنتيس والبرتو جريمالدى، ويعملان بصفة نهائية في الولايات المتحدة، ومن المخرجين العظام: فريدريكو فيلليني ومايكل انجلو انتونيونى، ويقتصران على أفلام التليفزيون التجارية. كما فقدت السينما الايطالية معظم نجومها الكبار وظهر جيل آخر أقل موهبة وكفاءة.

والسبب الرئيسى في أزمة السينما الايطالية هو التليفزيون. ففي العام الماضي أنتجت ايطاليا ١١٠ أفلام سينمائية فقط، أى أقل من ثلث ما كانت تنتجه منذ ثلاث سنوات. وفي نفس العام أذاعت محطات التليفزيون الايطالية ١٤١٥ فيلماً مستورداً و١٢٫٨٨٧ حلقة تليفزيونية أجنبية. وتوجد في ايطاليا ثلاث قنوات تليفزيونية حكومية، وثلاث شبكات تليفزيونية خاصة، ومئات من محطات التليفزيون الخاصة، كلها مفتوحة الشهية لاستيراد الأفلام والمسلسلات من الخارج، من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، بل والاتحاد السوفيتي.

وكثيرون من رواد السينما انقطعوا عن عادتهم القديمة، وهم يفضلون البقاء في منازلهم لمشاهدة التليفزيون، كما تدهورت دور العرض نفسها. وخلال السنوات الثلاث الماضية أغلقت حوالى ١٤٠٠ دار سينما أبوابها. وفي اوائل السبعينيات كان عدد رواد السينما في ايطاليا ٧٠٠ مليون متفرج في العام أى أكثر من عدد رواد السينما في المانيا الغربية وفرنسا وبريطانيا مجتمعين، أما الآن فلا تباع أكثر من ١٦٠ مليون تذكرة في العام ولا تزال توجد في ايطاليا ٧٧٢٦ دار سينما، ولكن ثلثها فقط يعمل بانتظام.

والمعروف أن شهرة ايطاليا كدولة من الطراز الأول في صناعة السينما بدأت في السنوات التالية للحرب العالمية الثانية. فقد تركت الواقعية الايطالية الجديدة طابعها على صناعة السينما العالمية. واشتهر عالمياً مخرجون من أمثال روبرتو روسيليني وفيتوريو دى سيكا بأفلام من طراز «المدينة المفتوحة» و«سارق الدراجة». ثم جاء عصر انتونيونى وفيلليني في الخمسينيات والستينيات، وتلاهما بترولينتشي في الستينيات واوائل السبعينيات، وأخيراً الاخوان باولو وفيتوريو تافياني.

ولكن المخرجين العظام في إيطاليا كانوا دائماً الاستثناء، ومعظم صانعي الأفلام اقتصروا على الكوميديا الهابطة والأفلام التاريخية المزيفة، وهذه النوعية هي التى زادت من أزمة السينما الحالية، أما الأفلام الراقية فقد أصبحت نادرة بدليل أنه لم يدخل مهرجان كان السينمائي هذا العام سوى فيلم ايطالي واحد. وفي مهرجان فينيسيا الدولى الذى أقيم مؤخراً بدت الأزمة أكثر وضوحاً. اذ من بين ١٠٧ أفلام عرضت في المهرجان كانت هناك ستة أفلام فقط لمخرجين ايطاليين.

يقول المخرج كومنشيني (٦٨ سنة) إن الفنيين الايطاليين في الكاميرا والاضاءة والديكور وغير ذلك من فنون صناعة السينما مازالوا أفضل من أمثالهم في العالم، ولكن قلة الحوافز خلال السنوات القليلة الماضية بدأت تبددهم. وعندما يموت الفنيون الكبار الذين هم من جيلي ستكون اعادة أيام المجد للسينما الايطالية مهمة أكثر صعوبة.

ويضيف كومنشيني: لا داعى للاعتذار عن أزمة السينما الايطالية .. لقد ماتت السينما الايطالية بالفعل!

أكبر متحف للفن الأفريقي يفتتح في واشنطون

افتتح في واشنطون في شهر أكتوبر الماضي «متحف الفن الأفريقي»، وهو أكبر متحف في العالم مخصص فقط للفن الأفريقي. والمعروف أن الفن الأفريقي له تأثير عميق على تطور الفن الحديث ونزعاته التجديدية. يحوى المتحف أكبر مجموعة في مكان واحد من الرسوم والتماثيل والأوانى والأقنعة الأفريقية ابتداء من القرن الثالث عشر الى القرن العشرين من مختلف أنحاء أفريقيا السوداء، وخاصة من جمهورية أفريقيا الوسطى وجمهورية بينين والجابون، وكانت معظم هذه التحف موزعة بين المتاحف المختلفة أو ضمن مجموعات خاصة يمتلها أفراد، ولم يبخل المتحف على شرائها بأى ثمن، ولكن المجموعة الأفريقية الشهيرة في متحف المتروبوليتان بنيويورك لم تمس.

وأصدرت إدارة المتحف دليلا يضم صوراً ملونة لأشهر هذه التحف مصحوبة بدراسات جادة لبعض كبار النقاد التشكيليين. ويباع الدليل وحده بأربعين دولاراً.





الكاتبة الفرنسية كوليت

● صدرت في فرنسا مجموعة الأعمال الكاملة للكاتبة الفرنسية الشهيرة كوليت في ١٦ مجلداً. وصف النقاد كتابات كوليت بأنها من أجمل النصوص في الأدب الفرنسي. خصصت عدة مجلدات من المجموعة لمراسلات الكاتبة مع كبار أدباء عصرها.

● تم تحويل منزل سيجموند فرويد (١٩ شارع برجاس بفينا) الى متحف. عاش فرويد في هذا المنزل ٥٠ عاماً قبل أن يضطر أمام الخطر النازى للهرب الى لندن عام ١٩٣٩. يحوى المتحف غرفتي الجلوس والنوم اللتين كانتا يستعملهما فرويد، وكذلك أريكة التحليل النفسى التى تعتبر الأولى من نوعها في العالم، بالاضافة الى كثير من الكتب والمتعلقات الخاصة بالعالم الشهير. وقد ساهمت ابنته آنا قبل وفاتها مؤخراً، وكذلك

أصدقاؤه ومحبوه باثراء المتحف بالهدايا والتحف .

● « وداعاً .. سارتر » آخر كتاب فى السوق عن الفيلسوف الكبير بقلم شريكته سيمون دى بوفوار . يركز الكتاب بصفة خاصة على السنوات العشر الأخيرة من حياة سارتر عندما سقط فريسة للمرض والحزن والملل ، فأصيب بالعمى والصمم والشلل ، ولم يعد يحيط به سوى الأطباء والممرضات . لقد كان « عبقرية تتحلل .. وقد كان من المحزن رؤية هذا الرجل الذى تعود أن يستمد البهجة العظيمة من الحياة وهو لم يعد قادراً على الاستمتاع بأى شيء حتى سماع الموسيقى » .

والنصف الثانى من الكتاب عبارة عن سلسلة من المحادثات المتنوعة فى الفكر والأدب والسياسة بين سارتر وسيمون دى بوفوار .

● طبعة جديدة من دائرة المعارف الشهيرة التى وضعها ديدرو ودالمبير منذ مائتى سنة صدرت أخيراً فى فرنسا فى ١٨ مجلداً باشراف فرانكو ماريا ريتشى . هذه هى أقدم دائرة معارف فى العالم الغربى وقد وضعت فى عصر التنوير ، واشترك فى تحريرها نخبة من أكبر مثقفى ذلك العصر ، ومنهم فولتير وروسو وبوفون وترجو ، وكانت من ارهاصات اندلاع الثورة الفرنسية التى مزقت العالم القديم . والاسم الأصلى لهذا العمل الكلاسيكى الهام هو « القاموس العقلى للعلوم والفنون والآداب » ولكنه الآن يحمل اسم « انسيكلوبيديا ديدرو ودالمبير » .

كما صدرت فى فرنسا الطبعة الجديدة من المجلد الأول من دائرة المعارف العالمية « انسيكلوبيدى يونيفرسالى » وستليه بقية المجلدات تباعاً ومجموعها ٢٢ مجلداً ضخماً .

● بالرغم من المؤلفات القيمة الكثيرة التى صدرت عن الحضارات القديمة يعد « كتاب الحضارات » الذى أصدرته مؤخراً مجموعة لاروس الفرنسية من أروع ما كتب فى الموضوع ، وهو يركز بصفة خاصة على الاتصالات والتأثيرات المتبادلة بين الحضارات القديمة . بما يثبت نظرية وحدة وانتشار الحضارة العالمية ، ويناقض النظرية القديمة التى كانت تتصور قيام الحضارات بمعزل عن بعضها البعض .

كما أصدرت نفس السلسلة « أطلس البشرية » الذى يتناول الجنس البشرى من جميع جوانبه : الأصول والتاريخ والثقافة والهجرات وتكوين المجتمعات والموارد الاقتصادية والمؤثرات السياسية والطقوس والعبادات والأديان .. كل هذه المعلومات مقدمة فى شكل صور وخرائط ورسوم بيانية .

محمد العزب موسى

وتدور الاسطوانة

شعر : راضي صدوق

آهِ من أنتَ ؟
.. وغشَّاني السكونْ
صوْتُها يرحلُ بي عَبْرَ المتاهاتِ البعيدَهْ
قَمري هاجَرَ والليلُ شُجونْ
صَوتُها كان قصيدَهْ !

* * *

آهِ لو تَسكبُ كِلْمَهْ
وَترى أخرسُ واللحنُ حزينْ
وأَنا أَرحلُ في خَفْقةِ نَسْمَهْ
مثلما ترحلُ في الخَوْفِ الظُنُونْ

.. وتدورُ الأُسطوانَهْ
كلُّ جرْحٍ في عيونِ الليلِ ميلادُ قَصيدَهْ .
وأنا أكتبُ بالماءِ حكاياتي الجديدَهْ .
آهِ لو تَضحكُ نَجْمَهْ
آهِ لو أَرحلُ في رؤْيا شَريدَهْ

* * *

.. وتَدورُ الأُسطوانَهْ
صوتُها هَمْسٌ .. وحُبٌّ .. وأَراجيحُ تُغنّي
صوتُها يَصرخُ في روحي : انْتظِرْني
أنا ما زلت وحيدَهْ !
قلبيَ الراقدُ في كهْفِ الجراحاتِ القديمَهْ
صار عصفوراً يُغنّي
كلَّما قُلتِ : انتظِرْني !

* * *

راحلٌ قلبي إليكْ
أيُّها الطفلُ الرَّبيعيُّ الحَنونْ
مُدَّ لي صَوْتَكَ دَرْبا
يَصْعدِ القلبُ على مُخْمَلِهِ عبْرَ السكونْ !

جمهوريات الجُزر في المحيط الهندي

الاستيطان والاقتصاد والسياسة

- كيف استوطن العرب بعض جزر المحيط الهندى في عصور الإزدهار البحرى ؟
- مازالت اللغة العربية محدودة الانتشار في جزر القمر .. واللغة الدارجة في هذه الجزر هى السواحلية !
- كل سكان جزر المالديف مسلمون ، والمناطق القريبة من السواحل الافريقية والهندية تأثرت بالعروبة والاسلام
- لماذا أصبحت مداخل المحيط الهندى تجذب إليها مختلف القوى العالمية بأسلحتها واحتياجاتها الاقتصادية ؟

بقلم : الدكتور محمد رياض

تنتظم جزر المحيط الهندى فى مجموعات جزرية فى قسميه الغربى والشمالى ، بينما يكاد الشرق والوسط أن يكون كل منهما فارغاً من الجزر .. فيما عدا جزر شاجوس ، ومن بينها جزيرة دييجو جارسيا التى ستتضح أهميتها فيما بعد (انظر الخريطة) .

ومن حيث الحجم تنقسم جزر المحيط الهندى الى ثلاثة أنواع :

١ ـ جزيرتان كبيرتان هما مدغشقر وسيلان .

٢ ـ جزر متوسطة الحجم هى سقطرة (اليمن) ومصيره (عمان) وزنجبار ـ بمبا (تنزانيا) وأندمان ـ نيكوبار (الهند) .

٣ ـ مجموعة من الجزر الصغيرة والمتناهية الصغر فى صورة تجمعات ارخبيلية تنتشر على مسطحات مائية واسعة ، وهى : لاكشادفيب (لكديف) التابعة للهند . ومالديف (جمهورية) وسيشل (جمهورية) والقمر (جمهورية) وموريشس (جمهورية) وكوريا موريا (عمان) وريونيون ومايوت وجزر أخرى صغيرة (فرنسا) . وأخيرا شاجوس (بريطانيا) . وحيث أن الخليج والبحر الأحمر هما ذراعان من المحيط الهندى فإنه يمكن أن نضم مجموعات من الجزر الصغيرة الى هذا التصنيف . مثل جزر فرسان (السعودية) قمران (اليمن) دهلك (أثيوبيا) ومجموعات الجزر التابعة للامارات وقطر وايران ثم البحرين التى تمثل دولة الجزر الوحيدة من بين الدول العربية . وعلى صفحات المقال سنجد جدولا يلخص الوحدات السياسية الجزرية فى المحيط الهندى .

تاريخ الاستيطان فى جزر المحيط الهندى

يختلف تاريخ الاستيطان والديانات فى جزر المحيط الهندى حسب علاقات المكان . فمن الطبيعي أن الاستيطان قديم فى سريلانكا ومدغشقر لمساحتيهما الكبيرتين ، ومواجهة كل منهما لكتلة أرضية كبيرة آهلة بالسكان هى الهند وأفريقيا . بينما لم تغر الجزر الصغيرة المتناثرة الناس بالاستيطان الدائم الا بقدر يسير . أما الجزر الصغيرة القريبة من الكتل الأرضية الكبرى فقد عمرت بالسكان من قديم : المالديف وزنجبار وجزر القمر .

ومن الغريب أن أكثر من نصف سكان مدغشقر يستمدون أصولهم من جنوب آسيا فى صورة هجرة قديمة غير معروفة الأسباب والزمان على وجه الدقة . ويطلق على هؤلاء ماليزيين أو هندو ماليزيين .

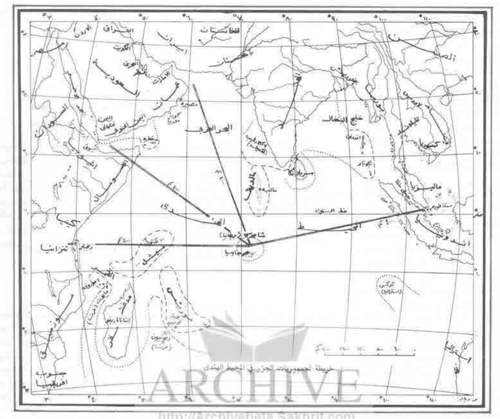
وفى المجموع فإن جزر المحيط الهندى فى قسمه الغربى هى من ناحية أصول السكان جزر أفرو ـ آسيوية . ففى عصور ازدهار الاحتكار البحرى العربى لتجارة المحيط الهندى استوطن العرب بعض هذه الجزر ، وأتوا معهم بمستوطنين أفارقة وهنود الى عدد من الجزر التى كانت محطات للسفن العربية خلال رحلتها مع الرياح الموسمية بين أفريقيا والهند ، من سفالة فى موزمبيق حالياً ، الى سرنديب والملبار (سريلانكا والهند) والى جزر التوابل والبهار (ماليزيا ـ اندونيسيا) .

لكن الأوربيين ابتداء من البرتغاليين فى ق ١٦ م كان لهم دور أكثر فعالية بالنسبة لكل جزر المحيط الهندى بحكم أن رحلاتهم البحرية كانت تشمل كل المحيط من آسيا الى جنوب أفريقيا ومن ثم الى أوربا .. بينما كانت الرحلة العربية فى مجموعها تحتضن فى معظم مساراتها سواحل أفريقيا وآسيا .

ولم يؤثر البرتغاليون كثيراً فى التركيب السكانى فى الجزر ، لأن نشاطهم كان فى الواقع تقليداً لنهج النشاط العربي السالف . فأقاموا مستعمرات وقلاعا على شواطىء أفريقيا والهند والخليج . ومع ذلك فإن مغامرات الملاحين البرتغال داخل المحيط جعل لهم الفضل فى « اكتشاف » الجزر الموغلة فى المحيط وتوقيع اماكنها على الخرائط ابتداء من منتصف ق ١٦ م . وبعض أسماء الجزر تعود الى ملاحين من هذا النوع .

وحاول الهولنديون اقامة مستوطنات دائمة فى بعض الجزر وخاصة موريشس لكن سرعان ما واجهتهم قلة الأيدى العاملة . كما أن مستعمرتهم فى إقليم الكاب (جنوب أفريقيا) كانت أقوى جذبا بحكم مواردها ومساحتها .

أما الفرنسيون فلهم الدور الأكبر فى جلب أفارقة وهنود الى جزر المحيط (ريونيون ١٦٤٩ ، موريشس ١٧١٥ ، سيشل ١٧٥٦ ، القمر ١٨٨٦) وهكذا جاءت أصول أغلبية السكان الحاليين . وسواء بقيت هذه الجزر فرنسية أم ضمتها بريطانيا فيما بعد ، فإن الرقيق الأفريقي الذى جلبه



خريطة لجمهوريات الجزر في المحيط الهندي

الفرنسيون تحرر وبقي واختلط بالهنود (الذين زادوا في عهد بريطانيا) وبالأوربيين . وفوق هذا بقي العرب كمجموعة غير مندمجة في مدغشقر وموريشس وكمجموعة مندمجة في جزر القمر حيث كونوا سلطنات محلية مشابهة لسلطنة زنجبار ومرتبطة ثقافياً بها .

والاضافة الأخيرة لسكان الجزر هي سلالة المستوطنين الأوربيين ، وأكثرهم من الفرنسيين حتى في موريشس التي خضعت لحكم بريطانيا فترة أطول من حكم فرنسا .

وهذا الخليط السكاني لا يتضح فقط في أشكال الناس وسحنهم ولون بشرتهم ، بل يتضح أيضاً في اللغة ، والى حد ما في الدين أيضاً .

مناطق ارتيادها العرب

واللغة العربية محدودة الانتشار بجزر القمر حيث تكون لغة التعليم الديني والتقليدي . لكن اللغة الدارجة في هذه الجزر هي السواحلية ـ وهي في الأصل خليط عربي ـ بانتولي نشأ في شرق أفريقيا . وحيث تنتشر العربية أو السواحلية ينتشر الاسلام ويكون له السيادة . ومع ذلك فلغة التعليم الحديث في جزر القمر هي الفرنسية .

وسكان سيشل في غالبهم زنوج مختلطون بالهنود والفرنسيين . واللغة الرسمية مزدوجة : الانجليزية والفرنسية ، بينما لغة الناس هي كريول فرنسي (كريول خليط) والدين الغالب هو المسيحية الكاثوليكية (٩١٪) .

وفي موريشس أكبر خليط من السكان : هنود وعرب وفرنسيون وخليط فرنسي أوربي ، وصينيون . اللغة الرسمية هي الانجليزية ، لكن الشائعة هي أيضاً كريول فرنسي (٣٢٪) جنباً الى جنب مع لغات هندية مختلفة (٦١٪) وفرنسية (٤٪) وصينية (٢٫٥٪) . والديانات متنوعة وعديدة . الهندوس يكونون نحو نصف السكان والكاثوليك ٢٦٪ والمسلمون ١٧٪ والبوذيون أقل من ١٪ .

أما جزر المالديف فهم خليط عربي ماليزي سنهالي (سكان سريلانكا) واللغة الرسمية يطلق عليها « ديفي » وتمت بصلة الى السنهالية القديمة . والسكان جميعاً مسلمون . وهكذا يتضح أن المناطق التي طال ارتياد العرب لها القريبة من السواحل الأفريقية والهندية ـ من جزر القمر حتى المالديف ـ قد تأثرت بالاسلام والعروبة ، بينما الجزر الموغلة في المحيط أقل تأثراً . أما مسلمو موريشس فهم أصلا من الهنود المسلمين الذين جلبهم الانجليز مع غيرهم من الهنود للعمل في مزارع قصب السكر .

المراحل الاقتصادية

وقد مرت جزر المحيط الهندى بثلاث مراحل حكمت بصورة كبيرة الأنماط الاقتصادية التاريخية والحديثة .

المرحلة الأولى : تحتل فترة زمنية طويلة معظمها سيطر عليه الملاحون العرب ، مع دور غير معروف مداه بصورة واضحة للملاحين والمستوطنين من جنوب وشرق آسيا . ومعروف أن شعوب هذه المنطقة (الصين الجنوبية واندونيسيا وماليزيا) هم مثل العرب من جوابي البحار في كل اتجاه ، فهم الذين عمروا كل جزر المحيط الهادى ، كما استوطنوا مدغشقر في أقصى المحيط الهندى غرباً .

ويبدو أن اهتمامات الصين بالتجارة البحرية في المحيط الهندى قديمة . ففيما قبل الألف الأولى الميلادية وصل البحارة الصينيون الى البحر الأحمر . ولكن ارتيادهم لساحل الهند الشرقي وسريلانكا كان أكثر حدوثاً من ارتيادهم غرب الهند والبحر العربى .

جدول يلخص الوحدات السياسية الجزرية فى المحيط الهندى :

الدولة	المساحة كم٢	عدد السكان	عدد المسلمين	تاريخ الاستقلال
سريلانكا	٦٥٫٦١٠	١٥٫١٩٠٫٠٠٠	١٫١٠٠٫٠٠٠	٤ — ٥ — ١٩٤٨
مدغشقر	٥٨٧٫٠٤١	٩٫١٩٠٫٠٠٠	١٥٠٫٠٠٠	٣٠ — ٧ — ١٩٦٠
مالديف	٢٩٨	١٦٠٫٠٠٠	١٦٠٫٠٠٠	٢٦ — ٧ — ١٩٦٥
موريشس	٢٫٠٤٥	٩٥٠٫٠٠٠	١٦٠٫٠٠٠	١٢ — ٣ — ١٩٦٨
القمر (كومورو)	١٫٧٩٧	٣٧٥٫٠٠٠	٣٧٠٫٠٠٠	٦ — ٧ — ١٩٧٥
سيشل	٤٠٤	٧٠٫٠٠٠	قليل	٢٨ — ٦ — ١٩٧٦
		٢٥٫٩٣٥٫٠٠٠	١٫٩٤٠٫٠٠٠	

ويبدو أن كثيراً من التبادل العربى الصيني القديم كان يتم فى منطقة سريلانكا . ومن الرحلات الصينية المدونة تاريخياً رحلة أمير البحر الصينى شنج ــ هو (١٤٠٤م) الى سيلان (سجلت بالصينية هسى ــ لان) وهرمز (وو ــ لو ــ مو ــ سو) وظفار (تو ــ فار ــ إن) وعدن (آ ــ تن) وجدة (شيه ــ تا) وزيلع (سا ــ لا) ومقديشو (مو ــ كوتاشو) . والأغلب أنه كلما ازدهرت الصين تزداد اهتماماتها بالمحيط الهندى . وفى الوقت الحاضر للصين اهتمامات بالمنطقة تسعى لاختراق التأثيرات الغربية والشرقية ــ كما حدث على فترات زمنية مختلفة فى اليمن الشمالى ، وتنزانيا وزامبيا .

أما الهنود ففى المراحل الأولى كانوا أقل تحركاً فى غرب المحيط الهندى ، وكان تركيزهم على جنوب شرق آسيا فى ماليزيا واندونيسيا حيث تأثير الحضارة الهندية بالغ الأثر .

وعلى العموم ففى مرحلة السيادة البحرية العربية كانت الجزر الصغيرة مجرد محطات تتزود فيها السفن بالماء وبعض الأخشاب والوقود بينما النشاط التجارى مركز فيما بين أفريقيا والهند والجزيرة ومن ثم الى البحر المتوسط ، وفى بداية عصر السيادة الأوربية استمرت الأوضاع كما كانت فى العصر العربى . ويمكن تلخيص هذه المرحلة الطويلة بأنها كانت ارتياداً تدريجياً وتعرفاً على عالم المحيط الهندى ساهمت فيه شعوب مختلفة على رأسها العرب .

على أن نهاية هذه المرحلة قد اتسمت بصراع عربى برتغالى نجم عنه دمار كثير من المدن والمنشآت العربية التجارية فى سواحل أفريقيا والخليج والهند . ومن الناحية السياسية فإن هذا الدمار ربما ينظر إليه على أنه شيء طبيعى لأنه كان ايذاناً بتحول مسار التجارة العالمية من الشرق الأوسط الى طريق رأس الرجاء الصالح . لكنه من ناحية أخرى فإن هذا الصراع قد أوقف ، أو قضى على عملية التمازج الحضارى التجارى العربى الأفريقى الهندى . وهى العملية التى كانت سائرة لقرون طويلة . والبقية الباقية من هذه العملية التاريخية هو تكون لغة جديدة هى السواحلية التى لها انتشار كلغة تخاطب فى شرق أفريقيا من كينيا الى موزمبيق والى الكنغو ، اضافة الى عملية تأصل الاسلام عند غالب جماعات وشعوب سواحل أفريقية الشرقية وساحل ملبار الهندى .

المرحلة الثانية : بدأت فى نحو منتصف ق١٨ م . واستمرت حتى منتصف هذا القرن ــ أى استغرقت قرنين من الزمان . وهذه هى مرحلة تحول الجزر من مجرد محطات تموين وتجارة الى مرحلة المساهمة الانتاجية فى المحاصيل التجارية . وربما كان المستوطنون العرب فى زنجبار وما حولها أسبق الجميع فى هذا الاتجاه العالمى الجديد ، وذلك لأسباب على رأسها استيطان عربى دائم ووفرة العمالة الأفريقية . وكان الفرنسيون أداة تحقيق هذا التحول الاقتصادى فى ريونيون وموريشس وسيشل وأخيراً جزر القمر . وقطفت بريطانيا ثمار الجهد الفرنسى فى موريشس وسيشل كما اسلفنا .

ومازالت محاصيل التصدير هذه قائمة للآن . توابل ، قصب السكر ، فانيليا ، قرنفل ، وحديثاً شاى وبن وتبغ ونباتات عطرية وزهور ، الى جانب جوز الهند الذى ينمو طبيعياً فى كل الجزر .

وقد كان هذا التحول مرتبطاً بالمرحلة الاقتصادية العالمية فى عصر الامبراطوريات الاستعمارية وبمدرسة المركنتالية (التجارية) العالمية فى ق ١٨ و١٩ م . وبمقتضى هذه المرحلة فإن الاقاليم التى وقعت فى حوزة القوى الاستعمارية الغربية قدر لها أن تتخصص فى إنتاج الخامات النباتية وتصديرها الى أوربا للمعالجة الصناعية أو الاعداد ثم التسويق . وكان ميزان التبادل التجارى هو الحكم فى سلامة اقتصاد دولة أو مستعمرة ما ، والميزان التجارى هو الذى يلعب الدور الأساسى فى تشكيل مكونات ميزان المدفوعات بين الدول التابعة والدولة المستعمرة . وفى أحيان كان الميزان التجارى لصالح الدول التابعة .

المرحلة الثالثة : بدأت هذه المرحلة بعد الحرب العالمية الثانية واتسمت عالمياً بالهيمنة الأمريكية التى حلت مالياً وسياسياً محل الأنظمة الاستعمارية السابقة . ومركز القوة فى هذه المرحلة هو أن ميزان العمليات الرأسمالية هو الذى يحرك ميزان التبادل التجارى وليس العكس كما كان فى المرحلة السابقة . ولهذا اتجهت العمليات الرأسمالية الأمريكية الى بسط نفوذها الاحتكارى على انتاج الموارد التعدينية ــ ومن بينها الطاقة ــ فى اجزاء مختلفة من العالم فى صورة احتكار عالمى عملاق يفوق الاحتكار الانجلو فرنسى الذى كان يعتمد على تشغيل الأيدى العاملة الوطنية فى المستعمرات لانتاج مقومات صناعة الغرب من نباتات الألياف والزيوت والدهون .

وإذا اضفنا الى ذلك المركز القوى والمتميز للاقتصاد الزراعى الأمريكى (عكس أوربا الغربية) فإننا نرى أن المرحلة تعتمد فى جذورها على سياسة إقراض الدول ، وخاصة العالم الثالث ، لربط النمو الاقتصادى والكفاية الغذائية بأمريكا . والريجانية الاقتصادية فى مجموعها هى تفاقم لهذه الممارسة وذلك بالمضاربة البحتة على النقود برفع أسعار الفائدة على الدولار ، وبالتالى العمل على استمرار خفض مكاسب الدول النامية من استثماراتها الوطنية ، واستمرار التجائها الى قروض الدولار ومعونات الغذاء لدعم ميزان المدفوعات .

صحيح أن هذا ينطبق على دول كبرى فى العالم الثالث بصورة واضحة مثل اندونيسيا والفلبين ومصر ، وبصورة أخص دول أمريكا اللاتينية وعلى رأسها البرازيل والمكسيك . ولكن هذه المرحلة كان لها أثر واضح ومثير على اقتصاديات ميكروسكوبية كتلك فى جزر المحيط الهندى . فإن النمو السكانى وثبات وازدهار الناتج الاقتصادى فى المحيط الهندى كان ناجماً عن استخدام الموارد البشرية والطبيعية الى حدودها العليا خلال النصف الأول فى القرن الحالى . ومع احتياجات الستينات والسبعينات لاستمرار نوعية الحياة هذه ، لم يعد ميزان المدفوعات فى هذه الجزر قادراً على مقابلة اثمان الواردات من مصنعات وطاقة . ولم تعد اقتصاديات السكر والشاى والبن والتوابل ــ وكلها على نطاق صغير ــ قادرة على الوفاء باحتياجات الناس ولا

في المحيط الهندي . فهناك التسهيلات التي تمنح للأسطول السوفيتي كما هو الحال في أثيوبيا وسقطره والأقوال غير المؤكدة عن ذلك في سيشل . ولكن هذه مماثلة للتسهيلات الممنوحة للأساطيل الغربية في دول أخرى على مشارف البحر العربي ، وقصة التسهيلات للقوى الشرقية أو الغربية سوف تعرف نصوصها يوماً . ولهذا فهي للآن غير قابلة الا للدراسة الظنية .

أما التواجد المكاني للعالم الغربي في المحيط الهندي فتمثله جمهورية جنوب أفريقيا وفرنسا وبريطانيا (ومعها الولايات المتحدة) .

وجنوب أفريقيا هي القوة الغربية المحلية في المنطقة . ومنذ نحو ربع قرن ، حينما اجتاحت أفريقيا موجة الاستقلال من الاستعمار الانجليزي والفرنسي والبلجيكي ثم البرتغالي : كان الفكر الجيوبولتيكي يرى ان جنوب افريقيا أصبحت آخر حصون السيادة البيضاء الغربية . وأنها قابلة للسقوط في عالم أفريقيا الجديدة .. خاصة إذا أخذ في الحساب اهمية الشرق الأوسط المتعاظمة في الستينات حيث المد القومي العربي (الناصرية) والانتاج البترولي المتزايد (الخليج) ثم انسحاب بريطانيا فيما عرف باسم « شرقي السويس » وقد أمكن للغرب احتواء المد العربي باستنفاده في حروب متعددة مع اسرائيل ، مع اغلاق لقناة السويس . وسبق ان ذكرنا أن ذلك ارتبط بهذه ناقلات البترول العملاقة ، وهذا ما ساعد على عودة أهمية طريق الدوران حول أفريقيا ، ومن ثم احياء الاستراتيجية الغربية المعتمدة على دولة قوية في جنوب أفريقيا . ويلاحظ هنا التشابه في الجيوبوليتيكا الغربية التي تربط بين القوة في اسرائيل وفي جنوب أفريقيا على انهما اجزاء عاملة في نهج اقليمي واسع . وقد تحولت جنوب أفريقيا تدريجيا من دولة محاصرة الى دولة مهاجمة ، بدعم غربي قوي . وآخر انجازاتها نجاحها في « تحييد » مجموعة دول المواجهة : زمبابوى — موزمبيق — زامبيا — انجولا .

وتنظر جنوب أفريقيا الى دول الجزر في المحيط الهندي على أنها جيوبوليتيكيا جزء متمم لسلامتها وأمنها وأمن الغرب . ومن ثم يمكن أن نفهم تورط جنوب أفريقيا في محاولات المرتزقة إحداث انقلاب في سيشل للتخلص من الحكومة التي تشوب سياستها شبهة اشتراكية .

ورغم عداء الدول الجديدة لنظام وحكومة جنوب أفريقيا ، فإن اعتمادها على جنوب أفريقيا في وارداتها وصناعتها السياحية يجعل جنوب أفريقيا قوة ضاغطة على هذه الدول الصغيرة .

وفرنسا عضو عامل في التكتل الغربي . لكن طبيعة ومزاج السياسة الفرنسية الخارجية منذ ق ١٩ م يجعلها تؤدي ادوارا خاصة بها من أجل « المجد » الفرنسي والمصالح الفرنسية . لهذا فرنسا دائماً آخر الدول الاستعمارية التي توافق على استقلال مستعمراتها . وغالباً تفعل ذلك مكرهة . وما يجري حالياً في كاليدونيا الفرنسية (في جنوب غرب الباسيفيك) خير دليل على ذلك . وفي منطقة المحيط الهندي كانت جيبوتي آخر الدول التي نالت استقلالها (١٩٧٧/٦/٢٧) بينما جارتها الصومال قد سبقتها الى الاستقلال بسبعة عشر عاماً .

وحينما أجرى استفتاء على الاستقلال في جزر القمر صوت ٩٦٪ للاستقلال ما عدا جزيرة مايوت (٣٦٪) . وعلى الفور خلقت فرنسا ظروف بقائها في مايوت حتى الآن . وساعدت على احداث ارتباك في اقتصاديات جمهورية القمر الجديدة بوقف المساعدات وطرد رعايا الجمهورية من جزيرة مايوت وغير ذلك من الاجراءات .

وعلى وجه العموم فإن لفرنسا وجودا فعليا في جزيرة ريونيون القريبة من موريشس ، وجزيرة مايوت ، وجزر أخرى صغيرة شرق وغرب مدغشقر . والتواجد العسكري الفرنسي هو أقل من الأمريكي : لكنه كاف لاعطاء فرنسا صفة التواجد « الحر » البعيد عن الأهداف الانجلو أمريكية . وهو بدون شك يخدم المصالح الفرنسية في المنطقة في الميادين الثقافية والعلاقات الثنائية والسياسة الدولية . وفوق كل هذا يخدم مبيعات السلاح الفرنسي . وقد ينظر إليه على أنه تواجد مواز للتواجد الأنجلو أمريكي . لكنه في نهاية الأمر تواجد مرتبط ومساند للنفوذ الانجلو أمريكي في الأزمات الحقيقية .

وأخيراً فإن بريطانيا هي الدولة الغربية الأخرى التي لها « ممتلكات » في المحيط الهندي تتمثل في ارخبيل شاجوس الذي يقع في وسط المحيط بين مالديف في الشمال وسيشل في الغرب وموريشس في الجنوب الغربي . وفي عام ١٩٦٥ . فصلت بريطانيا جزر شاجوس ومجموعة جزر أخرى في جنوب سيشل (الدبرا — فاركوهارو ديروش اعيدت الى سيشل عند استقلالها) . واطلقت عليها الاسم الرسمي الحالي « أراضي المحيط الهندي البريطانية » . وقد كان هذا الاجراء مقدمة للأحداث السياسية التي انتهت باستقلال موريشس عام ١٩٦٨ .

وأرخبيل شاجوس عبارة عن عشرات الجزر المرجانية الصغيرة مجموع مساحتها ٥٢ كيلومترا مربعاً على مسطح مائي مساحته ٥٥ ألف كيلومتر مربع . وكانت بريطانيا قد عقدت عام ١٩٦٦ اتفاقا مع الولايات المتحدة بمقتضاه أصبح الأرخبيل مخصصاً لأغراض الدفاع الأنجلو امريكية لمدة خمسين عاماً كفترة أولية . ولتنفيذ ذلك بدأت بريطانيا عملية ترحيل السكان المقيمين ، وكان عددهم يناهز الألفين ، مع تعويضات مغرية (يقال انها بلغت مليون وربع مليون جنيه) . وقد تم نقلهم الى موريشس فيما بين ١٩٦٩ و ١٩٧١ ، برغم اعتراض موريشس وغيرها من الدول الأخرى .

وفي جزيرة دييجو جارسيا — أكبر جزر شاجوس — أقيمت قاعدة كبرى للأسطول الأمريكي ومركز اتصالات ضخما ومطارا طول مدرجه ٣٦٥٠ متراً ومخازن وخدمات لقوة الانتشار السريع والى جانب القوات الأمريكية هناك عدد قليل من البحرية البريطانية للأعمال الادارية .

وما زالت موريشس — بتأييد من الهند ومدغشقر وسيشل ومنظمة الوحدة الأفريقية — تطالب باستعادة ارخبيل شاجوس الى حوزتها بوصفه قسماً ادارياً اقتطع منها قبل استقلالها مباشرة . ولكن يبدو أن هذا المطلب الوطني قد دخل كعنصر للمزايدة بين أحزاب موريشس السياسية ، وتكتيكاً قد يجلب معه دعم بريطانيا وأمريكا لحزب أو حكومة ما .

وهكذا فإنه برغم أنه ليس لأمريكا أرض تدعيها في عالم المحيط الهندي مثل بريطانيا وفرنسا ، الا أنها فعلا القوة الكبرى في المحيط بفضل تسهيلات دييجو جارسيا . وبفضل مالها من مصالح متعددة الاتجاهات والأقاليم .

وفي النهاية يمكن أن نرى — بالمقارنة السريعة — أن قاعدة دييجو جارسيا أفضل من سقطرة . فإذا كانت سقطرة هي قاعدة الأسطول السوفيتي فإنها تقع في علاقات مكانية وسياسية متداخلة . فساحل الصومال لا يبعد بأكثر من ٢٠٠ كم عن سقطرة . والدول التي تحف بسقطرة غير متعاطفة مع الكتلة الشرقية .

أما دييجو جارسيا فتقع في بحار مفتوحة وسط المحيط . وعلى بعد أربعة آلاف كيلومتر من كل من مسقط ، عدن ، دار السلام ، سنغافورة . فهي في مكان مركزي حاكم .

وقد لا يكون هذا وحده هو شكل المقارنة في ظل تكنولوجية الحرب الحديثة . ولكنه جزء مهم في مقومات الحرب أو الصراع في اقاليم محدودة .

محمد رياض — جامعة قطر

المراجـــع

(١) « الاهرام الاقتصادي » اعداد مختلفة لسنة ١٩٨٤ .

2.— **Europa Publications: Africa, South of the Sahara, 1981-82.**

3.— **Der Fischer Weltalmanach 1977-1984.**

4.— **Middle East Review 1981-1983.**

5.— **The Times Atlas of World History.**

انطباعات حول المسرحية القطرية "ياليل ياليل"

بقلم : يحيى يخلف



مشهد من المسرحية القطرية « ياليل ياليل » التى كانت من أهم المسرحيات التى قدمها المهرجان المسرحى فى دمشق

مسرحية (ياليل ياليل) التى قدمتها فرقة المسرح القطرى كانت واحدة من مفاجآت المهرجان المسرحى فى دمشق . فقد خيل للبعض أن المسرح فى الخليج العربى متخلف ولا يمكن أن يرقى الى المستوى الذى وصل اليه المسرح فى بعض الأقطار العربية كمصر والعراق وسوريا والجزائر مثلا . والذين ذهبوا لمشاهدة مسرحية (ياليل ياليل) فى اليوم الأول ، لم يكونوا بالتأكيد يتوقعون مشاهدة مثل هذا العمل المتقن . وأعتقد أنهم شاهدوا عملا يفوق كل التوقعات .

إن هذه المسرحية ، المحلية ، البسيطة ، السهلة الممتنعة استطاعت أن تصل الى الجمهور العربى فى دمشق ، وأن تمد جسرا ما بينها وبينهم ، وتنقل إليهم هموم الانسان العربى وأفكاره فى أيام الغوص بحثا عن اللؤلؤ . وأن يتعاطفوا مع شخصيات المسرحية التى يمكن أن يراها أو يقابلها المرء بشكل أو بآخر ، بنسبة تتفاوت بين بلد وآخر ، فى معظم أقطار الوطن العربى ..

إن مالك السفن (ابو فلاح) موجود فى مجتمعاتنا العربية .

والمواطن العربى الموجوع والمتألم الذى يبحث عن فضاء أو يبحث عن بحر مثل شخصيات المسرحية التى تتمسك بالأصالة رغم محاولات (أبو فلاح) اللعب على تناقضاتها الثانوية .. هذه الشخصيات أيضا موجودة فى الواقع العربى .. وجاءت اللغة العربية الفصحى لتكون أسمنت هذا الجسر الذى يربط المشاهد بالنص المسرحى . ولتؤكد مجددا قدرة اللغة على التوصيل ، وأهمية التمسك بها كأحد مقومات الوحدة القومية للأمة العربية .

ورغم هذه السمات العامة والمشتركة للشخصيات التى تنطق اللغة الفصحى ، الا أن الجو المحلى حافظ على وهجه وتألقه .. وظلت الخصائص المحلية ، تعلن عن حضورها منذ افتتاح الستارة الى النهاية ، بهذا الديكور الموحي وبحركة الممثلين ولباسهم ، وبالتركيز على الأغنية المحلية التى يرافقها ايقاع الطبل والأغنية الفردية والجماعية ، بصوت المغني الضرير الذى يذيب فى الغناء حلاوة أو مرارة ما فى أعماقه من فرح أو قهر ، بالغناء الجماعى الذى يكسر رهبة الخوف والقلق ، ويتحول الى أغنية حب للحياة .

إن شخصية (فرحة) تلك الفتاة النقية لا يمكن أن ترمز الا لكل ما فى الوطن من نقاء وجمال وشرف ، لذلك فحين تصبح (فرحة) هى قضية الساعة ينفجر الصراع الدرامى ، ويتحول الى غضب وصيحة فى وجه ما يجرى أمامنا من أحداث .

هكذا قدمت المسرحية نفسها ، وتسللت الى أعماقنا ببساطة وعفوية ، ورغم بعض الملاحظات التى يمكن أن تقال على شخصية الراوى مثلا الذى يقوم بعملية الخطابة والارشاد ، ويكسر من تلقائية الأحداث وانسيابها ، رغم ذلك ، فإن أسرة مسرحية (ياليل ياليل) كانت تدير عملها بشكل ناجح ، فبذل كل ممثل جهده ، ونجحت التجربة بشكل ملفت للنظر .

ولعل الجمهور ، وأنا واحد منه ، قد أعجب كثيرا بشخصية الممثل الذى أدى دور (البهلول) والممثل الذى ادى دور (أبو فلاح) ، والمغنى الضرير الأسمر الذى نقل الينا كل ما فى أعماقه من وجع وضياع وقدم لنا بشكل جميل روحه النظيفة البيضاء .

ولا ننسى بالطبع جهود أولئك الذين كانوا يقفون وراء الكواليس ، المؤلف والمخرج ، ومهندس الديكور والمشرف على المكياج ، والاضاءة .. الخ . لقد تضافرت جهود الجميع من أجل تقديم عمل جميل ذي دلالات .

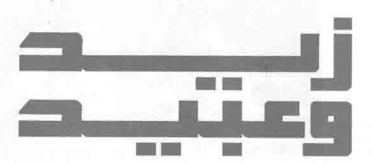
* * *

مسرحية (ياليل ياليل) قدمت بقوة مؤلفها ومخرجها عبدالرحمن المناعي ، الذى برز ، بشخصية متميزة ، وبلغة جديدة ، عصرية تستلهم التراث والموروثات الشعبية ، وحكمة الأجداد وأغانيهم وعقولهم الراجحة .

وعبد الرحمن المناعي نجح بجدارة فى مهرجان دمشق المسرحي ، ورفع عاليا سمعة الثقافة فى بلده . وعليه الآن مسؤوليات كبيرة .. لذلك فإننا ننتظر منه المزيد من الابداع . واذا كان لابد من كلمة أخيرة ، فإنني أعلن عن سعادتى لرؤيتى نصاً موضوعاً لا مترجماً . فقد دأبت بعض الفرق المسرحية على تقديم نصوص أجنبية لا تمس واقعنا وهمومنا . انني أعلن عن حماسي الشديد للنص المسرحى العربى الذى يعالج قضايانا ، وينتمي بقوة الى هموم الوطن والمواطن .

دمشق

عن قصة شعبية عمانية



بقلم: يوسف الشاروني ● ريشة: يوسف أحمد

كان هناك رجل فقير لكنه كريم اسمه عبيد ، وله أخت متزوجة من رجل غني بخيل اسمه زيد .

وذات يوم نزل بالفقير الكريم ضيوف وعلم زيد بذلك من جمالهم الكثيرة التي أناخوها أمام بيت شمجه (أخي زوجته) . ففرح لأن عبيداً لن يستطيع اكرام هذا العدد الكبير من ضيوفه ، غير أن زوجة زيد ـ وكانت تكره بخله ـ تراهنت معه على مائة ناقة تعطيها له إذا لم يكرم أخوها ضيوفه ، وتأخذ مثلها من زوجها إذا استطاع أخوها إكرامهم .

ولما لم يكن لدى عبيد في بيته شيء إلا نوى التمر ، طلب من زوجته أن تطحنه على الرحى بحيث أصبح دقيقاً كما البر ، ثم قصد جمال ضيوفه وأخذ منها واحداً وذبحه ، وخلط دقيق النوى بلحم الجمل وطهاه كما الهريسة ، ولكن كان ينقصه السمن .

فخرج يحمل معه طنجرة ليملأها سمنا من بيت زيد ، لكن زيداً لبخله رفض إعطاءه السمن وإن كان قد برر ذلك أمام زوجته بأنه إنما فعل هذا حتى لايضيع منه الرهان ، فقد قال لزوجته سأكسب منك الرهان لأن أخاك ليس عنده سمن ولن يستطيع إكرام ضيوفه . وهكذا عاد عبيد بطنجرته فارغة .

وعندما دخل بطنجرته مطبخ بيته وضعها أمامه وغطى فوهتها بكمته (غطاء رأسه) وهو يردد هذه العبارة : يغني الله عن بقرات زيد ، ويأتي الله بالفرج القريب . وما رفع كمته عن الطنجرة حتى وجدها تفور سمنا . فأخذ منها حاجته وأكملت زوجته طعام ضيوفها ، وأكرموهم خير إكرام .

وعندما بلغت الأخبار زيداً وزوجته . علم أنه خسر الرهان فأعطى زوجته ـ وهو شديد الحزن مكسور الخاطر ـ مائة من الابل . فأخذت الزوجة هذه الإبل المائة التي كسبتها من زوجها في الرهان وأضافت اليها مائة ناقة من عندها ـ هي التي كانت ستعطيها لزوجها لو أنها خسرت الرهان .. وأعطتها جميعاً لأخيها .

أما الضيوف فعندما تفقدوا جمالهم وجدوها تنقص واحداً وبحثوا عنه فلم يجدوه ، فلما استفسروا عنه من عبيد قال لهم : بدلاً من أن تضيعوا وقتكم في البحث عن جملكم المفقود ، اختاروا جملا من هذه الجمال المائتين يكون أفضل منه ، واتركوني أتولى أنا البحث عن جملكم المفقود .

لهذا عندما شكر الضيوف عبيداً وهم ينصرفون كانوا يشعرون أنهم حصلوا على إكرامين منه بل على ثلاثة : الضيافة ، والحصول على جمل أفضل من جملهم المفقود ، وتوفير وقتهم .



الآثــار المترتــبة عــلى كارثــة المغــول والصليبيــين

بقـلم : أحـمـد العنــــاني

إن كل متتبع لتاريخ العلوم والأنشطة الثقافية الاسلامية جدير بألا يغفل ملاحظة الأوضاع الأليمة التى شهدها القرنان السادس والسابع الهجريان (الثانى عشر والثالث عشر الميلاديان) ، وهى الأوضاع التى كان المتسبب الأول فيها بالطبع ضعف الدولة العباسية ، وحالة التشرذم السياسي والتفسخ الاقليمي في سائر أطراف الدولة وما واكب ذلك بطبيعة الحال من ضعف النسيج الداخلى للأمة ، ذلك الضعف الناتج عن فقدان التوازن الداخلى الاجتماعى والاقتصادى ، وتراكم الغنى الفاحش فى ناحية والفقر المدقع عند الأكثرين من الناس فى الناحية الأخرى .

وحسب المرء أن يعرف حتى من قبل هذا العصر المتأخر أن سيدة واحدة كوالدة الخليفة المقتدر كانت تمتلك من النقد ما يعادل اليوم ثمانين مليون دينار ، ليدرك مدى الآثار المدمرة لذلك التوجه الخطير .. لقد انهار الفلاح الصغير فى سواد العراق والجزيرة الفراتية ، وحلت محله اقطاعيات ضخمة ، وانتشر اليائسون فى الأرض من الأقنان والمحتاجين ..

كل ذلك بات يمهد الطريق أمام الزحف المتصل على أطراف الدولة لبرابرة آسيا الوسطى من المغول والتتر والطورانيين واللار والصغد ، وما ان ابتدأ القرن السادس حتى أصبحت الدولة الاسلامية الكبرى نهب الناهبين من هذه القبائل الأعجمية المتوحشة .. ولاشك بأن الغزو الصليبي لم يكن الا من بعض نتائج تلك الأحوال ، كما أنه ساعد على زيادة تأزيمها الى ان انتهى الأمر بسقوط بغداد بأيدى التتار عام ٦٥٦ للهجرة كما هو معروف ..

الدور الخالد

وتشاء قدرة الله جل جلاله أن يؤدى ازدهار التجارة المصرية فى عصر المماليك الى تقدم ضخم فى العمران والعلم في مصر ، وأن تصبح بمكان القلب فى عالم الاسلام وأن يكتب الله لها دورها البارز مع صلاح الدين فى نصر حطين الخالدة ٥٨٦هـ ، ثم تاليا فى القضاء على التتار فى معركة عين جالوت ، وبعد بضعة عقود من السنين توجت مصر رسالتها بالطرد النهائي الحاسم للصليبيين من طرابلس الشام عام ١٢٩٦ ميلادية أي بعد أربعين سنة من إحراق بغداد بأيدى التتار .

انتقال المراكز الثقافية

ويمكن القول بأن الحركة الثقافية الاسلامية ، نتيجة ضغط البرابرة على الجانب الشرقي من دولة الاسلام راحت تتجه ناحية الغرب الى الشام ومصر ، واعتباراً من القرن السادس للهجرة نشأت تلك الثنائية اللغوية فى دنيا الثقافة الاسلامية ، فالفرس والأتراك عولوا على اللغة الفارسية ، لأن الأتراك فى زحفهم ناحية الشرق تأثروا بحركة إحياء اللغة الفارسية وهم فى أطراف فارس فنقلوها معهم الى آسيا الصغرى ، وأصبح لها مكانتها فى دواوين الدولة ومراكز المعرفة ذلك بأن اللغة التركية كانت قاصرة غاية القصور عن استيعاب أية ثقافة ذات بال .. وبطبيعة الحال كانت المفردات العربية هى الغالبة فى الفارسية كما فى التركية بالنسبة للمصطلح العلمى والثقافى والدينى والتنظيمى الحكومى فى الدواوين .

وفى الوقت نفسه نهضت مصر والشام بحركة احياء للثقافة الاسلامية العربية كان لها أثرها على علم التاريخ وطريقته .

آثار كارثة التتار والصليبيين

لقد أدت الحروب الصليبية والتترية الى خراب شاسع فى الحياة الاقتصادية لكنها أوقفت فى مصر والشام حركة الانهيار الفكرى ، والترهل الثقافى ، وأوجدت احساساً قوياً بذاتية الأمة وثقافتها ورسالتها ، ووجوب صيانتها حيال حركة الارتداد عن العربية فى الشرق .

وبالنسبة لعلم التاريخ فقد استجدت مذاهب التدوين الاسلامية على الأسس الانسانية الواسعة ، فصار المؤرخون إما أن يبدأوا تاريخهم ببداية

الخليقة رواية عن القرآن الكريم أو ابتداء من ظهور الاسلام . وكان ذلك هو المنهج الاساسي الواسع في علم التدوين التاريخي .. لكننا مع ذلك نلحظ في أساليب كبار المؤرخين والجامعين روحاً واقعية تجعل أسلوب الكتابة أقل « أكاديمية » وتخشباً وأكثر حيوية وذلك واضح مثلا في أسلوب ابن الأثير المتوفى عام ١٢٣٣ ميلادية (٦٣٠ هجرية) فإن كتابه « الكامل » ربما نال من الشعبية لدى طلبة العلم والمؤرخين وهواة القراءة ما لم ينله الا القليل جداً من كتب التراث الكبرى .. كذلك تظل روايات وأقاصيص وطرائف اسامه بن منقذ في كتاب الاعتبار مادة دسمة في غاية التشويق .. ان مايرويه من أحداث الحروب الصليبية وملابساتها ومفارقاتها ما يصور عصره تصويراً يكاد يكون مثالياً . والواقع أن هذين المؤلفين قد أثرا في بضعة أجيال من المؤرخين الذين اولعوا بتقليدهما ولاسيما ابن الأثير بحيث يمكنك أن تشير الى عشرة مؤرخين من مصر وحدها في مجال تلك المحاكاة التي ما كان لها أن تقدم شيئاً ملموساً الى روح الثقافة الحقيقية .

ومع ذلك فإنه أصبح للتاريخ وتدوينه مدرسة وطيدة الأركان كان لها اشعاعها وتأثيرها في سائر بلاد الشام واليمن وبرقة ، وحينما نعرض للقرن العاشر الهجري سنجد ان المؤرخين المصريين واليمانيين يشكلون المصدر الاسلامي الوحيد حول الغزو الأوروبي البرتغالي لشرقي أفريقيا وعمان والخليج فيما عدا استثناء واحد ألا وهو كتاب للعالم البحار ابن ماجد ، وسنعرض لتفصيل ذلك لاحقا ..

ابن خلدون والمقريزى

لقد كان كافياً جداً أن تفرد هذه الفقرة لتقديم ابن خلدون وحده ناهيك عن الحاجة الى مساحة ملموسة للكلام عن مقدمة تاريخه وعن ذلك التاريخ نفسه ، لولا أن المقريزى يشارك ابن خلدون في أمرين هامين : فأما أولهما فهو ان كلا منهما استخدم المنهج الابداعي في تفكير خلاق ، وأما الأمر الثاني فهو ان ابن خلدون في مقدمته والمقريزى في كشف الغمة وكثير من مؤلفاته لم يأبها للأساليب البلاغية السجعية المعوقة التي تورط فيها الكثيرون من معاصريهما ..

والحقيقة انه لا مراء في تفوق ابن خلدون في سعة آفاق فكره في المقدمة سعة لا يرقى المقريزى لأبعادها الفسيحة ، ومع ذلك فإن المقريزى تفاعل مع أحداث حياته ، ولاسيما الآثار المدمرة للمجاعات الوافدة بالرزايا والطواعين نظير تفاعل ابن خلدون مع الحياة المضطربة القلقة التي كانت تنقله بين عشية وضحاها من مشارف القمم الى



ابن خلدون

إن مقدمته في رأى توينبي هي أعظم ابتكار فكرى صدر عن عقل بشرى في أى مكان وزمان

حضيض القيعان ..

يرى البروفسور توينبي أن مقدمة ابن خلدون هي أعظم ابتكار فكرى صدر عن أى عقل بشرى في أى زمان وفي أى مكان على مدى التاريخ (١) .

ويرى آليان ويدجرى (٢) أن ابن خلدون (١٣٣٢ — ١٤٠٦ م) هو مؤسس علم التاريخ ، لأنه ذهب الى أن التاريخ فرع من فروع المعرفة يهتم بكامل مجال الظاهرات الاجتماعية للتاريخ الفعلي ، ويكشف المؤثرات المختلفة التي تعمل فيه ، وباستمرارياته الأسباب والنتائج ، وبالمكونات الفيزيائية والنفسية ، ولم يكن التاريخ له مجرد تسجيل للحوادث بل هو وصف للعلاقات الاجتماعية الداخلية والخارجية .

ذلك ما قيل عن ابن خلدون .. فانظر معي الى ماهية العقل المقريزى في كتاب « اغاثة الأمة بكشف الغمة » .

يعلق تقى الدين المقريزى على تكرر المجاعة في بعض البلدان الاسلامية « ان القائلين بأن المحن لا يمكن أبداً زوالها هم قوم لا يفقهون ، وبأسباب الحوادث جاهلون ، ومن روح الله آيسون .. ان ما بالناس من كرب إنما هو تدبير الزعماء والحكام وغفلتهم عن النظر في مصالح العباد »

ثم يمضى ليحصر أسباب الكوارث فيقول ان بعض الأسباب رباني كقصور مياه النيل وقلة نزول المطر وغزوات الجراد ، ثم هناك أسباب تعود للناس وانحرافاتهم الذين يفسدون بالرشوة مسئوليات المناصب الكبرى والخطط السلطانية مما يؤدى لغلاء الأطيان ورواج الفلوس » .

لقد أدخل كل من ابن خلدون والمقريزى ظروف البيئة إضافة الى المجهود الايجابي أو السلبي للأفراد ، وكان فهمه للحتمية فهم المقدر لمختلف العوامل المحدثة للنتائج المنطقية . لقد أعار عبد الرحمن بن خلدون اهتماماً مدققاً سائر الأسباب التي استطاع البحث عنها في ظروف البيئة وعلاقات الدم وغيرها مما يسبب المخالفة بين تاريخ مجتمع وآخر .. وفي الوقت الذى يعير فيه العوامل الحتمية هذه قدرها الكافي فإنه يشير بوضوح الى الرد على التحديات المتدرجة في تلك العوامل من قبل المجتمع في دفاعه عن رخائه وأحياناً عن وجوده .

لقد أعار ابن خلدون الدين والقيم قدرهما الكبير كمؤثرات هامة في تسيير التاريخ وهو في مقدمته لم يتعرض بإقرار أو رفض لما يسميه الغربيون ولاسيما المستشرقون منهم « بوجهة النظر التأليهية الاسلامية » ، ولكن هؤلاء قليلا ما يسألون أنفسهم عن التقديس العظيم لارادة الله ، والتواضع بين يدى واهب العلم ومقدر السنن في مبتدأ فصول المقدمة وفي ختامها .. وقليلا ما يرى هؤلاء ما يراه المفكر المسلم من صلة متينة بين فكر ابن خلدون والعديد من النصوص القرآنية لاسيما ما يشير منها الى سنن الله التي لا مبدل لها والى العواقب الحتمية للاختيار الانساني الخاطىء كالانحلال والدمار المترتبين على الترف الذى هو اختيار بشرى لا ريب ..

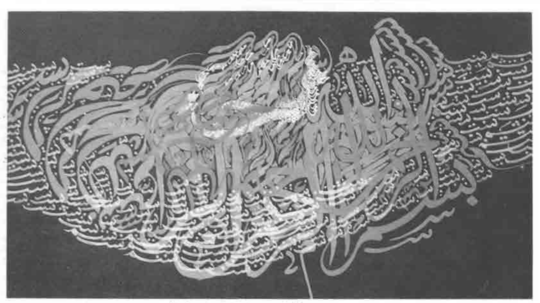
لكن هؤلاء الغربيين من المستشرقين يتعامون عن دعوة القرآن الملحة لاستخدام العقل وتأكيد صفة التقوى كجائزة للأماثل الذين يستخدمون عقولهم في مجالات الكون والانسان وليس ابن خلدون ، كما رأينا في الكلام عن المقريزى بدعاً في التعويل على العقل والبحث عن العلل الكامنة وراء النتائج فذلك منهج المسلمين المستقر في صميم تقاليدهم العلمية .. لكن هذا الكلام لا ينفي اطلاقا كون الاسلام يعول كثيراً على « الهداية » . وهذه الهداية هي الجائزة الالهية للناس الأبرار الأطهار الذين يحيون حقيقة العلم في سلوكهم النظيف فيكافئهم الحق جل جلاله بأن يهدى عقولهم فلا تزيغ .. لأن العقل قابل للزيغ .. ومن ذا ينكر هذا ؟ أليس المنهج العلمي يطرح افتراضات منطقية لتبرير ظاهرة من الظواهر ثم تلاحق تلك الفرضيات واحدة إثر أخرى لتجربتها ، فإن كانت فرضية خاطئة أو ناقصة من الأساس فإن جهد الباحث يضيع فيها عبثاً .. ان الاسلام يعترف بالكيان الباطني للانسان ، واذا ما عرف المسلم كيف يحافظ على طهارة ذلك الكيان بالصدق في القول والعمل كان له ذلك خير معين على درب الهداية والتوفيق ومعونة الحق جل جلاله ..

ومهما يكن من شيء فإن القراءة في مقدمة ابن خلدون تظل أمرا لازما لحسن تفهمه ، وتصور مناهج فكره . والله الموفق وعليه تعالى قصد السبيل .

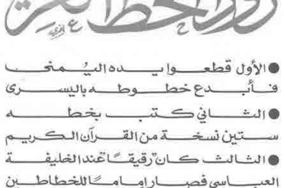
هـــــوامــــش

(١) صدرت هذه العبارة عن توينبي في مناسبات عديدة ويرويها عنه كاتب مقالة ابن خلدون في الموسوعة البريطانية .

(٢) في كتابه « التاريخ وكيف يفسرونه » ترجمة عبد العزيز جاويد — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ .



هكذا استطاع الفنان العربي أن يقدم لنا هذا التشكيل الجميل من البسملة



ثلاثة من رواد الخط العربي

● الأول قطعوا يده اليمنى فأبدع خطوطه باليسرى

● الثاني كتب بخطه ستين نسخة من القرآن الكريم

● الثالث كان رقيقاً عند الخليفة العباسي فصار إماماً للخطاطين

بقلم: حسني شحادة



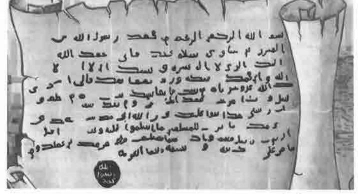
آيات من سورة الأنعام

الآيات: ١٩٤ ـ ٢٠٥ من سورة الشعراء بالخط الكوفي

لوحة بديعة للخط العربى وهى من الكنوز الفنية الموجودة فى مدينة استانبول بتركيا

عندما اخترع الانسان صورة الحرف ، ولدت الكتابة ، ثم الحضارة . وعندما انطلق الخط العربى . الذى كتب به القرآن الكريم دستور الاسلام ، غازياً ومعلماً مع الجيوش ، تغلب على خطوط الأمم حيث حل (١) .

ولم ينل الخط العربى ـ عند أمة من الأمم ذوات الحضارة ـ ما ناله عند المسلمين من العناية به ، والاكبار له ، والتفنن فيه ، اتخذوه بادىء ذى بدء ، وسيلة للمعرفة ، ثم ألبسوه لباساً قدسياً من الدين (٢) ، ولما فتحت الفتوح ، وأمتدت دولة الاسلام ، وترامت أطرافها ، وازدهرت الحضارة الاسلامية ، أصبح الخط فناً غايته الجمال ، وأصبح الخطاط فناناً ، فوضعت للخط قواعد ، واخترعت طرائق ، وظهرت أساليب ، تهدف كلها الى بلوغ الجمال .



أحد أساليب الكتابة القديمة للخط العربى ، ويلاحظ عدم وجود نقاط فوق الحروف



لقد استطاع الفنان العربى أن يبلغ غايته ، إذ أدرك ما فى الحروف العربية من خصائص فنية جمالية . فى الاستقامة والرشاقة ، والتناسق والامتداد . والتدوير والتناسب ، فساعده ذلك على إعطائها أشكالا مختلفة ، فخلع عليها جمال الحياة ، فلقد كانت الحروف اليابسة ، التى تطورت من النبطية فى الجاهلية المتأخرة ، تبدو وكأنها قطع من الحجارة الصم الميتة ، وانقلبت بعد حين الى قامات وأغصان وأزهار . فبعد أن كان الخط وسيلة للعلم ، أصبح مظهراً من مظاهر الجمال ، تفور فيه الحياة . ويجرى معه السحر ، ومازال الخط ينمو ، حتى بلغت أساليبه وطرقه ، مبلغاً جمالياً رائعاً .

الخط العربى فى رأيهم

للفظة « الخط » معان كثيرة لا تخص الكتابة . ولكن المراد هنا الكتابة بالقلم ، فخط(٣) الشيء يخطه . كتبه بقلم . قال امرؤ القيس :

لمن طلل أبصرته فشجانى
كخط الزبور فى عيسب يمانى

أما الزمخشرى (٤) فقد عرف الخط بقوله : خط الكتاب يخطه ، وكتاب مخطوط ، والخطة من الخط كالنقطة من النقط .

وقال البستانى (٥) : خط بالقلم وغيره يخط خطاً ، كتب ، أى صور اللفظ بحروف هجائية .

وقد عرف الخط فى « الشافية وجمع الجوامع » بأنه تصوير اللفظ برسم حروف هجائه ، بتقدير الابتداء والوقف عليه ، وبأنه نقوش مخصوصة دالة على الكلام .

أما القلقشندى (٦) : « الخط ما تتعرف منه صوره الحروف المفردة وأوضاعها وكيفية تركيبها . وقيل إن وزن الخط مثل وزن القراءة ، فأجود الخط أبينه ، كما أن أجود القراءة أبينها .

وقال إقليدس ، وهو من الفلاسفة الرياضيين : الخط هندسة روحانية ، وإن ظهر بآلة جسمانية .

وعرف محمد طاهر الكردي (٧) الخط بقوله : الخط ملكة تنضبط بها حركة الأنامل بالقلم على قواعد مخصوصة .

وتقول سهيلة الحبورى (٨) : الخط هو الوسيلة التى تعبر عما فى النفس وتدل على الكلام . وهو لغة التفاهم بواسطة القلم دون اللسان ، سواء فى ذلك الأرقام العددية ، والحروف الهجائية ، والكتابة المختزلة . وحتى الكتابة الصورية ، والرمزية ، والمسمارية ، وغيرها مما استعملته الأمم والأقوام القديمة .

نشأة الخط العربى

تضاربت أقوال المؤرخين فى أصل الخط العربى والكتابة العربية ، وقد عزاه عدد كبير من الباحثين للحروف الآرامية التى انسلخ عنها الخط العربى بصورته المألوفة(٩) .

وقد وردت أقوال وروايات كثيرة فى هذا المجال ، فأورد القلقشندى فى موسوعته « صبح الأعشى » قوله :

« قيل إن أول من وضع الخطوط والكتب كلها آدم عليه السلام ، كتبها فى طين وطبخه ، وذلك قبل موته بثلاثمائة سنة » .

وقال ابن خلدون فى مقدمته فى فصل الخط والكتابة ما نصه :

« ولقد كان الخط العربى بالغاً ما بلغه من الاحكام والاتقان والجودة ، فى دولة التتابعة ، لما بلغت من الحضارة والترف ، وهو المسمى بالخط الحميرى ، وانتقل منها الى الحيرة ، وكان بها دولة آل المنذر ، أنسباء التتابعة فى العصبية ، والمجددين لملك العرب بأرض العراق .. ومن الحيرة لقنه أهل الطائف ثم قريش ، ويقال من الذين تعلم من الحيرة ، سفيان بن أمية ، ويقال حرب بن أمية ، وأخذها من أسلم بن سدرة .. وأقرب ممن ذهب الى أنهم تعلموها من إياد أهل العراق ، لقول شاعرهم :

قوم لهم ساحة العراق إذا
ساروا جميعاً والخط والقلم »

وجاء فى كتاب تاريخ الكتاب الاسلامى :

« ومن المحقق أن أقدم أشكال الخط العربى ، الخط النسخى ، والخط الكوفى . فقد تعلم العرب الخط النسخى من الأنباط فى حوران أثناء رحلاتهم الى الشام . أما الخط الكوفى فقد تعلمه العرب من العراق ، وكان يعرف قبل الاسلام « بالحيرى » نسبة الى الحيرة ، وهى مدينة غربى العراق قبل الاسلام ، والتى بنى المسلمون الكوفة بجوارها . فهذان الخطان هما أصلا الخط العربى ، وهما الحلقة الأخيرة من سلسلته ، إذ أن الحلقة الأولى من سلسلة الخط العربى ، هى الخط المصرى القديم ، وثانى حلقة هى الخط الفنيقى ، وهو مشتق من الخط المصرى القديم ، وثالث حلقة هى الخط الآرامي المشتق من الفينيقى ، ومن الخط الآرامى هذا ، اشتق الخطان النبطى والسطرنجيلى ، اللذان اشتق منهما الخط العربى (١٣) » .

محاسن الخط العربى

الحرف العربى الإملائى (١٤) ، على حظ وفير من الجمال ، فاذا أضفنا الى صورته الجمالية ، طبيعته الاختزالية ، كان حرياً بأن نضن به ولانرضى عنه بديلا .

أما الناحية الجمالية (١٥) ، فهناك اجماع على تفوق الخط العربى ، واحتلاله مركز الصدارة بين خطوط العالم ، ويروى لنا التاريخ أن سليمان بن وهب ، كتب كتاباً الى ملك الروم فى أيام الخليفة المعتمد ، فقال ملك الروم : « ما رأيت للعرب شيئاً أحسن من هذا الشكل ، وما أحسدهم على شيء حسدى على جمال حروفهم » . وملك الروم لا يقرأ الخط العربى ، وانما راقه اعتداله وهندسته .

ويقول الخليفة المأمون :

« لو فاخرتنا الأعاجم بأمثالها ، لفاخرناها بما لنا من أنواع الخط ، يقرأ فى كل مكان ، ويترجم بكل لسان ، ويوجد فى كل زمان » .

أما الناحية الاختزالية ، فنورد قول المستشرق « ريتر » أستاذ اللغات الشرقية فى جامعة « استانبول » ، وهو من الأساتذة الذين حضروا وحاضروا فى العهدين العثمانى (الخلافة) والكمالى (عهد كمال أتاتورك) :

« ان الطلبة قبل الانقلاب الكمالى (١٦) فى تركيا ، كانوا يكتبون ما أتلو عليهم من محاضرات بسرعة فائقة ، لأن الحرف العربى اختزالى بطبيعته .. أما اليوم فان الطلاب يكتبون بالحرف اللاتينى ، لذلك فهم لا يفتأون يطلبون اليّ أن أعيد عليهم العبارات مراراً ، انهم معذورون ، لأن الكتابة اللاتينية لا اختزال فيها ، فلابد من كتابة الحروف بتمامها » .

ان الكتابة العربية أسهل كتابات العالم وأوضحها ، فمن العبث اجهاد النفس فى ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل اليسير ، وتوضيح الواضح الأبلج .

الخط العربى أينما ظهر بهر ، والمتفنون به على درجة عالية من الابداع ، أما متى يستحق الخط أن يوصف بالجودة ، فقد اورد النويرى (١٧) ذلك بقوله :

« يستحق الخط أن يوصف بالجودة ، اذا اعتدلت أقسامه ، وطالت ألفه ولامه ، واستقامت سطوره ، وضاهى صعوده جذوره ، وتفتحت عيونه ، ولم تشتبه راؤه ونونه ، وتساوت أطنابه ، واستدارت اهدابه ، وصغرت نواقذه ، وانفتحت محاجره ، وقام لكاتبه مقام بالنسبة والحلية ، وخيل اليه أنه يتحرك وهو ساكن » .. فسبحان الذى علم بالقلم .

رواد الخط العربى

لقد استطاع نخبة من الرواد العرب المسلمين ، إدراك الخصائص الفنية والجمالية للحروف العربية ، فتجاوزوا استعماله فى الحاجات الثقافية الى الآفاق الفنية ، ليصبح فناً جمالياً متميزاً .

ومن هؤلاء العمالقة فى دنيا الخط العربى نورد ثلاثة رواد هم « ابن مقلة » و « ابن البواب » و « ياقوت المستعصمى » .

● ابن مقلة :

هو أبو على محمد بن علي بن الحسن بن عبد الله بن مقلة ، كاتب ، أديب ، خطاط ، وزير ، ولد ببغداد سنة ٢٧٢ هـ ، وقد ساعده إلمامه بالهندسة على تطوير الخط العربى ، فقد ظل العرب يستعملون الخط الكوفى فى كتابة المصاحف ، حتى سن لهم ابن مقلة الخط النسخى الفنى ، فاستحسنوه لجماله وسهولة كتابته ووضوحه ، فاعتمدوه فى

كتابة المصاحف ، ولم ير الناس في ذلك الزمان أبدع من خطه . فقال فيه الشاعر :

فصاحة سحبان وخط ابن مقلة
وحكمة لقمان وعفة مريم
إذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس
ونودي عليه لا يباع بدرهم

وقد ابتلى ابن مقلة ، فقد تولى الوزارة أيام الراضي . ثم اعتقله في حجرة في دار الخلافة ، حيث قطع الوزير ابن رائق ، يده ، واحتفظ به في محبسه ، فأخذ ينوح على يده ويقول :

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً
فإن البعض من بعض قريب

وكان يشد القلم الى ساعده ويكتب به ، وأخذ يمرن يده اليسرى حتى أجاد . وتوالت عليه المصائب . فقطع لسانه . ثم قتل سنة ٣٢٨ هـ ، عن ستة وخمسين عاماً . ومن الصدف العجيبة في حياته ، أنه تولى الوزارة ثلاث مرات . ودفن ثلاث مرات . الأولى في دار الخلافة . ونبش قبره ، بناء على طلب أهله ، وسلم إليهم ودفنوه ، ثم طلبته زوجته . فنبشوه . ودفن في دارها ، وقيل فيه :

تسلل دمعى فوق خدى أسطراً
ولا عجب من ذاك وهو ابن مقلة

• ابن البواب : (١٩)

هو على بن هلال ، ولد ببغداد في النصف الثاني من القرن الثالث الهجرى . وكان أبوه بواباً يلازم ستر الباب عند آل بويه . فسمي بابن الستري أو ابن البواب ، اشتغل في صباه مزوقاً يصور الدور ، ويدهن السقوف . ثم أخذ يصور الكتب . ثم انتقل الى الكتابة ، فكان لديه الموهبة الفنية ، والذوق الجمالي ، فأبدع في الخط العربي ، وكان له فيه طريقته .

أخذ الخط عن محمد بن أسد البغدادى الكاتب الكوفى ، ثم محمد السمالى ، تلميذى الوزير ابن مقلة ، فهذب طريقه ابن مقلة . ونقحها وكساها طلاوة وبهجة ، أى أنه دفع بالخط الى الجمال أكثر مما دفعه ابن مقلة . بما أوتى من أسباب إتقان الخط . فاستطاع أن يتفنن ، ويحكم ، ويحرر ، ويزين ، ويبرع ، ويبدع فيما كتب ، وهذا كله جعل طريقة ابن مقلة تنسى ، وجعل طريقته تتبع وتحتذى . فكانت حروفه تموج بالحياة ، واللدونة والري ، وكأن فيها سراً خفياً يثيرها . ويقول فيه ابن خلكان (٢٠) :

« لم يوجد في المتقدمين ولا المتأخرين من كتب مثله ، ولا قاربه » . بعد أن يذكر ابن مقلة يقول : « ولكن ابن البواب هذب طريقته ، ونقحها وكساها طلاوة وبهجة » .

ويتحدث ابن كثير (٢١) عن خط ابن البواب فيقول :

أما خطه وطريقته فيه فأشهر من أن ننبه عليها ، وخطه أوضح تعريباً من خط ابن مقلة ، ولم يكن بعد ابن مقلة أكتب منه ، وعلى طريقته يسير الناس اليوم (القرن الثامن) . في سائر الأقاليم الا قليل .

وكان يوقع خطوطه وكتاباته في أحد شكلين : كتبه على بن هلال أو على بن هلال المعروف بابن البواب .

أنشأ مدرسة للخط ، وعملت الى عهد ياقوت المستعصمي ، وإليه ينسب ابتداع الخط العربي المعروف « بالريحاني » . وخط المحقق . وسارت شهرته سير المثل ، فذكرها أبو العلاء المعرى في أشعاره فقال :

ولاح هلال مثل نون أجادها
بماء النضار الكاتب ابن هلال

ويذكر أنه نسخ القرآن بيده أربعاً وستين مرة ، ومنها نسخة بالخط الريحاني . أهداها السلطان سليم الأول العثماني الى مسجد (لا له لى) ، ومن خطه ديوان « سلامة بن الجندل » . في مكتبة « أيا سوفيا » باستانبول . ونسخة من القرآن الكريم محفوظة في مكتبة « شستربيتى » بمدينة دوبلن بايرلندا .

توفى ابن البواب سنة ٤١٣ هجرية (١٠٣٢) ميلادية ، في خلافة القادر بالله . ودفن بجوار الامام أحمد بن حنبل ، ورثاه الشريف الرضي رثاء رقيقاً قال فيه :

استشعر الكتاب فقدك سالفاً
وقضت بصحة ذلك الأيام
ولذاك سودت الدوى كآبة
أسفاً عليك وشقت الأقلام

• ياقوت المستعصمي :

ولد بأماسيا (٢٢) ، ببلاد الروم سنة ١٢٢١ ميلادية وتوفى ببغداد سنة ١٢٩٨ ميلادية ، ويظن أنه سرق في صغره ، فاشتراه المستعصم آخر خلفاء بغداد العباسيين ، ورباه وعلمه . فصار رأس مدرسة من الخطاطين ، كاتباً وشاعراً ، وجمع مختارات في كتبه .

ولئن تدرج خط على بن هلال في مدارج الكمال على مر الأيام ، فقد ارتقى كثيراً بعده على يد المستعصمي ، ويأتي في الشجرة ــ بعد ابن مقلة ــ ابن البواب على ابن هلال ثم قبله الكاتب الشيخ جمال الدين ياقوت المستعصمي الطوشي البغدادي .

فياقوت المستعصمي هو أشهرهم (٢٣) ، وهو الذى فاق ابن مقلة وابن البواب ، والذى عرف « قبلة الخطاطين » .

وذكر ابن القوطى أنه كان خازناً بدار الكتب المستنصرية ، وكان المشرف عليه ابن القوطى ، وذكر المقريزى ، أن بمدرسة الأشراف شعبان بن حسين بن محمود بن قلاوون في القاهرة ، عشرة مصاحف طول كل مصحف منها أربعة أشبار ، أحدهما بخط ياقوت وآخر بخط ابن البواب وباقيها بخطوط منسوبه .

ومن يريد أن يراجع طبقات الخطاطين في الماضي والحاضر ، فليعد الى كتاب « تاريخ الخط العربي وآدابه » لمؤلفه محمد طاهر الكردى ، فهو مرجع هام في ذلك الشأن .

كلمة أخيره :

هذه نبذة عن الخط العربى ، وجمالية وابداعية الخطاطين العرب ، وحري بنا أن نضن به ولا نرتضى عنه بديلا .

حسنى شحادة

هوامش

(١) بدائع الخط العربى ــ ناجى زين الدين ص ١١ .

(٢) جامع محاسن الكتابة ــ محمد بن حسن الطيبى ص ٥ .

(٣) تاريخ الخط العربى وآدابه محمد طاهر الكردى ص ٧ .

(٤) تاج العروس ـ للزبيدى ج ٥ ص ١٢٧ .

(٥) أساس البلاغة ـ للزمخشرى ج ١ ص ٢٤٠ .

(٦) كتاب محيط العلوم ـ لبطرس البستانى ج ١ ص ٥٦٣ .

(٧) صبح الاعشى في صناعة الانشا ـ للقلقشندى ج ٣ ص ٢١ .

(٨) تاريخ الخط العربى وادابه ـ محمد طاهر الكردى ص ٨ .

(٩) الخط العربى وتطوره في العصور العباسية ـ في العراق ص ١ .

(١٠) الحروف العربية ـ للدكتور صفوان التل ص ٨ .

(١١) صبح الاعشى في صناعة الانشا ـ للقلقشندى ج ٣ ص ٢٥ .

(١٢) المقدمة لابن خلدون .

(١٣) تاريخ الكتاب الاسلامى ـ للدكتور محمود عباس حمودة ص ٩٣ .

(١٤) الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٥٨ .

(١٥) الاملائى هو المكتوب بخط اليد .

(١٦) علم القلم ـ كامل البابا ص ١٦ .

(١٧) عهد كمال أتاتورك .

(١٨) نهاية الارب في فنون الأدب ـ للنويرى ج ٧ .

(١٩) علم القلم ـ كامل البابا ص ٨٢ .

(٢٠) جامع محاسن الكتابة ـ للطيبى ص ٥ .

(٢١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ج ٣ ص ٢٨ .

(٢٢) البداية والنهاية ـ لابن كثير ج ١٥ ص ١٤ .

(٢٣) نشأة الخط العربى ــ محمد شكرى الجبورعي .

بقلم: جمال قطب



من متابعتنا منذ سنوات لهذا الباب الذي يعني بالفن العالمي ، نجد أننا عند تناولنا لمدارس الفن التي ظهرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، نرى أن فرنسا قد سيطرت على حركة الابداع وظهرت فيها التيارات التي قادت فناني العالم وراءها ، وفي القرن الثامن عشر ظهر مذهب (الروكوكو) في أواخر حكم الملك لويس الرابع عشر على أنقاض طراز (الباروك) الذي تحدثنا عنه في الشهور القليلة الماضية .. وظل الروكوكو مسيطراً على الفن الفرنسي حتى اختفى في أعقاب الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .. وكان اهتمام المصورين في ذلك العصر ينصب أساساً على حياة الترف ومظاهر الارستقراطية والبلاط الفرنسي .. وتدور الموضوعات - غالباً - حول المرأة الباريسية الفاتنة .

وأعقب هذه الأساليب الغارقة في الترف ، مذهب جديد نقيض تماماً للروكوكو ، كأعنف رد فعل لما فعلته الحياة الناعمة في المجتمع الفرنسي استمدت مقوماتها من رصانة الأساليب الكلاسيكية الاغريقية القديمة ، كما تناولت في موضوعاتها المواقف الوطنية في تاريخ الرومان ..

وتوالت بعد ذلك المدارس الفنية التي تخضع لتأثير مستحدثات العلم والاكتشافات الحديثة ، وبخاصة مايتناول منها علوم الضوء وعلاقته بالعصب البصري وشبكة العين .. وظهرت المدرسة (التأثيرية) .. إلى أن وصلنا إلى فنون القرن العشرين التي تناولناها تفصيلا في لقاءات كثيرة سابقة ، وأهمها التكعيبية والتجريدية والسيريالية .

وفي تلك المراحل التاريخية من مدارس الفن النشطة التي تمركزت في باريس نرى أن الفن الإنجليزي - كعادة الإنجليز أنفسهم - يتحرك ببطء شديد ، ويحافظ على التقاليد المتوارثة بإصرار وثقة واحترام . وفي مطلع القرن التاسع عشر ، تبادل الفنانون الفرنسيون مع زملائهم الانجليز الزيارات .. وشهدت تلك الفترة صلات فنية بين لندن وباريس ، كما تتلمذ الفنان الانجليزي (بوتنجبتون) على يد المصور الفرنسي (جرو) رسام معارك نابليون الشهير .. كما زار (جيريكو) و (ديلاكروا) لندن .. وأعجبوا أشد الاعجاب بالفنان توماس لورانس (١٧٦٩ - ١٨٣٠) الذي تألقت أعماله هو وزميله (كونستابل) رسام المناظر الطبيعية والريف البريطاني الجميل .

وبالرغم من هذه الزيارات المتبادلة .. لم يستطع الفن الإنجليزي أن يسير في ركاب الفن الفرنسي أو أن ينتهج أسلوب الرواد الفرنسيين .. وحتى معالجة المناظر الطبيعية ، كان لها أسلوبها الخاص الذي يميزها عن مدرسة (باربيزون) الفرنسية .. واهتم الفنانون الإنجليز في كل هذه المراحل والتطورات برسم الصور الشخصية في المقام الأول .. وبرز عمالقة كبار من أمثال (جوشوا رينولدز) خلف لنا روائع خالدة من فن الصور الشخصية .

وكان رينولدز أستاذ الأساتذة في الفن الإنجليزي ولاسيما تصوير أقطاب المجتمع البريطاني وفاتناته .. كما أن رأيه إذ ذاك يعتبر وثيقة لأي فنان بريطاني .. وكان من حظ فناننا سير توماس لورانس أن قال له رينولدز ذات يوم عندما رأى لوحة الفتاة المنشورة على الصفحة المقابلة وهي صورة إحدى شهيرات المجتمع الارستقراطي في لندن .

«إن لوحتك هذه تعتبر إحدى الروائع الفنية Masterpiece وبذلك فقد أصبحت فناناً كبيراً ، ولاشك أن العالم سينظر إلى أعمالك بكل التبجيل والاحترام ، ليبرهن لك على صحة رأيي فيك» !

واشتهر لورانس في الأوساط الراقية .. وصار فنان الفاتنات وحلم الفتيات وسيدات المجتمع البريطاني الذي يراودهن لرسم صورهن كأمل يداعب خيالهن الطموح !

أما صاحبة الصورة فهي كونتيسة ديربي : اليزابيث فارن - قبل أن تتزوج ديربي الشهير (وهو الذي أسس سباق الديربي في انجلترا) ، وكانت اليزابيث إحدى نجمات مسرح الهايماركت في لندن ، وقد بدأت العمل بالمسرح منذ أن كان عمرها خمسة عشر عاماً .. واعتزلته وهي في الخامسة والثلاثين لتتزوج من (إيرل أوف ديربي) بعد وفاة زوجته الأولى . وفي إحدى الحفلات الأرستقراطية تعرف الفنان توماس لورانس على هذه الفاتنة .. وكانت في الحادية والعشرين وقتها عندما رسم لها هذه اللوحة التي كانت سبباً في شهرته المبكرة .. كما كانت - كذلك - عاملاً هاماً في شهرة اليزابيث .. بل وفي خلود اسمها في المتاحف ، وفي كتب الفن والتاريخ .

نجمة المجتمع في لندن (اليزابيث فارن) للرسام الانجليزى توماس لورانس (١٧٦٩ - ١٨٣٠) .. وقد أثارت هذه اللوحة اهتمام أقطاب الفن البريطانى آنذاك .



يد طويلة

قصة من المغرب : بقلم : محمد زفزاف

مهداة إلى : الجيلالي الفضيل



قالت والدتها بدون تردد :

ــ ماذا سنفعل يا ابنتى ؟ ما عليك إلا أن تتزوجيه . لا نملك شيئاً أنا وجَدَّتُك . ثم إنه ابن الجارى . والجارى هو الذى يحكم . يدخل من يشاء إلى السجن .

لم يكن يهمها الزواج من هذا أو ذاك . ولكنها كانت تخاف الزواج من ابن الجارى . فهو رجل طلق أكثر من امرأة . ورأت بنفسها كيف كان يجرهن من شعرهن ، وسط القرية أو قرب النبع ، وكيف كان يرفسهن دون أن تستطيع احداهن مقاومته ، حتى ولو كان ذلك فى مقدورها . وإذا قبلت الزواج منه فلابد أن مصيرها سيكون مثل السابقات . زوجها مات منذ ثلاثة أشهر فقط ، تحت رصاص الجنود الأسبان ، عندما كان يقوم بعملية تهريب قرب عرباوة . الآن هى وحيدة مع أمها وجدتها وطفلها الصغير . لكنها لا تستطيع أن ترفض الزواج من ابن الجارى . تصورت أن بإمكانه أن يهدم سقف البيت من فوقهن ، قبل أن يأخذهن جميعاً إلى السجن .

ذهبت عند إحدى جاراتها التى كانت متزوجة بخماس ، وهذه الأخيرة قالت لها أيضاً :

ـ ليس بمستطاعك أن تفعلي شيئاً . أنا أعرف ابن الجاري . انه جن والعياذ بالله . لا يمكن أن تقولي بأنه بشر . من أجل طفلك تزوجيه واصبري . اسحري له . اطبخي له شدق الجمل واقتليه .

ـ أنا لا أستطيع أن أقتل حتى ذبابة . ثم ان الروح عزيزة عند الله .

ـ واذن تزوجيه قبل أن يزج بك في السجن .

كلهن يخفنه . كلهم يخافونه . في الواقع : لم يكن مثل الجن ـ لأن لا أحد رأى جنياً في حياته ـ ولكنه كان مثل الماعز . ينط مثلما ينط الماعز . خفيف الحركة : عيناه يقظتان . يميل رزته فوق رأسه يميناً أو شمالا في نخوة الأسياد ـ طبعاً إذا كانت للأسياد نخوة ـ أحياناً يحلو له أن يطوح بيلغته في الفضاء : لكي يتلقفها بيده كي يعيدها إلى قدمه التي تظل معلقة . تصرفاته غريبة . إنها تصرفات ابن الجاري . هذا الذي لايكاد يرى في المداشر . ويبدو أن الجاري متزوج في كل مدشر . شيخ كبير السن . لكنه يفتعل مهابة العملاء . ولقد شوهد إلى جانب المسؤولين الفرنسيين ذوي القبعات مراراً ، في بعض الحفلات الرسمية .

عندما استمعت رقية الى زوجة الخماس أجهشت ببكاء صامت وضمت طفلها الصغير إليها ، ثم بكى الطفل نفسه : هدهدته فسكت : وان ظل يصدر أنيناً .

أضافت زوجة الخماس :

ـ ما عليك إلا أن تقبلي . ولو لم يكن في عنقك والدتك وجدتك لكنت فررت بابنك الى مكان آخر . وأنت ـ تبارك الله ! ـ صغيرة وشابة . تستطيعين أن تشتغلي في الحصاد أو جني الزيتون ، أو صنع الأواني من الطين وكل شيء . لا يمكنك أن تموتي جوعاً . فأنت امرأة حقيقية كما أعرفك .. والمرأة الحقيقية هي التي تشتغل بيديها : لا التي تنتظر زوجها حتى يعود إليها بلقمة .

ـ أنت تعرفينني . لقد كنت أفعل كل ما تقولين عندما كان المرحوم حياً . وما أزال قادرة على عمل كل شيء لولا ابن الجاري هذا .

كل النساء كن يتحدثن عن هذا الزواج . أما الرجال فلم يكن يهمهم الأمر ، لأن أي امرأة مات عنها زوجها لابد وأن تستر نفسها بزواج آخر ، حتى بأقرع أو أعور أو زحاف . ليس في ذلك أي غضاضة . فالقرية مليئة بالنساء المتزوجات بالقرع والعمى والصم والبكم والزحافين . الرجل يبقى دائماً رجلا والمرأة تبقى دائماً امرأة . والمحظوظة إذن من تتزوج ابن الجاري . والفقيه يقول لهم عندما يرى أو يعلم أن زوجاً قد أشبع زوجته رفساً : «أولا ، النصيحة الحسنة ، ثم الهجر في المضاجع ، وإذا لم ينفع كل ذلك : فعليه أن يضربها ضرباً غير مبرح ، وإذا كان رأسها متحجراً ، فما عليه إلا أن يطلقها ، واذن فإن كل الرجال لم يهتموا ككل النساء بهذا الزواج . ما كان يضربهن أو يطلقهن إلا لعيب فيهن . انه ابن الجاري ، وعليهن أن يحترمنه .

وقالت لها زوجة الخماس مرة أخرى :

ـ إذا كان مجنوناً فكوني أنت عاقلة .

ـ أخشى أن يقتلني . وأنا أريد أن أعيش من أجل ولدي . لا أخاف الموت عندما أذهب عند الله . ولكني أريد أن أعيش من أجل هذا الصبي . فهو من لحمي ودمي . إنه ابني . انظري إليه . أريده أن يصبح من رجال المخزن عندما يكبر .

ـ إذا صبرت وتزوجت ابن الجاري ، فإن ابنك عندما يكبر يمكنه أن يصبح واحداً من أهل المخزن .

ثلاثة أيام فقط مرت على إعلان ابن الجاري عن رغبته في الزواج برقية . أعلن الرغبة كنزوة . وكان بإمكانه أن يعلن الرغبة في الزواج بغيرها . لكن شيطانه هداه إليها . وطيلة الثلاثة أيام وهي لا تعرف ما تفعله بنفسها . تأكل وتشرب ولا تعرف أنها تأكل وتشرب . تتعثر . تجلس أحياناً على مجمر . معتقدة أنه مصطبة أو عتبة . تتصوره أحياناً وهو يقفز فوق النار والأشجار مثل جني . تصورته أيضاً وهو يمسك بشعرها يجرجرها في الوحل والصبي يبكي ويناديها . رأت كذلك الصبي حافياً ، غارقاً في بركة من الماء والوحل وقد تلطخ وجهه . خيالات كثيرة كانت تراودها . وسمعت أصواتاً كثيرة في كل مكان : «ما عليك إلا أن تصبري !» غير أنها لم تصبر .

استيقظت ذات صباح ندي . انسلت مع ولدها من البيت ، ومشت في حقل الزرنيخ الشائك على طرف القرية . كانت العصافير قد استيقظت ، وبعض الدواب تلوح لها في الخلاء العاري . رأت رجلا راكباً حصاناً . وذهبت لتنتظره على الطريق الطيني . الحصان يسير بخبب بطيء . وعندما وصل الرجل إلى المكان الذي تقف فيه ، جثت على الأرض أمام الحصان . رفعت عينيها الى الرجل العجوز ذي اللحية البيضاء مثل العهن المنفوش . «ياسيدي ! أردف معك هذا الصبي . أنا قادرة على المشي حتى آخر الدنيا» .

لم يقل الرجل كلمة : وانما تناول الصبي من والدته ووضعه أمامه . أمسكت بذيل الحصان الذي استأنف الخبب . أخذت تهرول وراءه حافية . قدماها ترتطمان بالأحجار وهي لا تشعر بشيء . المهم هو الفرار . وكانت تتصور ابن الجاري يقفز خلفها ، ويفعل بها ما يمكن أن يفعل بامرأة غيرها . وكان ذلك التصور يزيد من قوتها فتتشبث أكثر بذيل الحصان . وعندما تتعثر تستعيد نفسها لتلتحق به . كان العجوز أحياناً يتوقف لكن دون أن يتكلم معها . ينتظرها حتى تكف عن اللهاث . ثم يستأنف الطريق . ومع ذلك فهي لم تكن تشعر بشيء . كلما ابتعدت عن القرية كلما اعتقدت أنها ما تزال قريبة منها .

عندما بلغ الرجل سوق العوامرة سلمها الطفل ، ومضى في صمت كبير . فقط نظر في عينيها بعمق . كانت عيناه خضراوين غائرتين تحت حاجبيه الأبيضين . جلست لتستريح في مكان ظليل . أغفت ثم نامت . وعندما استيقظت . وجدت الصبي بين أحضانها يغط في نوم عميق . كان البشر أمامها يشترون ويأكلون ويبيعون ويتحدثون بأصوات مرتفعة . أحست أن قدميها لم تعودا تطاوعانها . ومع ذلك فقد تحاملت على نفسها . تأكدت من أن النقود الملفوفة في صرة ما تزال مشدودة الى حزامها . فكرت في أختها القاطنة في مدينة س ... أختها الكبرى التي غادرت القرية منذ سنوات . تزوجت وأنجبت . عندما زارتهم في الصيف الماضي اقترحت عليها وعلى زوجها الانتقال الى المدينة ، لكن المرحوم لم يكن يرغب في ذلك . اخترقت حشود الناس والدواب والدجاج : انه منتصف النهار والشمس حارقة . لكن بعض الرجال في جلاليبهم الصوفية اعتادوا على مثل تلك الحرارة . وصلت الى محطة الحافلات التي هي عبارة عن ساحة متربة . لم تكن هناك أية حافلة . الناس متجمعون أو متفرقون في الساحة . بعضهم تكوم فوق العربات التي تجرها الدواب . جلست فوق التراب وهي تحلم بمدينة س ... الطفل كأنه غير موجود . ينظر إلى العالم من حوله باندهاش . حلمت بالدار في المدينة . بالزوج الذي سوف يحنو على الطفل . رأت نفسها شغالة عند الأجانب مثل أختها الكبرى . سوف ترسل لوالدتها ولجدتها بعض الأثواب من هناك مع المعطي الذي يعمل طبالا في الأعراس . أختها كانت ترسل لهم معه حتى التحيات . استمر حلمها في انتظار الحافلة . لكن يداً أمسكتها من الخلف . صعقت . إنها يد مخزني ووراءه ابن الجاري يبتسم في استهزاء كبير . لم تصدق ما ترى . رفع الصبي عينيه الى الرجلين . أجهش بالبكاء ثم دس وجهه في صدر أمه .

الدار البيضاء ـ المغرب

الأدب الخالد لا يعرف الشيخوخة

أديبة في السبعين تفوز بجائزة الشباب

مرجريت دورا: فات زمن الحكايات المسلية!

الكاتبة الفرنسية مرجريت دورا التى نالت فى شيخوختها جائزة « جونكور » التى لا تمنح عادة إلا للشباب



المرأة هي محور كل أعمال مرجريت دورا ذات السبعين عاماً ، والتي حصلت على جائزة جونكور عام ١٩٨٤ ، التي لا تمنح عادة الا للشباب . وهي روائية ومخرجة وكاتبة مسرح وسيناريست معروفة . ترى أنه قد فات زمن الحكايات المسلية ، وتبدو الأشخاص لديها بلا أسماء والأماكن بلا هوية ، ويتبادل الناس الاشارات والكلمات الخالية من المعاني والنغمات .. فماذا عن حياة مرجريت دورا ، وماذا عن أعمالها ، وماذا تقول من خلالها ؟..

بقلم : محمود قاسم

● المرأة محور كل أعمالها

لكنها تعيش داخل دائرة الملل !

● الأشخاص بلا أسماء

والأماكن بلا هوية

والناس تتفاهم بالاشارات !

بعد أن أصبحت جائزة نوبل لا تمنح الا لجنسيات معينة ولأنظمة سياسية دون غيرها بدأ المهتمون بهذه الجوائز العالمية في البحث عن جوائز بديلة .. وفي فرنسا تمنح سنوياً مجموعة من الجوائز العالمية ذات السمعة الطيبة لعل أبرزها جائزة رينودو وجونكورد ميدتشي وفيمينا .. وفي شهر نوفمبر من كل عام يتطلع العالم الى الاكاديميات الفرنسية لمعرفة أسماء الفائزين بالجائزة ..

وجائزة جونكور التي تمنح في الغالب للشباب منحت جائزتها عام ١٩٨٤ للروائية والمخرجة وكاتبة المسرح والسيناريو المعروفة مرجريت دورا التي بلغت هذا العام السبعين من عمرها ..

وقد منحت السيدة دورا جائزة جونكور وسط ظروف مالية صعبة تواجهها الاكاديمية ، حيث تقلص المبلغ الممنوح للفائز لأول مرة في تاريخ الجائزة .. ولذا سارعت الحكومة الفرنسية بتقديم تسعة آلاف جنيه استرليني كمساعدة . وقامت الاكاديمية بدورها في تسديد قيمة الجائزة من ناحية . ودفع مرتبات أعضاء لجان التحكيم الاثنى عشر من ناحية أخرى .

فمن المعروف أن المحكمين يعدون من أبرز الأدباء الفرنسيين المعاصرين على رأسهم هيرفين بازان رئيس الاكاديمية وأرمان سالاكرو والجزائرى الأصل ايمانويل روبليس وارمان لانو وفرانسواز ماليه جوريس وروبير ساباتيه وميشيل تورنييه وفرانسوا نورسييه واندريه ستيل وجان كايرول ..

وتقدير هذه اللجنة لا يقبل المجادلة وبعيد تماماً عن الأهواء الشخصية والسياسية . ولذا يجيء قرارها مثيراً لارتياح الجميع .. وعلى الفور تقفز الرواية الفائزة الى قمة المبيعات لأشهر متتالية .. وهنا تكمن قيمة الجائزة الحقيقية ..

أشهر كاتبة فرنسية

فمن هي مرجريت دورا التي نالت الجائزة في عامها الأخير ؟

هي أشهر كاتبة في فرنسا على الاطلاق الآن فبعد أن اختفت كل من فرانسواز ساجان وسيمون دى بوفوار استطاعت أن تغزو باريس بأدبها وأفلامها . وهي صاحبة ألوان عديدة من التجريب .. فهي تلميذة وفية في مدرسة اللارواية . أخرجت أكثر من عشرة أفلام سينمائية . وكتبت السيناريو لنفس العدد من الأفلام أخرجها آخرون وكتبت المسرحية .. وفي العام الماضي أقبلت على تجربة جديدة من نوعها ، حيث أتت بكتب قديمة لها وسجلتها في شرائط قرأتها النجمة المعروفة كاترين دونوف . وبذلك أصبحت أول من ينشر كتاباً مسموعاً .

ولدت مرجريت عام ١٩١٤ في الهند الصينية حيث استقر بها المقام هناك لمدة ثمانية عشر عاماً . ودرست القانون . وبدأت علاقتها بالكتابة عام ١٩٤٢ حين نشرت روايتها الأولى « المتهورون » . اما علاقتها بالسينما فقد كتبت أول سيناريو لها عن رواية من تأليفها بعنوان « هيروشيما حبى » .. وأخرجت أول فيلم وهي في الثانية والخمسين بعنوان « الموسيقى » .

من الصعب أن نرصد عالم مرجريت الرحيب في مقال واحد . ولذا سنحاول قدر الامكان أن نتجول داخل هذا العالم ، حيث يصعب فصل أي جانب من جوانب الكاتبة عن الأخرى .. فرواياتها الأولى تتسم بأنها تضم عالماً محسوساً أقرب الى ما يسمى الآن بالرواية التقليدية . مثلما قدمت : « الحياة المطمئنة » حول حارسة باب فندق تتشاجر مع الرواد وعلاقتها الوطيدة بكانس الشارع . أما روايتها « سد على المحيط الهادىء » فتنقلنا الى الهند الصينية التي ولدت بها من خلال مدرسة تقدم بها العمر . تتسم بالعفوية وتواجه ظروفاً صعبة . فقد هرب أبناؤها بحثاً عن مكان أفضل . أما الباقون فهم يعملون في الأرض كساقية الحقل . انها قصة أمها . امرأة تحاول أن تنقذ أسرتها من مأساة بعد أن غمرتها مياه البحر : « لم أرغب أبداً . أعلن أنني انفصلت عن أمي » .

أما « بحار جبل طارق » فهناك امرأة أخرى تجوب موانىء حوض البحر المتوسط باحثة عن البحار الذى أحبته . ولا تنجح في العثور عليه ..

ومن أبرز روايات مرجريت في تلك السنوات أيضاً « خيول تركينيا الصغيرة » التي نشرتها عام ١٩٥٣ والتي تنتمي الى الرواية الجديدة . فالأماكن غير محددة والموضوع لا أهمية له .. ومع هذا فإنها لم تنغمس ابان تلك السنوات في التجريب الشديد .. ففي « هيروشيما حبى » تتكلم عن امرأة فرنسية أحبت رجلا يابانياً شهد في طفولته فظائع انفجار القنبلة الذرية فوق مدينته هيروشيما ..

وكنموذج من أدبها في تلك المرحلة تقدم روايتها « الساعة العاشرة والنصف من مساء ليلة صيف » التي قدمتها عام ١٩٦٠ . وهي مثل كل روايات الكاتبة حول امرأة تعيش داخل مشكلة شخصية تؤرقها

أشخاص بلا أسماء

وتشهد المرحلة الثانية من حياتها تجريدا واضحاً عند الكاتبة . يصبح أشخاصها بلا أسماء . والأماكن بلا هوية .. يتبادل البشر الاشارات والكلمات الخالية المعاني والنغمات . ولا يظهرون أفكارهم أو مشاعرهم . لعلهم يجهلون ــ أو يخفون ــ الأخطار التي تحدق بهم : الانفراد والاعياء والجنون وغير ذلك .

ورغم ذلك تبقى المرأة في روايتها في مكان الصدارة .. لكنها تعيش داخل دائرة من الملل . وتعى عزلتها وتقاسى من اتساع عالمها الرتيب الممل البارد . انها بلا هوية كالأماكن التي تعيش

أديبة في السبعين تفوز بجائزة الشباب

فيها وتسعى الى اكتشاف هذه الهوية .

ولاننا لا يمكن ان نفصل عالم مرجريت الروائي عن السينمائي والمسرحي فعلينا أن نتناول هذه الجوانب خاصة أن مرجريت قد قامت بطبع كل كلماتها التى أبدعتها ، سواء فى السيناريوهات أو المسرحيات والروايات . ففى بعض الأحيان كانت تخرج الرواية التى كتبتها وفى أحيان أخرى تقوم بكتابة رواية عن فيلم قامت باخراجه . وقليلة هى الأعمال التي أخرجها آخرون عن رواياتها . وقد عمل فى هذه الأفلام كل من الان رينيه وجول داسان ورينيه كليمان وتونى ريتشاردسون . وكانت تقوم بكتابة سيناريوهات هذه الأفلام بنفسها . ثم قدمت أول أفلامها « الموسيقى » عام ١٩٦٦ . وهو نفس العام الذى كتبت فيه سيناريو فيلم « الساعة العاشرة والنصف ... » لجول داسان الذى قام بنفسه بتحويل أول افلامها . فدفع لها أكثر من مائة وعشرة ملايين فرنك فرنسى « طلبت من بول سيلين أن يساعدنى . انه فيلم أحببته كثيراً . وبعده رغبت فى اخراج فيلم « اهدم » بنفس الأسلوب . تساءلت : لماذا أخاطر . طلبت مساعدة المركز القومى للسينما . ولم أكن لأخرج الفيلم لولا أن قدموا لى الأموال . ثم أعطونى عشرة ملايين أخرى كى أخرج ناتالى جرانجيه » .

والمرأة هى الشخصية الرئيسية فى هذه الأفلام . أما الرجل فدائماً على الهامش . وكلا الاثنين لا أسماء لهما ولا وجوه أو ملامح . اسماء مجهولة المنبع غير معروفة المصير . لا تتسم بأشياء مميزة . تعيش وجودها كل لحظة بلحظتها . ولعل بطلة روايتها وفيلمها « انشودة هندية » هى ابرز مثال لهذا النوع .

فنحن أمام امرأتين تسيران فى خط متواز . الأولى ثرية . والثانية تعانى من فقر مستمر . الأولى محبوبة والثانية محبة . انهما صورتان لامرأة واحدة نقابلهما فى كل مكان . أو لعلها حواء الخالدة الغامضة .

داخل سيارة !

أما « الحافلة » فتدور أحداثها داخل مقصورة سيارة كبيرة . لا يجلس فيها سوى السائق والى جواره امرأة . تسير الحافلة فى طريق مظلم طويل لا ينتهى . المرأة تتكلم والرجل يستمع . وتتصاعد حدة الموقف بين الاثنين من خلال الحوار الذى يدور فيما بينهما . شخصيات تنساب داخل شخصيات أخرى . أو رواية داخل رواية .. ثم تدخل رواية ثالثة داخل هذه الروايات .. المرأة هى احدى نساء مرجريت اللائى يبرعن فى الحديث حول حكايات متناثرة .. شهرزاد دون هوية محددة . وتجادل المرأة السائق حول أشياء عديدة قد تكون خارجة عن دائرة اهتمامه . انها أقرب الى المجانين . تكلمه عن السياسة والعنصرية والثروة . يقود وهويستمع الى صوتها . لكن المرأة ليست موجودة فى السيارة . انها ليست سوى صوت يهفو إليه من الخارج . ربما من الماضى أو المستقبل . لعل صاحبته جالسة فعلا هناك . أو لعلها تصعد من حفرة عميقة قادمة من الماضى . انه صوت مرجريت دورا نفسها . كأنها تحاول أن تسرى عن السائق فى رحلته الطويلة بالحديث حول أشياء عديدة . بعضها لا يعرفها وأشياء أخرى أيضاً . لا يعرفها .

ومرجريت شغوفة بمثل هذا العالم « الجوانى » الذى يخصها وحدها : ليست هناك حدوتة بالمعنى التقليدى . ولكن مجموعة من الصور والكلمات المتلاحقة حول عوالم غير مترابطة . ففى مسرحيتها — ثم فيلمها — « السفينة ليل » نرى عالماً يحده الحب والأمل من طرف والموت من طرف آخر . مجموعة من الناس تسير فى رحلة مع السفينة ليل . لا أسماء لهم أو عوالم محددة . تحدد هويتهم صور سريعة . أو حوار عابر . أو تعليق طويل . وفى هذه السفينة نرى ثلاثة أشخاص . هم صورة مكررة من أبطال مسرحية « الأبواب المغلقة » لسارتر . رجل وامرأتان . يدور بينهم حوار غير متتابع ولا منطق له . وقد أخرجت مرجريت هذه المسرحية بنفسها فى كل من المسرح والسينما . تقول : « انا اخرج حتى اشغل وقتى . واذا وجدت ما يمكن ان يشغلنى كففت عن الاخراج » .. ويقول روبرت كانتر فى مجلة لوبوان — ٢ ابريل ١٩٧٩ — ان السفينة ليل يوجد فيها العابرون والقباطنة والغواصون الذين يمثلون جزء من الوعى : الذى ينبثق من أعماق الظلمات حيث نسلك طريقاً لبحرنا الخاص .

ويقول جال بيير آميتى فى لوبوان — ١٠ يناير ١٩٨٣ — : « نحن لا نقرأ مرجريت دورا . نحن نسمعها . فى عملها « مرض الموت » تضع لحناً شتوياً يقوم باخضاع القارىء لبناء بطىء ورائع وحساس وقياسى » .

وهذه الرواية تدور حول رجل وامرأة . وكلمات نادرة أشبه بما نراه فى أعمالها . صور متتابعة ومتحضرة . الليل والبحار والنعاس وأسئلة بلا أجوبة . يتأمل الرجل المرأة الشابة . حل الفجر . يعرف الرجل انه ينتظر المرض الذى سيصعد به الى الموت . ولكن لاشىء يجعله يشعر بأى يأس أكثر من هذه الفاتنة الشابة .

الكلمة والصورة

واذا كانت مرجريت تميل الى استخدام تعبيرات عشوائية متلاحقة وغير مترابطة التعبير عن مشاعر وأحداث رواياتها مثل كل كتاب الرواية الجديدة ، فانها مثل زميلها ألان روب جرييه ترى ان السينما تستخدم مفردات جديدة للابداع . وان العلاقة بين الكلمة والصورة التى تجسدها لا يمكن فصلها الآن . ففى فيلم « اوريليا شتاينر » الذى أخرجته عام ١٩٧٩ تستخدم الصورة كمفرد رائع للتعبير عن فنها . فهى تخرج من الديكور المغلق الصناعى والغرف ذات البعد الواحد كى تصور مدينة باريس ونهر السين . من خلال عين امرأة تعبر النهر . تصور المدينة من وجهة نظر هذه المرأة التى تسير فوق الكبارى وبجوار النهر . توجه الكاميرا الى أى مكان يمكنها منه تصوير مشاعر النهر وأحاسيسه . الأرض . السماء . الزوارق . فتصبح الصور أقرب الى كونشير متناسق حول ذكريات امرأة ترى باريس . ومن جديد تلجأ مرجريت للتعليق على ما يمكنها رؤيته . وذلك بديلا عن صوت اوريليا شتاينر . الفتاة التى سافرت الى مدن عديدة . لكن من أين جاءت ؟ . لا أحد يعرف .. والى أين ؟ لا نعرف .

ومن باريس ترحل الى روما لتقدم فيلمها « حوار روما » الذى أخرجته عام ١٩٨٣ للتليفزيون الايطالى . هناك كاميرا نشطة تجوب المدينة النقية الغائبة كما ترى المخرجة . مدينة سكانها من الاشباح . زوارها وعشاقها ومؤرخوها ورساموها وأيام الآحاد وسياراتها وتماثيلها وظلالها .. كلها أشباح .

ورغم شهرة مرجريت دورا التى لاحقتها فى السنوات الأخيرة خاصة بعد أن نالت جائزة جونكور عن رواية « العاشقة » . الا انها تصبغ افلامها ورواياتها من أجل جمهور بعينه . وتقول انها تمارس نوعاً من القهر والضغط النفسى على مشاهدى أفلامها.وتقول أيضا : أعرف اننى أوجه أعمالى الى ثلاثين ألف شخص . وأنا أعمل من أجلهم . ولن يحرمنى هذا من امتاع الآخرين . وعلى كل حال فلا يوجد جمهور شعبى فى فرنسا مثلما يحدث فى العالم بأسره . فالكل سوف يفهم . من العمال حتى رجال الفكر . ولن توجد الطلائع . لكن فقط أناس يخلصون لتجاربهم ..

فمرجريت لم تقع تحت اغراء وجاذبية وسائل الاعلام . وترى انه قد فات زمن الحكايات المسلية وأصبحنا فى زمن الحواس المتقدة التى لا تحتاج الى تفسير قدر المعايشة . واذا كان النقاد قد وضعوها فى مصاف كبار المبدعين . فانهم قد حاروا فى وصف عالمها الفنى . لأنه قد انتهى زمن التسميات الأدبية التى اعتاد النقاد تسمية الابداعات بها .. ومن هنا يتضح الى أى حد تصبغ مرجريت وزملاؤها عوالمهم الفنية بأحاسيسهم ورؤيتهم الخاصة بهم .

محمود قاسم

رسـالة إلى المحـرر

حول طه حسين الإنسان والشاعر



في الذكرى الثانية لوفاة عميد الأدب العربي

طه حسين كما عرفته

د. محمد الدسوقي

صورة زنكوغرافية للصفحة الأولى من مقال الدكتور محمد الدسوقي عن د. طه حسين، الذى نقله ونسبه الى نفسه الدكتور نبيل سليم!

عزيزي رئيس التحرير

تحية طيبة :

وبعد فقد قرأت في عدد ديسمبر من الدوحة الغراء مقالا تحت عنوان «طه حسين الانسان والشاعر» بقلم الدكتور نبيل سليم، وقد راعني أن كاتب المقال نقل مقالا لي كنت قد نشرته في صحيفة الأسبوع الثقافي التي كانت تصدر في طرابلس بليبيا في الذكرى الثانية لوفاة عميد الأدب العربي سنة ١٩٧٥، لقد نقل المقال حرفياً في النصف الأول من المقال المنشور في الدوحة، وقد بعثت اليكم مع هذه الرسالة بصورة للمقال الذى سطا عليه الدكتور نبيل ونسبه إلى نفسه.

إنها مأساة فكرية أن ينقل كاتب يحمل درجة الدكتوراه مقالا بنصه وفصه دون أن يشير إلى المصدر الذى أخذ منه، وقد خان التوفيق الدكتور نبيل، لأنه ذكر أنه لقي العميد قبل وفاته بخمس سنوات ثم أورد في ثنايا كلمته أن العميد حدثه يوم حصوله على قلادة النيل بعد أن قرأ له خبر منحه هذه القلادة .. ولم يكن الدكتور الفاضل قارئاً للعميد. وكان منح هذا الوسام في عام ١٩٦٥، أي قبل وفاة العميد بنحو ثماني سنوات : وفي صدر مقال الدكتور نبيل ذكر أنه لقي طه حسين قبل وفاته بخمس سنوات.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

دكتور محمد الدسوقي

* تـــعـقـيـب *

كانت الدوحة قد نشرت مقال «طه حسين الانسان والشاعر» بقلم الدكتور نبيل سليم في عددها الصادر في ديسمبر سنة ١٩٨٤، ولم يخطر على بال الدوحة، ولا أي فرد من هيئة تحريرها، أن أستاذاً يحمل درجة الدكتوراه، ويعمل في ثاني أكبر جامعة في الوطن العربي وهي جامعة الاسكندرية، يمكن أن يقع في هذا الخطأ الفادح، فينقل مقالا بنصه لكاتب آخر وينسبه إلى نفسه ويرسله إلى مجلة «الدوحة» التي وثقت به، وتبنت انتاجه، وتصورت أنه يحترم المجلة التي يكتب فيها، والجامعة التي ينتسب إليها، والدرجة العلمية التي يحملها، والقارىء العربي الذى لم يعد غافلا عما يقرأ، ولكن الدكتور نبيل سليم علي، المدرس بجامعة الاسكندرية كما يقول عن نفسه وقع في كل هذه الخطايا مرة واحدة.

ولم يكن باستطاعتنا أن نكتشف هذا الحادث الأدبي الأليم، لأننا لا نضع أمامنا كل المجلات والصحف التي تصدر في العالم العربي منذ عشر سنوات أو عشرين سنة، ولا نعين «مخبرين» ليتجسسوا على الكتاب ويعرفوا ماذا يخفون وراء ما يكتبون ولأننا لم نكن نتصور أن يتخلى أستاذ كبير في جامعة محترمة عن مسئوليته بهذه الصورة المؤلمة. ولا نملك إلا أن نعتذر للدكتور محمد الدسوقي، وهو أديب وعالم فاضل نثق به ونحترمه، لأننا نعرف عن يقين أنه كان يعمل سكرتيراً للدكتور طه حسين خلال السنوات الأخيرة من حياته، بعد أن تركه سكرتيره القديم الأستاذ فريد شحاته، ولأن الدكتور الدسوقي له انتاج مطبوع ومنشور على الناس، وهو انتاج لقي الترحيب والتقدير، ولم يحط به شك أدبي من أي لون.

ونود أن نشير هنا إلى أنه قد وصلنا بحث مطول دقيق من الأديب الفاضل منذر الأسعد المحرر بمجلة اليمامة السعودية يكشف فيه أيضاً عن خطيئة الدكتور نبيل سليم علي، ونعتذر عن نشر هذا البحث المطول اكتفاء بنشر رسالة الدكتور محمد الدسوقي التي كشفت المستور من أمر المقال الذى نسبه الدكتور نبيل إلى نفسه.

وأخيراً فإن الصحافة الأدبية لا تستطيع أن تقوم برسالتها الحقيقية ما لم يكن هناك كاتب صاحب ضمير، وقارىء صاحب وعي، ومجتمع ثقافي يرفض التزوير ويعاقب عليه بطرد الدخلاء من عالم الفكر وكشف الأقنعة عن الذين يعبثون بمسئولية القلم وأمانة التعبير.

رئيس التحرير.

لويس ماسينيون:
كان محباً للعرب والمسلمين ولم يكن جاسوساً

بقلم: الدكتور علي عبد المعطي محمد

طالعتنا مجلة الدوحة الغراء في عددها رقم ١٠٨ الصادر في ديسمبر ١٩٨٤ بمقال عن ذكرى المستشرق لويس ماسينيون (١٨٨٣ - ١٩٦٢). ولما كان محتوى المقال ينطوي على كثير من الآراء والتلميحات التي تخفي وراءها التشكيك في سيرة هذا المستشرق العظيم وآثاره التي لا تحصى على الحركة الفكرية في الإسلام بصفة عامة، لهذا رجعت إلى المعلومات التى أوردها هنا على لسان الدكتور محمد على أبو ريان رئيس قسم الفلسفة بجامعة الأسكندرية وعميد كلية الآداب بجامعة بيروت سابقاً، ومدير مركز التراث القومي والمخطوطات بالأسكندرية حاليا؛ وذلك لأن أستاذنا كان وثيق الصلة بماسينيون في الخمسينات وحصل تحت إشرافه على دكتوراه الدولة من السوربون بمرتبة ممتاز، ولعلكم تسلمون معي بأن أستاذنا وكان أقرب الناس في هذه الفترة إلى ماسينيون يستطيع أن يلقي ضوءا على حياة الرجل في أخريات أيامه، وهو - أي الأستاذ الدكتور أبو ريان - آخر تلامذته في الوطن العربي.

وقد أشار كاتب المقال إلى أن الدكتور عبد الرحمن بدوي والدكتور التفتازاني تابعا محاضرات ماسينيون في الجامعة الأهلية في مصر؛ فكيف يستقيم هذا مع تاريخ الجامعة المصرية الرسمية وبدايتها في العشرينات تقريباً. ومن المعروف أن الدكتور عبد الرحمن بدوي تخرج في الجامعة في أواخر الثلاثينات، وتخرج الدكتور التفتازاني حوالي سنة ٥٥. وفي هاتين الفترتين لم يكن ماسينيون يدرس في الجامعة المصرية بل كان يأتي إلى مصر لحضور اجتماعات مجمع اللغة العربية الذي كان هو عضواً فيه. وبالتالي لم يتتلمذ عليه أحد مباشرة من الأستاذين الجليلين مع علو منزلتهما في الدراسات الإسلامية؛ وهذا لايمنع من التقاء الدكتور عبد الرحمن بدوي بماسينيون في كل سنة يسافر فيها إلى باريس. والحقيقة أن كلا من الدكتور عبد الرحمن بدوي والدكتور التفتازاني قد حصلا على رسالة الدكتوراه من جامعة القاهرة.

أما عن علاقته ببول كراوسي واشتراكه معه في اصدار كتاب «أخبار الحلاج» فلم تكن هذه العلاقة علاقة الند للند، إذ كان بول كراوسي تلميذاً لماسينيون، وقد أطلع ماسينيون نفسه أستاذنا الدكتور أبو ريان على كتاب «اثولوجيا ارسطوطاليس» ومسطر على هامشه الأجزاء المقابلة للنص العربي من تاسوعات أفلوطين، ونأسف أن نقول إن أحد الباحثين العرب قد استعار منه هذه النسخة كما ذكر لي ماسينيون ونقل هذا البحث المقارن ونشره باسمه كما يحدث دائماً في نطاق الدراسات الإسلامية.

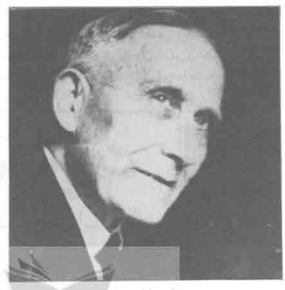
أما صلته بالعالم العربي وارتباطه بالعروبة والإسلام وتجرده للدفاع عن الحقيقة ومناداته بوحدة الأديان ومناقشته لفكرة الإسلام والصهيونية، فهذه مسائل نوجز الرد عليها فيما يلي:

يمكن تقسيم حياة ماسينيون (كما ذكر لي أستاذنا الجليل) إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة طلب العلم وقد ذكر لي أستاذنا الجليل أن ماسينيون قد تعلم العربية في بغداد على يد الزهاوي والرصافي وغيرهما من أساطين اللغة والأدب في بغداد وكان يحضر إلى المسجد الكبير لكي يتعلم الفقه والتفسير والحديث والأصول ثم جاء إلى مصر بعد ذلك وجاور الأزهر لتجويد هذه الدراسات.

هذه إذن هي مرحلة الطلب الأولى ولم يكن فيها مرسلا للتجسس أو لغيره في هذه البلاد العربية. وتأتي المرحلة التالية بعد ذلك وهي التي كان فيها ضابطاً في الجيش الفرنسي حينما اندحرت فرنسا على يد الألمان في الحرب العالمية الأولى وكان عليه أن يوظف معلوماته عن البلاد العربية لخدمة الحلفاء، وهذا أمر طبيعي لكل مواطن تشتبك بلاده في حرب مع الأعداء، وكان ماسينيون يشعر في هذه المرحلة كما قال لأستاذنا بميل شديد إلى حركات الاستقلال العربية والإسلامية في منطقة الشرق الأوسط، ولهذا كان يرى أن هزيمة تركيا واندحارها سيعطي الفرصة لهذه البلاد لكي تتحرر من نير الخلافة العثمانية، وقد صدق قوله - إلا أن عتاة النزعة الاستعمارية في فرنسا وانجلترا تمسكوا باحتلال ميراث أو تركة الرجل المريض أي الدولة العثمانية.

وظل ماسينيون يدعو لنهضة العرب بعد



لويس ماسينيون

ذلك ، وقد شعر بضيق شديد كما يروي أستاذنا حينما قام الصراع في الجزائر وواجهت فرنسا الثوار الجزائريين بجيشها اللجب المدجج بكل أسلحة الدمار الجوية والبحرية والبرية ، وتعاطف ماسينيون مع الجزائريين ، وعبر عن رأيه في استقلال الجزائر في منشورات صريحة ، جعلت موقفه صعبا ومتهما أمام الحكومة الفرنسية حينذاك . ويلاحظ أن ماسينيون في هذه المرحلة الأخيرة من حياته كان متعاطفاً مع كل البلاد العربية في حركاتها الاستقلالية .

وقد ذكر أستاذنا الدكتور أبوريان كيف أن ماسينيون اصطحبه إلى جمعية العلماء بباريس لالقاء محاضرة عن الثورة الجزائرية وضرورة استقلال الجزائر ومنح الشمال الأفريقي بعامة حقوقه في الحرية والاستقلال لكي يتماشى كفاح العرب في المغرب مع كفاحهم في المشرق ، وسرعان ماحاصرت المكان فرقة من البوليس الفرنسي كانت تدربها أمريكا لمكافحة المظاهرات وكان هذا العمل الوحشي يحدث لأول مرة في تاريخ فرنسا . إذ أن البوليس الفرنسي قد اقتحم القاعة وقبض على معظم الجزائريين ومن بينهم أستاذنا وكذلك زعيم الطلبة الجزائريين في باريس وزعيم الطلبة التونسيين في باريس حينذاك وهو رئيس وزراء تونس السابق (المصمودي) فبسط ماسينيون ذراعيه وقال لن تقربوا هؤلاء إلا على جثتي وتقدم معهم ليمر بين صفين من البوليس .

ويذكر أستاذنا أنه حينما ألقي القبض عليه في منزله بباريس بتهمة حيازة منشورات خاصة بجمع التبرعات للثورة الجزائرية تدخل ماسينيون لدى وكيل الوزارة الدائم للتعليم العالي في فرنسا حينذاك وكان يهودياً ، وأفهمه أنه يجب إطلاق سراح أستاذنا ـ وتلميذ ماسينيون في ذلك الوقت ـ وضمنه حتى انتهى من رسالته للدكتوراه .

وقد قبل ماسينيون أن يرأس جمعيات كثيرة للمدافعين عن حقوق الإنسان العربي والاسلامي ولاسيما في المغرب العربي الكبير .

أما عن محاضراته التي ألقاها سنة ١٩٤٨ عن الإسلام والصهيونية فهي تدافع في مجملها عن حق العرب في فلسطين في مواجهة الدعاوى الصهيونية . ولكنه يظهر فيها صبغته المسيحية فيشير إلى أن العرب منهم المسلمون ومنهم المسيحيون ، وتقف وراء العرب المسلمين دول عربية واسلامية كثيرة تتبنى عودة الفلسطينيين إلى أرض الوطن . وتبقى مساندة الطرف المسيحي العالمي للطرف العربي المسيحي في هذه القضية لأن القدس بلد مقدس لدى المسيحيين جميعاً . وبذلك يكون للمسيحيين العرب منهم وغير العرب حق الدخول كطرف من أطراف النزاع . وهذا يعد في صالح العرب والمسلمين على السواء .

أما ماورد في حوليات ماسينيون عن العالم الإسلامي والعربي من معلومات دقيقة يجوز أنه أفاد بها بلاده . لكنها تدل على أن الرجل كان يتميز بالدقة في أبحاثه وفي دراساته سواء ماكان منها جغرافياً أو سكانياً أو روحياً أو فلسفياً .

ومن أعماله البارزة أنه أول من وضع خريطة روحية لانتشار المسيحية في العالم واستخدم علم الجغرافيا في توزيع النحل المسيحية على المعمور من الأرض . وقد سار أستاذنا (الدكتور أبوريان) على هذا النهج فوضع خريطة روحية لانتشار الإسلام .

والأمر الذي يدل على عدم تعصب لويس ماسينيون أنه حينما جاء المستشرق اليهودي بينيس صاحب كتاب «الذرة عند المسلمين» وقابله في باريس عام ١٩٥٤ (وهذا الأستاذ هو أستاذ الفلسفة الإسلامية بالجامعة العبرية بالقدس) أراد مقابلة أستاذنا في باريس حينما علم أنه يدرس تحت اشراف ماسينيون ، ولكن أستاذنا رفض مقابلة هذا المستشرق اليهودي وواجه ماسينيون قائلا إن العرب جميعاً أمام ايديولوجية صهيونية تسترق شعوبهم وتحتل ديارهم بدون مبرر ، واليهود جميعا سواء من كان منهم مدافعا عن الصهيونية أو صامتا يتفقون في تحمل جريمة الغزو الغادر للوطن العربي . فما كان من ماسينيون إلا أن احترم هذا الرأي وقال إنه لن يناقش الأستاذ القادم من اسرائيل في مسائل سياسية ولكنه سيتحادث معه في آخر انتاجه الفلسفي . وكان عن أبي البركات البغداده الذي جعل منه بينيس فيلسوفا يهوديا يسخر من العرب والمسلمين .

وقد تصدى أستاذنا لهذا الرأي وعارضه بشدة ورسم صورة مشرقة جديدة لهذا المفكر الإسلامي الكبير صاحب أكبر عقلية نقدية في الإسلام تعلو على ابن سينا وابن رشد وغيرهما من فلاسفة الإسلام وأبان عن شدة تمسكه بالإسلام ولا غرو فهو تلميذ أبي المعالي الجويني إمام الحرمين والذي أشاد به الغزالي في كتاباته . فكان هذا هو الرد على طلب المقابلة الذي وجهه بينيس إلى أستاذنا .

وأختم كلمتي بالإشارة إلى اعتذار أستاذنا الدكتور أبوريان عن عدم الإدلاء برايه أو الإسهام في ذكرى ماسينيون بالقاهرة ـ رغم أنه تلميذه الوحيد الموجود في مصر على قيد الحياة والذي يمكنه التحدث عنه ـ فقد كان أستاذنا غائبا عن مصر أثناء انعقاد هذا الاحتفال . فأرجو تصحيح ذكرى المستشرق الكبير ماسينيون حتى تتضح للعالم العربي والإسلامي مكانة وصورة هذا الرجل الذي أخلص في مرحلته الأخيرة من حياته على الأقل للعروبة وللعالم الإسلامي .

« حلمى سالم » شاعر عربى شاب ، وهو أحد القلائل الذين استطاعوا أن يتميزوا بصوتهم الفنى بين جمهرة غفيرة من شعراء السبعينيات فى مصر ، وينتمى « حلمى » إلى مجموعة شعراء « إضاءة ٧٧ » ، تلك المجلة التى رفعت لواء التجديد فى الإبداع الشعرى العربى فى مصر ، ثم تلتها مجلات وجماعات أخرى مثل جماعة « أصوات » وجماعة « كتابات » وغيرهما من تجمعات شابة عبرت عن نفسها من خلال إصدارات خاصة .

شاهد على حصار بيروت

إيجابيات المقاومة الثقافية وسلبيّاتها في دراسة مثيرة

بقلم : حســن طــلــب

كتاب الشاعر حلمى سالم الذى نعرض له ، ليس ديوان شعر جديد ، وانما خلاصة تجربة الشاعر حول حركة المقاومة التى عاشها المثقفون الفلسطينيون واللبنانيون الوطنيون وغيرهم من المثقفين العرب خلال الحصار الاسرائيلي لبيروت في صيف ١٩٨٢ . وقد سجل الشاعر حلمى سالم هذه التجربة فى دراسة نشرتها دار (شهدى) بالقاهرة فى يناير ١٩٨٤ تحت عنوان : (الثقافة تحت الحصار) ، لتكون هي الدراسة الأولى التى ينشرها الشاعر حلمي ، بعد أن صدرت له من قبل خمسة دواوين ، أولها : (الغربة والانتظار) عام ١٩٧٢ ، وهو ديوان مشترك ، وثانيها : (حبيبتى مزروعة فى دماء الأرض) عام ١٩٧٣ ، وثالثها : (دهاليزى) عام ١٩٧٨ ، ورابعها : (سكندريا يكون الألم) عام ١٩٨١ ، وخامسها : (الأبيض المتوسط) عام ١٩٨٤ .

وحين يكتب الشاعر عن حركة المقاومة الثقافية الوطنية فى وجه العدو الاسرائيلي الغازى ، فنحن نتوقع أن يكتب ، لا من منطلق الرصد الخارجى والتحليل الموضوعي الدقيق . بل من منطلق الخبرة الذاتية والتجربة الحميمة الحية ، فقد كان الشاعر واحداً من هؤلاء المثقفين المحاصرين ، وكان له دوره بين صفوف زملائه من المثقفين العرب المحاصرين ، فعانى ما عانوه وخبر ما خبروه وقاتل معهم بسلاح الكلمة . ومن هنا كان البعد الذاتى بعداً أساسياً فى كتابته عن هذه التجربة ، ويعترف هو بذلك فيقول فى مقدمة كتابه (ص ٩) :

.. (هذه الصفحات القادمة ، لا تزعم لنفسها أنها تاريخاً ، ولا تزعم لنفسها أنها تقدم تحليلاً ، ولا تزعم لنفسها أنها تقدم قصصاً من قصص البطولة والفداء . إنها فحسب بعض صورة : فيها من التاريخ لمحة يسيرة ، وفيها من التحليل لمحة يسيرة ، وفيها من قصص البطولة والفداء لمحات يسيرة . وفيها من ميل الرصد الذاتى لمحات ، فرضتها طبيعة المادة الماثلة من زاوية ، وفرضتها رغبة الابتعاد عن جفاف الرصد « المحض » من زاوية ثانية) .

* * *

ونحن فى كتاب هام بحكم موضوعه كهذا الكتاب ، لا يهمنا كثيراً أن نتوقف عند لمحات الرصد الذاتي التى لجأ إليها الشاعر مراراً فى ثنايا الحديث ، وإنما يهمنا أكثر أن نتوقف عند العناصر الموضوعية الأخرى التى عولجت من خلالها مادة الكتاب ، وهي تلك العناصر التى يسميها الشاعر : لمحات من التأريخ والتحليل ومن قصص البطولة والفداء .

وبطبيعة الحال ، فإن هناك صعوبة منهجية ستواجهنا عند محاولة تجريد هذه العناصر الموضوعية عما يشوبها من رصد ذاتى ، فليس هناك خط فاصل محدد بين ما هو موضوعى وما هو ذاتى فى هذا الكتاب ، ولكننا مع وجود مثل هذه الصعوبة ، نستطيع أن نستخلص نماذج من التأريخ ، ومن التحليل ، ومن قصص البطولة والفداء ، وكلها نماذج تشهد بما لهذه الدراسة من قيمة موضوعية حقيقية ، تضاف إلى قيمة الجدية وقيمة التجربة الحية ، اللتين تميزت بهما هذه الدراسة .

الجانب التاريخى

أشار الشاعر بتواضع إلى أن فى هذه الدراسة لمحات من التأريخ ، والحق أن ما فيها من التأريخ يربو على مجرد اللمحة تلو اللمحة ، فقد أقام الشاعر دراسته على وعى تاريخى جعله يبدأ كما يفعل المؤرخون باستعراض المقدمات الضرورية للموضوع ، والمقدمات الضرورية لموضوع (حركة المقاومة الثقافية فى بيروت المحاصرة) تكمن بلاشك ، فى الوضع الثقافى الذى كان سائداً فى بيروت قبل الغزو الاسرائيلى ، أى قبل الحصار . والشاعر يوجز لنا هذا الوضع بقوله :

(لقد شهدت الساحة الثقافية — الوطنية الديمقراطية — في بيروت قبل ٤ حزيران ، انقساماً كبيراً بين معسكرين ، كلاهما مثالى موغل فى مفارقته النظرية والواقعية . الأول لا يرى أى دور يمكن للكلمة أن تنهض به فى ساحة الصراع ، فالكلمة للبندقية وحسب ، ولا مجال هناك للسفسطة والتقعر والتنظير والأشعار ، يكتبها منظرون وشعراء على مكاتبهم المريحة ، فلتصمت كل الكلمات . والثاني يرى أن الواقع الآن يحتاج قبل إعمال البندقية ، إلى إعمال الفكر والرؤية السياسية والاستراتيجية ، بما يوجب إعادة النظر فى الأصول ، أو ما سمى الأصول . فلتصمت البندقية ، حتى تحدد لها الكلمة مسارها

وهدفها ، وعدوها الرئيسى والثانوي) .

ويبين لنا الشاعر كيف أن ضجيج المتحاربين من كلا هذين المعسكرين المتطرفين . علا على صوت العقلاء ممن كانوا يدركون مقدار ما ينطوى عليه موقف كل معسكر من تطرف جامح وعدمية مدمرة .

والجانب التاريخي في هذه الدراسة لا يقتصر على مجرد استعراض مقدمات الحدث واستخلاص نتائجه . وانما يمضى إلى أعمق من ذلك . حين يعى أن مثل هذا الحدث ليس مجرد لحظة زمانية منعزلة عن سياقها العام ، سواء كان هذا السياق عربياً . فتصبح هذه اللحظة واحدة من المواجهات الحية بين الثقافة العربية والغزو الأمريكى الصهيوني . أو كان سياقاً إنسانياً . فتصبح حركة المقاومة الثقافية فى بيروت العربية المحاصرة ، مناظرة لمثيلاتها من حركات فى التاريخ الإنساني ، وأقربها إلى الوعى المعاصر ، ما تم فى حصار باريس أيام النازية .

وفى نفس الوقت ، فإن الشاعر يعتمد فى تفسير صمود المثقفين الفلسطينيين والعرب المحاصرين فى بيروت ، على بعض الرؤى والنظريات التاريخية المشهورة ، خاصة نظرية (التحدى والاستجابة) التى طرحها المفكر التاريخى الكبير « ارنولد توينبى »وفسر على ضوئها قيام الحضارات البشرية الكبرى ، والشاعر حلمى سالم ، فى اعتماده على هذه النظرية ، ولو بشكل غير مباشر ، إنما يضع يده على التفسير التاريخى المقنع والمقبول ، لما حدث على الساحة الثقافية فى بيروت المحاصرة . حيث اتحد الفرقاء فجأة ، وتجاوزوا ما بينهم من خلاف فى الرأى والرؤية ، وأصبحوا جميعاً يداً واحداً ، أو قل جسماً واحداً ، يمسك فى يد بالقلم ، وفى الأخرى بالبندقية ، ولم يكن الكثير من صور البطولة والفداء ، والكثير من الابداعات الثقافية فى شتى المجالات ، سوى مجرد جانب من الاستجابة التلقائية للتحدى الصهيوني الأمريكى الذى تجسد فى الغزو العسكرى الاسرائيلي ، المدعوم بشتى الأسلحة الأمريكية .

وبعد .. فليس هذا هو كل ما يمثل الجانب التاريخى فى دراسة الشاعر « حلمى سالم » ، إذ ليس بوسعنا أن نغفل قيمة المعلومات التاريخية التوثيقية الهامة التى احتوتها الدراسة ، عن الجرائد والنشرات التى صدرت فى أثناء الحصار ، وأهمها جريدة (المعركة) ، التى صدر عددها الأول فى اليوم العشرين من الغزو الصهيونى وظلت تصدر يومياً طوال فترة الحصار حتى أكملت ستين عدداً ، وتستمد هذه الجريدة قيمتها الكبرى من كونها تجسيداً (لنموذج حي من نماذج صحافة الحرب التى تنبثق تلبية لاحتياج ميداني قتالى : احتياج سياسي ونفسى وثقافي وحربى ؛ فلعلها المرة الأولى ــ فيما اعلم ــ التى تنشأ فيها صحيفة يومية فى ظل معركة مع العدو الصهيوني على مدى سنوات الصراع العربي الاسرائيلي ، وتظل مستمرة على مدى ستين يوماً ، حتى لحظة خروج آخر فوج من أفواج المقاتلين الفلسطينيين) ، ص ٤٩ من الدراسة .

ومن المعلومات الوثائقية الهامة الأخرى ، ما يمدنا به الشاعر من حقائق حول مساهمات المثقفين الابداعية خلال الحصار ، وحول من قاتل منهم بالبندقية ومن جمع بين الكلمة والبندقية ، وحول من أصر على البقاء ورفض فكرة الخروج من الحصار رفضاً قاطعاً على نحو ما فعل الشاعر العراقى الكبير « سعدى يوسف » ، الذى كان من أغزر المثقفين المحاصرين إنتاجاً خلال الحصار ، حيث تنوع إنتاجه بين (الكلمة النثرية : المقالة أو التعليق ، والقصيدة الشعرية الكاملة ، والمقطوعة الشعرية الصغيرة) ص ٨٨ ــ ، وكذلك حول من اخترق الحصار دخولا إلى بيروت كما فعل الشاعر الفلسطيني الراحل « معين بسيسو » والصحفية الفلسطينية « سلوى العمد » ، إلى غير ذلك من حقائق ومعلومات كان الشاعر شاهد عيان لها .

الجانب التحليلى

هذا عن أهم ملامح القيمة التاريخية لهذه الدراسة ، وعملية التأريخ ليست مجرد تسجيل حيادى للأحداث والوقائع ، بل هى عملية مركبة من حيث أنها تنطوى على عملية التحليل والتنظيم والتقييم ، وفى الدراسة كثير من هذه العناصر ، فقد حاول الشاعر أن ينظم مادته ، ويحللها ، ويقيمها ، فى الأحيان التى استطاع فيها أن يتخلص من إسار الرصد الذاتى .

فمن حيث تنظيم المادة ، نجد أنه يميز بين نشاط المثقفين حسب كل نوع أدبي أو فنى ، فيتحدث عن الشعراء (سعدى يوسف ــ معين بسيسو ــ محمود درويش ــ عز الدين المناصرة .. الخ) كما يتحدث عن الكتاب (د . حسين مروة ــ أحمد أبو سعد ــ عبد القادر ياسين ــ غالب هلسا .. الخ) ، والرسامين (عبد المنعم القصاص ــ ناجى العلى ــ حسيب الجاسم ــ حسنى رضوان ــ عبد الحى مسلم ــ عماد حليم) والصحفيين (عبد الرحمن بسيسو ــ عمر سعادة ــ سلوى العمد .. الخ) والمغنين (عدلى فخرى ــ جمال الحاق ــ حمد الحاق) والإذاعيين (نبيل عمرو ــ حسن عصفور ــ شوقى بزيع .. الخ) ، وغيرهم وغيرهم ، وقد ساعد هذا التنظيم على سهولة حصر المادة وتصنيفها ، خاصة أنه نجح فى أن يتجنب صرامة التقسيم المدرسى وجفافه .

والشاعر لم يقتصر على مجرد تنظيم مادته وتصنيفها ، بل إنه كان يعمد بين الحين والحين إلى تحليلها ، فعندما اجتمع الأدباء والكتاب الفلسطينيون والعرب وأصدروا بياناً هاماً حول ما ينبغى عمله ، عكف الشاعر على هذا البيان مفسراً ومحللا ، وكاشفاً عن الدلالات الثقافية والسياسية والقومية التى انطوى عليها ، ويتكرر ذلك فى مناسبات غير قليلة بين صفحات الدراسة ، بل إن الشاعر أبى إلا أن يختتم دراسته بفقرة مطولة يحاول فيها أن يحلل نتائج الدراسة ويقيمها ، واضعاً يده على كل من سلبيات وإيجابيات حركة المقاومة الثقافية ضد الغزو الاسرائيلي ، كما تبدت له من خلال مشاركته فى هذه الحركة ورصده لوقائعها .

حقاً لقد كانت جملة الزعيم الفلسطيني « ياسر عرفات » القائلة : (سنجعل من بيروت ستالينجراد ثانية) ، بمثابة البوصلة الوجدانية والثقافية للمحاصرين فى بيروت على نحو ما يعبر صاحب الدراسة (ص ١٦٦) ، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود بعض السلبيات فى حركة المقاومة الثقافية ، منها على ما يرى الشاعر :

- الاسترسال فى الحماسة الوطنية إلى حد الانزلاق إلى الشطط الجامح فى التقييم السياسى .
- الانحراف فى الحنق والغيظ تجاه الحركة الجماهيرية العربية ، وما رافق ذلك من تحقير للحركة الثقافية العربية ، و (معايرة) للمثقفين العرب غير المحاصرين والتباهى عليهم .
- الانزلاق أحياناً ، إلى حالة من التنابذ بين بعض المثقفين وبعضهم الآخر ، وما رافق هذا التنابذ من إقامة مشانق ومحاكمات فى قلب الميدان .
- الوقوع أحياناً ، تحت تأثير دعوى تمجيد البندقية وتجميد الكلمة .

* * *

ومع ذلك ، ورغم كل تلك السلبيات ، فقد كان لحركة المقاومة الثقافية تحت الحصار إيجابيات عظمى ، يأتى على رأسها توحيد الفصائل الفلسطينية ، ووضع الشعار الفلسطيني التقليدى (بالدم نكتب فلسطين) تحت المحك الميدانى ، وفى الكتاب قصص متنوعة من قصص البطولة الفلسطينية ، كان أبطالها من الشعراء والأدباء ، ولعل أبرز هذه القصص وأكثرها دلالة ، هى قصة الشاعر الفلسطيني الشاب الشهيد « علي فودة » ، الذى استشهد وهو يوزع جريدته اليومية (رصيف ٨١) على الجنود فى خنادقهم .

وبعد كل هذا التأريخ والتحليل والتقييم ، فإن ما يبقى من جوانب الرصد الذاتى فى الكتاب ، لا يشكل عبئاً على الإطلاق ، بل لعله يثرى الدراسة ويغنى جوانبها التحليلية الموضوعية حين يضيف إليها خبرة المشارك وتجربة شاهد العيان .

الصحافة القطرية والقضايا العربية



عرض وتقديم : الدكتور أحمد زكريا الشلق

يقع هذا الكتاب الذى أصدرته وحدة بحوث التاريخ والوثائق بمركز الوثائق والدراسات الانسانية بجامعة قطر ، عام ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م ، فى ١٥٨ صفحة تضم مقدمة وفصولا أربعة تحتوى دراسات أربع هى على التوالى : نشأة الصحافة القطرية للدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، القومية والوحدة العربية للدكتور عاصم الدسوقى ، أمن الخليج وقضاياه للدكتور عبد الخالق لاشين ، ثم القضية الفلسطينية للدكتور عادل غنيم ، وأخيراً يضم الكتاب قائمة بمصادر الدراسات .

والكتاب فى الواقع جزء من عمل علمى أكبر سيتتبع كافة القضايا العربية فى الصحافة العربية بالخليج ، تنوى وحدة التاريخ إصداره تباعاً . والصحافة القطرية ، على عكس ما قد يبدو ، تعتبر ، رغم حداثتها النسبية ، غنية بالمادة العلمية التى لا غنى عنها للمهتمين بمنطقة الخليج تاريخياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً . ويتوقف الكتاب زمنياً عند أوائل عام ١٩٨١ وهو عام انشاء مجلس التعاون بين دول الخليج العربية ، على اعتبار أن هذا التاريخ يمثل حقبة جديدة فى تاريخ المنطقة بشكل عام وقطر بشكل خاص .

نشأة الصحافة القطرية

أما البحث الأول «نشأة الصحافة القطرية» الذى كتبه الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، فيبدأ بمدخل موجز عام ١٩٢٩ ، ثم يتتبع الباحث هذا التطور فى دولة قطر ، بدءاً بالتعليم الأهلى ، حين انشئت المدرسة الأميرية عام ١٩١٣ ، ثم مدرسة الاصلاح الحميدية .. وحتى انشاء أول مدرسة نظامية فى قطر عام ١٩٥١ ، وانشاء أول مدرسة للبنات عام ١٩٥٤ ، وتتويج ذلك كله بإنشاء وزارة التربية والتعليم عام ١٩٥٦ ، والتى كان أمير البلاد الحالى أول وزير لها . ويشير الباحث إلى أن هذه النهضة التعليمية قد مهدت بطبيعة الحال لظهور وعى صحفى ، دفع المهتمين به للحصول على امتياز بانشاء دور للطباعة والنشر ، كمؤسسة دار العلوم ومطبعة قطر الوطنية ودار العروبة .. الخ . وحتى ظهور أول مطبوعة صحفية عام ١٩٦١ تلك التى أصدرتها شركة نفط قطر ، وما تلاها خلال عقد الستينات من تزايد الاهتمام بايجاد صحافة قطرية ، اعلامية وثقافية ، وذلك بفضل جهود وزارة الاعلام .

ثم ينتقل الكاتب إلى الحديث عن مجلة «الدوحة» التى أصدرتها وزارة الاعلام القطرية عام ١٩٦٩ ويقرر أن هدفها فى البداية كان اعلامياً محضاً واستمر ذلك حتى عام ١٩٧٥ ، حيث بدأت المجلة ترتدى ثوباً ثقافياً ، عربياً وانسانياً ، حين خرجت «مجلة شهرية ثقافية جامعة ، ملتقى للابداع العربى والثقافة الانسانية» كما هو واضح بحق من خلال شعارها وصفحاتها .

ويستعرض المؤلف أهم المجالات التى اهتمت بها المجلة ، وتتمثل فى القضايا العربية المعاصرة ، والاهتمام الواسع بالثقافة الدينية بالاضافة إلى تبسيط المسائل العلمية ، إلى جانب مثابرتها على نشر نماذج من تيارات الابداع العربى ، مع عناية خاصة بالثقافة الخليجية ، ومتابعة حركة التجديد والنهضة فى المجتمع القطرى ، كما تبدى المجلة اهتماماً واضحاً بالقارىء المتوسط ، عن طريق نشر الأبواب الترفيهية والمبسطة والتنويع فى موضوعاتها وكتابها .

وينتقل الباحث بعد ذلك إلى التأريخ لظهور «دار العروبة» ونشأة الصحافة الأسبوعية ثم اليومية فى قطر ، وذلك بعد حصول الدار على امتياز اصدار مطبوعة يومية فى فبراير عام ١٩٧٠ ، وان ظهرت بادىء ذى بدء فى شكل مجلة أسبوعية ، ثم صدور صحيفة «العرب» اليومية فى مارس ١٩٧٢ ، وان لم يكن بوسعها أن تنتظم يومية بالفعل إلا منذ فبراير ١٩٧٤ . وقد لعبت دار العروبة دوراً متميزاً فى ادخال الوعى الصحفى إلى قطر ، حيث أوقفت المواطن على مسار الأحداث العالمية ، إلى جانب إيقافه على مظاهر النهضة المحلية فى نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ثم يتطرق البحث إلى الحديث عن ظهور

مؤسسة « العهد » واصدارها مجلتيها « العهد » و « الجوهرة » . فكانت الأولى مجلة أسبوعية سياسية وقد صدرت فى يوليو ١٩٧٤ بفضل جهود منشئها (عبد الله يوسف الحسينى) وقامت بدورها فى توعية المواطن القطرى والخليجى بالشئون العربية والدولية . أما مجلة « الجوهرة » التى صدرت فى يناير ١٩٧٧ فتمثل أول مجلة نسائية قطرية ، ورغم أن امتياز صدورها كان أسبوعياً ، إلا أنها كانت شهرية فى البداية ، ويمثل ظهورها على كل حال خطوة رائدة فى مجالي الصحافة النسائية .

وقد انتقل الباحث بعد ذلك إلى الحديث عن مؤسسة الخليج للطباعة والنشر واصدارها صحيفة « الراية » ثم « الجلف تايمز » ــ بالانجليزية ــ وقد صدرت الأخيرة فى ديسمبر ١٩٧٨ ، بينما صدرت الراية فى مايو ١٩٧٩ . وقد اكتفى المؤلف بتناول نشأة « الراية » معتذراً بأنها هى التى تصدر باللغة العربية ومن ثم فهى التى تهم القارىء العربى فى المرتبة الأولى . وقد صدرت الراية أسبوعية فى البداية ثم تحولت إلى صحيفة يومية ابتداء من يناير ١٩٨٠ . وقد انصب اهتمامها الاساسى على الأحداث السياسية ، العربية والدولية ، إلى جانب التحقيقات الصحفية التى تناولت مختلف جوانب المجتمع القطرى بأسلوب نقدى وتنويري .

وقد صدرت كذلك مجلة « الفجر » عن مطبعة قطر الوطنية فى يناير ١٩٧٥ ، وان لم تلبث أن توقفت عن الصدور فى أواخر عام ١٩٧٦ .

ولم تتوقف النهضة الصحافية فى قطر عند حد اصدار الصحف والمجلات العامة وانما ظهرت صحف نوعية ، منذ أواسط السبعينات ، فظهرت صحف تربوية وأخرى دينية ، ورياضية واقتصادية ونحو ذلك . وقد قدم لنا الباحث حصراً لها وهى : مجلة التربية (ديسمبر ١٩٧٠) ، ديارنا والعالم (يناير ١٩٧٦) ، الخليج الجديد (مارس ١٩٧٦) ، الصقر (مارس ١٩٧٧) الدورى (إبريل ١٩٧٨) ، أسواق الخليج (يناير ١٩٨٠) ، الريان (فبراير ١٩٧٨) ، الجريدة الرسمية التى بدأت فى الظهور منذ يناير ١٩٦١ ، صوت الجامعة (مارس ١٩٨١) ؛ ومجلة « الأمة » اسلامية شهرية (نوفمبر ١٩٨٠) .

وقد خلص الباحث من تتبعه لنشأة الصحافة القطرية إلى أنها نشأة متواكبة مع الاستقلال الوطنى ، كما أنها ارتبطت بدور الطباعة والنشر ، وأنها ، على تنوعها ، يومية كانت أو أسبوعية أو شهرية ، قد نجحت إلى حد كبير فى ربط البلاد بالقضايا المحلية والعربية والعالمية ، كما أنها تمثل فى النهاية ، رغم حداثة عمرها ، جزءاً من النهضة العربية فى بلدان الخليج العربية .

القومية والوحدة العربية

والدراسة الثانية وهى بعنوان « القومية والوحدة العربية » كتبها الدكتور عاصم الدسوقى . وتبدأ بمقدمة حول أزمة القومية والوحدة العربية فى مطلع السبعينات ، حيث بدأت الصحافة القطرية فى الصدور ، ثم يبلور الكاتب ثلاثة محاور رئيسية تدور حولها الدراسة ، المحور الأول : ويتعلق بمسألة التضامن والوحدة بين أقطار الخليج العربية ، ويرى فيه أن الصحافة القطرية قد دأبت على بيان أهمية الوحدة بين أقطار الخليج ، ورأت أنه يجب أن تقوم على أسس مدروسة ودون تعجل ، ذلك أن الوحدة تمثل أملا عظيماً تتطلع إليه البلاد ، وقد ذكرت مجلة « الدوحة » فى هذا المجال أن النظام الاساسى المؤقت لحكم البلاد ، الذى أعلن فى ابريل ١٩٧٠ قد حرص على تأكيد الهوية العربية للدولة الجديدة .. كما دعا أمير البلاد إلى إقامة نظام كونفدرالى ، تبقى معه السيادة الإقليمية كما هى ، ويولد من خلاله ما يشبه السوق الأوربية المشتركة للدول العربية الخليجية .

كذلك فقد أشارت مجلة « الفجر » إلى أن قطر تريد « وحدة خليجية عربية » ، وتتمثل أولى الخطوات نحو ذلك فى بناء قطر فى هدوء ، حتى تهدى لوحدة الخليج دولة عظيمة . كذلك فإن جريدة « العرب » ومجلة « العروبة » قد حملتا بحماسة لواء الدعوة للوحدة بين أقطار الخليج العربية ، أو على الأقل قيام قدر من التضامن والتنسيق بين سياساتها ، وقد أبرزتا تصورهما بالتركيز على ضرورة أن يسبق الاتحاد السياسى إيجاد سوق خليجية مشتركة للتوحد الاقتصادى كتمهيد ضرورى ومنطقى للوحدة ، ثم ايجاد حد أدنى من التنسيق العسكرى الأمنى ، حينئذ سوف تأتى الوحدة فى النهاية . وترى العرب والعروبه أن مجلس التعاون الخليجى الذى أعلن فى مطلع الثمانينات كان ترجمة عملية لذلك كله .

أما المحور الثانى من الدراسة : فيتعلق برؤية الصحافة لتجارب التقارب والوحدة بين الاقطار العربية وتقويمها ، وقد رأى الكاتب أنها أسهمت بنصيب وافر من استعراض هذه التجارب لاستخلاص الدروس المستفادة . فتناولت المحاولات التى ظهرت للتقارب بين دولتين أو أكثر من الدول العربية بقدر من الحذر ، فاعتبرت مثلا الاتحاد بين مصر وسوريا وليبيا فى ابريل ١٩٧١ خطوة تمثل صيغة متقدمة من صور الوحدة والتضامن العربى ، وفيما يتعلق ببلاد المغرب العربى فقد أشارت مجلة الدوحة فى دراساتها إلى صيغة تضم دول المغرب العربى فى دولة واحدة ، تمثل الوحدة بالنسبة لها ضرورة ثقافية وتاريخية وجغرافية واقتصادية ، لكنها وحدة على أساس التعاون والتكامل ، وليس على أساس الدمج ، تبدأ بوحدة فى الموقف العالمى لتحرير التراب المغربى ، ثم وحدة اقتصادية تنظمها سوق مشتركة .. ، وعندما أعلن اتفاق بنغازى بين مصر وليبيا فى أغسطس ١٩٧٢ تحمست « دار العروبة » لذلك وان كانت قد دعت إلى دراسة عميقة وشاملة قبل التنفيذ ، لئلا تصاب الأمة العربية بنكسة جديدة .. » .

والمحور الثالث للدراسة : يتصل بالاسهام النظرى الذى شاركت به الصحافة القطرية فى مجال بناء فكرة العروبة والقومية العربية . ويشير المؤلف بداية إلى أنه عندما انطلقت الدعوة للعروبة من بلاد الشام فى ظروف تاريخية معينة ، لم تكن منطقة الخليج ــ وقطر من بينها ــ تمثل شكلا سياسياً مستقلا له بعد قومى محدد ، وعندما خرجت المنطقة من ربقة السيطرة الاستعمارية فى مطلع السبعينات ، كان لابد لها من تحديد هويتها القومية التى وجدتها فى العروبة والاسلام ، ويوضح الكاتب أن العروبة التى أطل عليها الخليج بعد استقلاله مباشرة ، كانت هى العروبة المنتكسة ، مهيضة الجناح ، ومن ثم تناولت الصحف القطرية بناء الفكرة العربية من واقع وضعيتها الجديدة . وقد مرت اسهاماتها بثلاث مراحل متميزة هى :

١ ــ مرحلة ما قبل اكتوبر ١٩٧٣ ، وفيها كان عمر الصحافة قصيراً ، ومن هنا لم يعثر المؤلف إلا على بضع مقالات هنا أو هناك حول الموضوع ، وان كانت تطالب بضرورة أن يدرك العرب خطر الغزو الفكرى والاقتصادى الذى يتعرضون له ، والقيام بتوعية شاملة للمواطنين العرب حتى يصبح خط الأمة وتفكيرها سليماً يسير فى خط واحد من المحيط إلى الخليج .

٢ ــ مرحلة مابعد اكتوبر ١٩٧٣ حيث كان تركيز صحيفتى دار العروبة على المطالبة بتحقيق التكامل الاقتصادى بين الدول العربية لاستكمال التوحد السياسى ، بعد النجاح فى استخدام سلاح النفط فى المعركة ، وبعد انعزال مصر خلال فترة كامب ديفيد ، كان الحديث يتجدد حول أزمة القومية العربية ، والاشادة بعصرها الذهبى أيام الرئيس عبد الناصر . وقد مال هذا الموقف نحو الدفاع عن عبد الناصر ، عندما بدأت بعض صحف مصر فى النيل من سياسة الدول العربية .



عبدالله الحسيني

خالد نعمة

فبراير ١٩٨١ ، بعد أن تبنت دول الخليج العربية مشروعاً كويتياً يركز على إقامة أوسع دائرة للتعاون الاقتصادى والثقافى والعسكرى بما يؤدى فى النهاية إلى اتحاد اقليمى بين دول الخليج ، كما تكفل مشروع سعودى بطرح فكرة توقيع اتفاقيات أمن ثنائية مشتركة بين السعودية وكل دولة من دول الخليج العربية على حدة ، لتشكل هذه الاتفاقيات فى النهاية اتفاقية عربية مشتركة لأمن الخليج والمسيرة مستمرة .

القضية الفلسطينية

والدراسة الرابعة والأخيرة عنوانها « القضية الفلسطينية » ، كتبها الدكتور عادل غنيم ، الذى بدأها باقتراح منهج يحدد من خلاله مواقف الصحافة القطرية من هذه القضية الهامة والخطيرة .. فتعالج الدراسة أولاً مدى اهتمام الصحافة القطرية بالقضية ونوعية هذا الاهتمام ، ثم تنتقل ثانياً إلى رصد وتحليل الملامح الايجابية وكذلك الملامح السلبية فى نظرة الصحافة القطرية إلى منهج « تحليل مضمون » كتابات الصحافة القطرية بهذا الشأن .. إلى جانب تصنيفه الدوريات القطرية إلى يومية ثم أسبوعية فشهرية والالتزام بهذا التصنيف خلال الدراسة .

وبالنسبة للصحافة العربية فقد عالج مدى اهتمام الصحيفتين اليوميتين القطريتين « العرب » و « الراية » ، وقد استنتج من خلال قراءته لهما أنهما تعطيان اهتماماً كبيراً للقضية الفلسطينية ، بنشرهما الكثير من أخبارها ، والتعليقات السياسية حول أحداثها ، سواء كان اهتماماً اخبارياً أو تحليلياً يتضمن آراء ووجهات نظر ، وخاصة من جانب صحيفة « العرب » ، إلى جانب القيام ببعض البحوث والدراسات وعقد الندوات من جانب « الراية » ، فقد ذكر الكاتب أن هذه الصحيفة الأخيرة تضم نخبة من الكتاب المتخصصين فى القضايا العربية عامة والقضية الفلسطينية خاصة .

ثم يستخلص عدداً من الملامح الايجابية فى مواقف « العرب » من حيث دأبها على التأكيد المستمر على ضرورة انتزاع العرب لحقوقهم فى فلسطين ، وتطوير تسليح المناضلين . بينما تدعو « الراية » إلى الابتعاد بالقضية عن دائرة الخلافات العربية ، أما الملامح السلبية التى أخذها الكاتب على الصحيفتين فتتمثل فى تأييد بعض الصحافيين لقيام نفر من الفدائيين بعمليات خطف الطائرات أو احتجاز أحد الفرق الرياضية الاسرائيلية ، كما أن منهم من انتقد قيام مركز الابحاث فى منظمة التحرير الفلسطينية لأصداره كتاباً يضم مقالات لمفكرين صهاينة .. وقد رأى الباحث أن ذلك يضر بالقضية الفلسطينية ، وهو لا يجعلنا نعى حقيقة الحركة الصهيونية .

ثم ينتقل الكاتب إلى المجلات الأسبوعية (العروبة ـ العهد ـ الفجر ـ ديارنا والعالم ـ الخليج الجديد ـ الجوهرة) فيذكر أن مجلة « العروبة » كانت أكثرها اهتماماً بالجوانب السياسية للقضية الفلسطينية ، ويضرب لذلك أمثلة تؤكد هذا الاهتمام الذى يبرز التأكيد على الصمود الفلسطيني وابراز التأييد العربى والعالمى للقضية ،



تتميز الصحف والمجلات التى تصدر فى قطر بالتعدد والتنوع

الصحافة القطرية والقضايا العربية

إلى جانب كشف الممارسات الصهيونية والدور الامريكي فى المنطقة . ويبلور كذلك المفاهيم الاساسية لدى المجلة حول القضية وتتصل بالدعوة لوحدة فصائل منظمة التحرير الفلسطينية ، وابراز دور مصر الرائد فى الدفاع عن القضية ، وبيان أن اسرائيل لا تريد السلام حقاً ..

وان كان الكاتب يأخذ على المجلة أن بعض كتابها ينقصهم الوعى بالابعاد التاريخية للقضية ، ثم يأخذ على عاتقه مراجعة ذلك وتصحيح بعض المفاهيم .

وفى مجلة « العهد » تبرز اهتماماتها بالقضية من زاوية أدبية وفنية ، وان كانت قد تناثرت على صفحاتها بعض المقالات التى تتعلق بالتحذير من الحوار المباشر مع الاسرائيليين ، وأن الولايات المتحدة هي العدو الأول للأمة العربية باصرارها على تدعيم وتأييد الوجود الصهيونى فى فلسطين ..

أما مجلة « الفجر » فهى تتابع نشاط وعمليات المقاومة الفلسطينية ، وتقدم عروضاً واعية للأفكار الاسرائيلية .كما تتابع السياسة الأمريكية فى المنطقة . فضلا عن اهتمامها بالجوانب القانونية للقضية الفلسطينية .. وان كان الباحث يأخذ عليها عدم ادراكها لحقيقة العلاقة بين الولايات المتحدة واسرائيل .. وينتقل إلى مجلة « ديارنا والعالم » فيذكر أنها أبدت اهتماماً بنشاط المقاطعة العربية لاسرائيل ، إلى جانب مطالبتها بتدعيم مالى أكبر لدول المواجهة العربية وكذلك للمقاومة الفلسطينية .

وفيما يتعلق بمجلة « الخليج الجديد » فقد تناولت بعض الموضوعات ذات الطابع الاجتماعى إلى جانب الموضوعات الثقافية والفنية المتصلة بالقضية الفلسطينية ، هذا بالإضافة إلى الاهتمامات السياسية ، وأوضاع الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة وخارجها ، وان كان الكاتب يرى أن مقالات المجلة تختلف حدة واعتدالا ومن ثم تتباين اتجاهاتها ، وأخيراً يصل إلى مجلة « الجوهرة » النسائية ، التى يذكر بشأنها أنها لم تخل من بعض الاشارات المتعلقة بالنواحى الفنية والانسانية

— دون السياسية — وهو أمر يراه طبيعيا بالنسبة لمجلة نسائية .

وينتقل الكاتب بعد ذلك لدراسة موقف المجلات الشهرية (الدوحة — أسواق الخليج — الأمة) أما بالنسبة لمجلة « الدوحة » فيذكر انها اعطت اهتماماً كبيراً للجوانب الثقافية والفكرية المتعلقة بالقضية الفلسطينية ، فتتبلور الكثير من مقالاتها ودراساتها حول القضايا الفكرية المتعلقة بالصهيونية ، ومفهوم السلام ، والوجود الاسرائيلى ، والاهتمام بالتراث اليهودى فى مجالات البحث العلمى ، والأدب لفهم الشخصية الاسرائيلية ، إلى جانب تغطيتها لأدب المقاومة فى الأرض المحتلة ، والدراسات التاريخية للمدن الفلسطينية .. كما أن « الدوحة » تضم نخبة من الاقلام العربية المثقفة . وان كان الباحث يرى أن المجلة بحكم مسئوليتها باعتبارها فى طليعة المجلات الثقافية فى العالم العربى ، ينبغى أن تعطى مزيداً من الاهتمام لعرض الرسائل والابحاث الجامعية حول القضية الفلسطينية ، والصراع العربى الاسرائيلى ، إلى جانب ضرورة تقديم عروض نقدية للمؤلفات التى تصدر بشأن القضية .

أما « أسواق الخليج » فقد اقتصرت على الكتابة فى موضوع المقاطعة العربية لاسرائيل ، إلى جانب فضحها لبعض الشخصيات العالمية التى انخدع العرب فيها ثم انكشف تحيزها ضد القضايا العربية . أما مجلة « الأمة » فقد ركزت اهتمامها حول النشاط الاسلامى فى فلسطين ، إلى جانب تسليطها الأضواء على نشأة الصهيونية ، وتطور الأوضاع فى الأرض المحتلة ، إلى جانب نشرها مقالات عن جغرافية فلسطين . ودور اسرائيل فى افريقيا ، وتطويقها للمبعوثين العرب فى أوربا وامريكا ..

ويختلف الكاتب مع اتجاه المجلة حول عدم تفريقها بين اليهودية كدين ، والصهيونية كحركة استعمارية ، ويؤكد على ضرورة التفريق بينهما ، حتى تبنى المواقف العربية على حقائق موضوعية .

جهد قيم .. ولكن

بعد هذا العرض العام لمحتويات الكتاب ، لا يسعنا الا الاشادة بالجهد القيم الذى بذله مؤلفوه ، من الأساتذة المؤرخين ، سواء لبحثهم عن شتات المصادر ، من صحف ومجلات ، من هنا وهناك . أو لارتيادهم ذلك المجال بالتأريخ للصحافة القطرية . أو الاستعانة بالدوريات القطرية فى معالجة قضايا أمتنا العربية . مما يسجل لهم فضل الريادة لمجال لم يكن مسبوقاً قبل

ذلك باستثناء الفصول التى كتبها الدكتور محمد جابر الأنصارى عن صحافة الخليج ، وهو جهد ، بالاضافة إلى النتائج التى توصلوا إليها ، يشير إلى أهمية الصحف والمجلات كمصدر من مصادر التاريخ الحديث والمعاصر .. بل إنها تعد مصدراً وثائقيا من الدرجة الأولى فى دراسة التطور السياسى والاجتماعى للبلاد .

وبهذه المناسبة نود أن نهيب بالمسئولين عن دور الوثائق ودور الكتب ومراكز الابحاث أن يسعوا جهدهم لتجميع هذه الدوريات وتصنيفها وتجليدها لتصبح فى متناول الباحثين والمؤرخين ، وتدارك ذلك منذ الآن بالنسبة لما يصدر أولا بأول .. وهذا ما تفعله الدول المتقدمة والساعية نحو التقدم ..

وإذا كان الكتاب بهذا القدر من الأهمية ، فإنه يثير من جانبنا بعض الاستفسارات والتعليقات حول بعض وجهات النظر بشكل عام .. منها اقتصار الكتاب وهو يعالج القضايا العربية فى الصحافة القطرية على قضايا العروبة والأمن ثم قضية فلسطين ، مما يجعلنا نتساءل : أليست هناك قضايا عربية أخرى اجتماعية واقتصادية وثقافية وفكرية ، وعلاقات سياسية ودبلوماسية ، تمثل مجالات أوسع للدراسة تدخل فى نطاق هموم واهتمامات الصحافة القطرية ؟

وهناك ملاحظة تتعلق باقتصار الدراسات على الصحافة القطرية الناطقة باللغة العربية ، مما يعرضها لشبهة التقصير عن الافادة من الصحيفة القطرية الوحيدة الناطقة باللغة الانجليزية ، وربما كان من الأفضل لو ذيل الكتاب بملحق يضم أسماء الدوريات القطرية وتواريخ صدورها ، أو توقفها ، ورئاسة وهيئات تحريرها — كلما أمكن ذلك — كببلوجرافيا احصائية تاريخية ، يرجع إليها عند الضرورة ، ويا حبذا لو ضم هذا الملحق صوراً فوتوغرافية لأغلفة ومانشتات الصفحات الأولى للمجلات والصحف .

أحمد زكريا الشلق

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● رأي قديم وطريف في فن عبد الوهاب ●● الإنسان والحيوان والحرب

نشر الأستاذ عزيز أحمد فهمي بأسلوبه الساحر هذا المقال الجريء والطريف سنة ١٩٣٩ تحت عنوان «آلو ... الدكتور عزام ؟!» ، وقد نشرته مجلة الرسالة مع تعليق منها تقول فيه : .. «لا نظن كثيراً من النقاد يشاطرون الأستاذ عزيز رأيه في الأستاذ عبد الوهاب» .. فما هو رأي النقاد الآن .. وبعد ٤٥ سنة من نشر هذا المقال لأول مرة ؟!



ـ ياللنهار ! مالك أنت والغناء ؟ لك ساعة وأنت تعوي وتنهق بأكره الصوت جاداً مجتهداً كأنما تجرب إذاعة لهذا المساء ؟ هل زيفت نفسك على ماركوني وألقيت في روعه أنك موسيقي مغن مطرب ملحن ؟ أما إذا كنت فعلتها فهي كبرى المصائب ، ونكبة النكبات .

ـ إني لم أفعلها إلى الآن . ولكني أعد نفسي لها ، وهي من غير شك أربح الأشغال في هذه الأيام . فقد وصل سعر اللحن عند ماركوني إلى مائة جنيه ، ينفق عليه منها عشرة على الأكثر يأخذها تخت كامل وفوق الكامل . ثقي أني سأبدأ العمل وثقي أني أعرف طريق النجاح فيه .

ـ قل شيئاً غير هذا ، وامح علامات الجد هذه من على وجهك فقد كدت أصدقك .. أمجنون ؟!

ـ سترين أني على يقين فمصطفى بك رضا بنفسه يقدمني للجمهور من خلال الميكروفون وهو يقول : «آنساتي سيداتي سادتي . أقدم لكم الآن بكل فخر كوكب الإذاعة الجديد الموسيقار العبقري البروفيسور عزيز فهمي في أغنيته الأولى «التختروان» وهي من تأليفه وتلحينه .. على تخت مكون من كبار رجال الفن»

ـ ما الذي يمنعك مادمت واثقاً أن هذا ممكن ؟

ـ لاشيء يمنعني . وانما كانت الفكرة غائبة .

ـ وقد جاءت الفكرة وستنفذها . اليس كذلك ؟



قل لي الآن بم ستبدأ ؟

ـ بالشعر ... صحيح أني لست شاعراً ولكني أعرف من العروض وأوزان الشعر ما أستطيع به أن أنظم الكلام . ثم إني أعرف الكلام الذي يحبه الجمهور وليس علي أكثر من أن أرصه في النظم رصا وهو لايعدو «النوح والدوح» ، والأغاني والأماني ، والدموع والخضوع ، والغزل والأمل» وسائر هذه الألفاظ التي يقولها القمر للأستاذ أحمد رامي وهو نائم تحت السرير في الغرفة الغربية المطلة على الحقول من منزله في حدائق القبة .. فإذا ما انتهيت من القصيدة شعراً بدأت في تلحينها ، وهذا شيء أيسر من الشعر ، وهو لايكلفني أكثر من مراجعة ألحان سيد درويش وبعض الألحان الشرقية والغربية مما لم يسمعه الجمهور أو مما قد سمعه ، وآخذ لكل شطر أو لكل بيت من أغنيتي لحناً من هذه الألحان . فإذا لاحظت في هذا الترقيع أن يكون منسجماً يمشي بعضه مع بعضه من غير تنافر فإني قد جئت بما لم يجيء به الأستاذ محمد عبد الوهاب نفسه ، فنحن لا نزال نرى في مقطوعاته جميعاً التنافر ظاهراً بين أجزائها المجموعة من الشرق والغرب ... فماذا تريدين مني أكثر من التفوق على عبد الوهاب ؟

ـ وبعد ؟

ـ أتفق مع الأستاذ محمد القصبجي على أن يتعهد بمراجعة اللحن مع أفراد التخت بخمسة جنيهات يأخذها ربحاً حلالاً على هذا ، وعلى أن يعزف معي بعوده الممتاز في الإذاعة ... وهو لن يرفض خمسة جنيهات حلالاً .. وإذا أخذ الأستاذ إبراهيم العريان وهو سيد العازفين على القانون في مصر جنيهاً واحداً ليشترك معي في الإذاعة فإنه سيدعو لي ليلاً ونهاراً لأنه يقضي الشهور معطلاً لا يكاد يدعوه أحد إلا زكريا أحمد الذي يعرف قدره وقدر فنه ولأن الباقين يتقونه خشية أستاذيته .. وتبقى أربعة جنيهات بعد ذلك أوزعها على أفراد التخت ، ولا شيء أخيراً إلا وليمة لرجال الصحافة وبعض الملق والمداهنة وأنا زميل لهم وأظن أنهم يجاملونني .

ـ طيب والغناء ؟ أتغني بصوتك هذا نفسه ؟

ـ ولم لا ؟ أليس صوتي أرخم من صوت الأستاذين حسين المليجي وحامد مرسي ؟ ومادامت الصحافة ستقول هي وماركوني أني مغن ممتاز عبقري ، فلابد أن يصدق الناس أني كذلك .. والحق أني كذلك ..

ـ تريد أن يجوز هذا علي أنا أيضاً ؟

ـ الفنان الحق ياآنستي لابد أن يؤمن بفنه قبل أن يؤمن به الناس ..

ـ ياعينك ! ولكنك لم تقل لي كيف تستطيع اجتياز العقبة الأولى وهي إقناع مصطفى بك رضا بأنك فنان ..

ـ هذه أهون الهينات .. وهي بيد الدكتور عبد الوهاب عزام الذي لايزال يذكر أني تلميذه ، والذي يعطف علي فيما يبدو لي ، والذي أعتقد أنه لايتأخر عن مساعدة رشيقة كهذه ...

ـ وما للدكتور عزام الأستاذ في الجامعة والذي يكتب عن رحلاته في الشرق والغرب ، وهذه «الألعوبة» أو «الألعبانة» التي تريد أن ترتكبها ...

ـ الرجل رجل طيب ، فإذا التصقت به لم يجرؤ على طردي لأنه حيي خجول ، ولأني سأذكره بالحكمة التي تقول «من علمني حرفاً صرت له ضيفاً» وقد علمني هو اللغة الإيرانية كلها .. والدكتور عزام قريب صاحب المعالي عبد الرحمن عزام بك وزير الأوقاف ، والأستاذ مصطفى بك رضا موظف في وزارة الأوقاف فإذا رآني حول الوزير مرة أو مرتين أصبحت عنده شيئاً مذكوراً .. فإذا دعوته يوماً إلى سماعي ونبهته إلى أن الدكتور عزام سيسمعني معه خف إلي كالبرق الخاطف حباً في مجالسة الناس الطيبين ، فإذا لبى الدعوة هؤلاء الناس الطيبون الذين من عادتهم أن يجبروا خواطر الناس ، بدأ الإيمان بي وبفني يدخل نفس ماركوني ، فإذا جاملني أحد الناس الطيبين «بآه» أو «بأحسنت» كان هذا مستنداً لي على أني فنان مقتدر .. فإذا قلت عن نفسي بعد ذلك بأني عبقري وأني نابغة العصر والأوان زيادة على أني شاعر كبير ومثقف مطلع ومفكر عظيم فإني من غير شك واصل إلى الاتفاق الذي ارجوه ..

ـ ولكن هذا كله لايساعدك في شيء ... فمصطفى بك رضا نفسه موسيقي ، وهو نفسه حكم في الفن لايمكن التدليس عليه .

ـ قد يكون هذا حقاً ، ولكن الرجل أعقل من أن يحكم بالفن وحده .. فهو بلا شك يقيم إلى جانب الفن اعتبارات أخرى يستعينها في الحكم على الفنانين الذين يعملون في الإذاعة .. وإلا فكيف يسمح بالغناء لمن تعرفينهم من المغنين الذين لو استمعوا إلى أنفسهم لما رضوا أن يغنوا .. ألا يذيع كثيرون من هؤلاء ؟

ـ ولماذا يفعل هذا ؟

ـ اسأليه .. واعلمي أنه محسوب على السيدة نفيسة فهو تقي جداً وورع جداً ولايمكن مطلقاً أن يقول غير الحق ولا أن يظهر غير ما يخفي .. زيدي على ذلك أنه من أسرة كبيرة غنية ، وأن له من الحسب والنسب ما يدرأ عنه كل شبهة .. وإن كان فيه عيب فهو أنه رجل طيب .. طيب جداً ، سبحته لا تفارقه ، وشفتاه لا تكفان عن التمتمة والتسبيح ، ولعل ماركوني لم يأخذه إلا لأنه بركة .

ـ إذن فقد انتهى الأمر ، وإني أوصيك بأن تبدأ ..

ـ اسألي لي عن الدكتور عزام بالتليفون ، فإذا وجدته فقولي له : إن هيئة كبار العلماء ستتغدى عندك اليوم .

ـ وما لهيئة كبار العلماء هذه أيضاً ؟

ـ هذا اسم كان يطلقه الدكتور عزام على فرقتنا التي كانت مؤلفة من ثلاثة . قال الأستاذ أحمد أمين يوماً : إن كلية الآداب لم تر مثلهم ولن ترى مثلهم .

ـ في الجد والتحصيل ؟

ـ لا . في العنف والكفاح والرجاء والإيمان . دعينا من هذه الذكريات . هل وجدت الدكتور ؟

ـ لا . فلننتظر ساعة . والآن قل لي : لماذا اخترت أن يكون اسم أغنيتك «التخترون» ؟

ـ أنا لم اختر هذا . وإنما هو الرد الطبيعي على أغنية «الجندول» التي غناها عبد الوهاب «فالجندول» هذا مركب أوربي يسير في شوارع البندقية ـ وهي مياه ـ ولا يعرف هذا «الجندول» إلا فئة خاصة من المصريين : أما «التختروان» فيعرفه المصريون جميعاً والعرب جميعاً ، لأنه «الهودج» الذي يوضع على ظهر الجمل فإذا كان «الجندول» الذي لايعرفه المصريون قد أصبح أغنية فلا عجب في أن يتغنوا «بالتختروان» !

ـ ليس الذنب في «الجندول» ذنب عبد الوهاب ، وإنما هو ذنب الشاعر علي محمود طه المهندس الذي زار البندقية وحدث له «الجندول» فيها فسجله شعراً ، ولحنه عبد الوهاب .

ـ قد يغتفر للأستاذ الشاعر هذا الجندول مادام قد حدث له ولكن لماذا يغنيه الأستاذ عبد الوهاب ؟ وقد خلق الله له موهبة التقليد التي يأبى أن يستغلها .

ـ لم اسمع أن التقليد موهبة فنية لها مكانتها بين الفنون إلا الآن .

ـ هي موهبة من غير شك ، وهي موهبة عبد الوهاب ، وهي التي ظهرت فيه منذ طفولته ، فقد كان وهو غلام يغني كل ما يسمعه ويوفق في تأديته خير التوفيق ، حتى أن المرحوم الأستاذ عبد الرحمن رشدي أخذه معه ، وأخذ يعرضه بين الفصول يغني للنظارة بعض أناشيد المرحوم الشيخ سلامة حجازي على ما فيها من قسوة وجبروت ،



محمد عبد الوهاب .. ماذا يقول الآن في هذا الرأي القديم ؟ وماذا يقول النقاد ؟

فكان ينال إعجاب الناس ، وسمعه بعد ذلك المرحوم أحمد شوقي بك فطرب له فاحتضنه وتبناه وقدمه لأصفيائه وللبيئة التي يعيش فيها وهي بيئة الأمراء والكبراء فكان عبد الوهاب يغنيهم من محفوظاته وكان عليهم أن يستحسنوا غناءه ، فلما مات سيد درويش فوجيء الجمهور بعبد الوهاب الملحن الموسيقار ، وكانت المفاجأة بالطريقة التي أريد أنا أن أفجأ الجمهور بها ومنذ ذلك الحين بدأ عبد الوهاب يتعثر إذ عدل عن الموهبة التي خلقها الله له إلى مالم يسمح الله له به ، على أنه كان غالباً ما ينجح إذا غنى المواليا ، ذلك أنها غناء مصري للقاهرة ، فيه أسلوب خاص تأثر به عبد الوهاب كل التأثر منذ صباه ، وقد سلمت بعض قصائده من التنافر والتخبط لكثرة ما غني في ماضيه للمرحومين : الشيخ سلامة حجازي ، والشيخ أبو العلا محمد ، أما ما عدا ذلك من الأغاني ، فعبد الوهاب يعاني الأمرين في غير شك في صوغه ، وقد كان المرحوم شوقي بك يغربل له موسيقاه فلما مات لم يعد عبد الوهاب يسمح لأحد بأن يكون له في موسيقاه رأي .

- ياشيخ ؟ لاتكن ظالماً .

- لست أظلمه ، ولو أنصف عبد الوهاب لظل كما كان مغنياً يغني لغيره ممن يستطيعون التلحين ، أو أن يكون مغنياً بلدياً كغيره من أولاد البلد الفنانين البارزين ، وليس هذا عيباً ، وليس فيه حطة ، فالناس كلهم أو أغلبهم مجمعون على استحسانه في المواليا ، وفي القصائد قبل أن يفرنجها .. أليست «ياجارة الوادي» خيراً من «الجندول» ! ولكنه أصيب بما في رأسه ، وهو لايريد مطلقاً أن يذكر الجمالية ، ولا باب الشعرية ، ولا «حوانيت الترزية ..» مع أنه أنفق حياته الأولى في هذه .. وهو فنان ، والفنان لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يغفل ماضيه ... وإن حياة الفنان الأولى التي قضاها وهو بعيد كل البعد عن التفكير في مشاغل الدنيا وأرباحها وخسائرها لهي المعين من الفن الذي لاينضب .. وانها أصدق مايمكن أن يبرزه من الفن ، وأصفى ما يمكن أن يطالع به الناس من عواطفه وخلجات روحه . أليس كتاب «الأيام» هو أروع ما أخرجه الدكتور طه حسين بك . وأي شيء في كتاب «الأيام» غير قسط ظاهر من الصدق .. إن الدكتور طه حسين قد تحول اليوم إلى إنسان آخر غير الطفل بطل الأيام .. وهذا الإنسان الآخر له مجد وله مكانة وله شهرة ، وله منصب وله رتبة ، ومع هذا فالطفل «طه حسين» بطل الأيام أحلى من الدكتور طه حسين بك ، والدكتور طه حسين بك نفسه يعترف بهذا فلا يهمل هذه المرحلة من حياته وإنما يكتبها وتخرج من بين يديه خير ما كتب ..

- إذن فعلى عبد الوهاب أن يغني غناء بلدياً أو يقلد الشيخ سلامة حجازي وغيره ...

- من غير شك هذا هو خير مايستطيعه عبد الوهاب ، لأنه أحلى مافيه ، ولأنه كان هكذا في طفولته .. فهذا هو ماخلقه الله له لا ما اختاره هو لنفسه ...

- ولكن هذا الطريق لن يجدي عليه نفعاً كبيراً ... فمن الذي يعطيه مائة جنيه في أغنية قديمة ؟

- الرزق هذا شيء لا حيلة للإنسان فيه ، وإنما حيلة الإنسان في عمله والله يعطي بعد ذلك من غير حساب .. إن بتهوفن وسيد درويش ماتا معدمين ولم يجمعا في حياتهما عشر معشار ما جمعه عبد الوهاب فهل هو أنصع منهما فناً ؟ .. إن كريستوف كولمبس الذي عثر على أمريكا لم يمت إلا بعد أن استجدى في شوارع نابولي على ما أظن ... فالرزق شيء والعمل شيء ... والفرقة القومية بدأت تفكر في تقديم الأوبرا والأوبريت ، وعبد الوهاب من غير شك هو المغني الأول الذي أرشحه لها .. فمن ذا الذي يستطيع أن يقنعه بقبول هذا العرض ؟ ...

- يهديه الله ....

- سيهتدي عندما يراني أزاحمه ، وعندما يجد معي سر نجاحه ، وعندما يلحظ أنني سأحسن استعمال هذا السر أكثر مما يحسنه .

- إذن ، فأنت لا زلت مصراً .

- من غير شك .. اسألي عن الدكتور ...

عزيز أحمد فهمي

١٩٣٩

لاحظ بعض العلماء المتفرغين للبحوث النفسية والحيوانية من الإنجليز أن الشجار قد ازداد بين الكلاب بعد نشوب الحرب «العالمية الثانية» ، فبلغ عدد الكلاب العضوضة التي عالجتها مصحات الشرطة في لندن خلال شهر اكتوبر ١٩٣٩ أربعمائة وعشرة ، ولم يتجاوز في الشهر الذي قبله مائة وثمانية وتسعين ! أكثر من الضعف في الشهر التالي لنشوب القتال ... فما تعليل ذلك ؟!



بعض البلاد تصدر أوامر بتحريم خروج الكلاب من أراضيها الا أن يكون معها شهادة إعفاء تثبت أنها غير صالحة للخدمة العسكرية



بقلم : عباس محمود العقاد

غير قليل ما يمكن أن يقال في الإنسان والحيوان والحرب ، فإن الحرب تفتح المسارب بين الإنسانية والحيوانية على المصراعين بل على شتى المصاريع . وقد تفتح مابين الإنسان وبين عالم البطولة والملأ الأعلى كذلك .

في وسعنا أن نزيد مقالاً آخر لأصدقائنا القراء الذين استزادونا من الكتابة في هذا الموضوع ، وما أحفله بالحقائق والمشاهدات ، وما أوسع منادح القول فيه .

* * *

الإنسان يتهم الحيوان بعدوى الحرب ، ويزعم الحربيون من الأناسي أنها آفة لا معدى عنها ولا دواء لها ، مذ كانت وراثة الطبع الحيواني حيث كان ، مبتدئاً من الجراثيم ومنتهياً إلى الحيوان .

وفريق من بني آدم يبرئون الحيوان من هذه التهمة ويحصرون آفة الحرب في أبناء آدم دون سائر الأحياء ..

أمنصفون هم لذرية آدم ؟ أصادقون هم في تبرئة الحيوان ؟ بعض الإنصاف وبعض الصدق لامراء .

فهم يسألون : أين هو الحيوان الذي يحشد الأسراب والقطعان لقتال سرب أو قطيع من جنسه ؟ بل أين هو الوحش الذي يجمع أبناء جنسه لقتال جنس آخر من الوحش في الغاب أو في العراء ؟

والحق أنهم في هذا السؤال محرجون ، فالحرب كما نعلمها في ميادينها البشرية إنما هي خاصة من خواص أبناء آدم : هم دون غيرهم من الخلائق الحية يجمعون بعضهم لقتال بعض ، ويخرجون على نية القتال حيث لا يقاتل حيوان وهو يعلم أو ينوي أن يقدم على قتال .

فالحرب ولا جدال إنسانية مقصورة على أبناء آدم ، وإن كان العراك قسطاً مشتركاً بين جميع الأحياء ..

* * *

وآخرون من الأناسي الحربيين يزعمون أن

الحرب لا تزول لأن الطبيعة لا تتبدل .. فما كان في النفس قبل آلاف السنين سيبقى في النفس بعد آلاف السنين ! !

أصحيح ما يزعمون ؟

صحيح بعض الصحة . لأن رأياً من الآراء لن يكون صحيحاً كل الصحة في جميع الأحوال .

صحيح ، والشاهد من عالم الحيوان الذي يحتجون به في استدامة البغضاء والشكاسة والقتل والقتال .

فأين كلب اليوم من أجداده بين الذئاب وأبناء آوي ووحشي الكلاب ؟

كلب اليوم يحرس الحملان والأطفال ، ويموت في سبيل الود والولاء ...

وكلاب الأمس كانوا أخطر شيء على الحملان والأطفال ، وأجهل خلق بالمودة والولاء .

فإذا جاز أن ينتقل الكلب هذا الانتقال وليست له حضارة ولا علوم ولا فلسفة ولا حالة عليا يصير اليها من حالته السفلى ... ألا يجوز أن ينتقل الإنسان مثله أو مرحلة أوسع من مرحلته ، وهو يعبر المسافة بين جهل الهمج وثقافة المهذبين ؟

* * *

وللحيوان أنصار كثيرون من أبناء آدم ، أعجب ما في أمرهم أنهم أرفع الآدميين خلقاً وأبعدهم من الحيوانية شقة وأوفرهم من التقدم نصيباً . فهم - من بعض الوجوه - أحق بالإنحاء على الحيوان من أولئك الذين يتعقبونه بالإنحاء والتنديد ، وهم أقرب الناس إليه !

أنصار الحيوان هؤلاء يكتبون العجب هذه الأيام في الذود عنه والرجعة بسيئاته إلى أصحابه من الآدميين . وقلما تخلو كتاباتهم من ظرف وفكاهة .. أما العلم والإدراك فهما ماثلان أبداً فيما يطرقون من هذه البحوث .

لاحظ بعض العلماء المتفرغين للبحوث النفسية والحيوانية من الإنجليز أن الشجار قد ازداد بين الكلاب بعد نشوب الحرب الحاضرة . فبلغ عدد الكلاب العضوضة التي عالجتها مصحات الشرطة في لندن خلال شهر أكتوبر الماضي أربعمائة وعشرة ، ولم يتجاوز في الشهر الذي قبله مائة وثمانية وتسعين !

أكثر من الضعف في الشهر التالي لنشوب القتال .. فما تعليل ذلك ؟

يقول مستر جونت خبير المصحات : إنها عدوى الإنسان ! !

فالكلاب ، كما يقول : «مرهفة الحس بما يخالج نفوس أصحابها ، تضيق صدراً إذا ملكت صاحبها الحالة التي نسميها بالعصبية الحربية . وأنت إذا غضبت يوماً من قراءة أخبار الغارات الجوية خرج كلبك متحفزاً للوثوب على أول كلب يراه ، لا يعلم في أي شيء يقاتل ، وليس لديه ما يسميه الساسة : أغراض حرب أو شروط سلام ، وحسبه أن صاحبه ثائر ، فهو مثله يثور !»

ثم يقول الأستاذ جونت : «ويجوز أن يرجع هذا المزاج الكدر في كلاب العاصمة إلى قلة الرياضة لكثرة الوقايات الهوائية وضرورة المكث في البيوت ، أو لسفر أصحاب الكلاب إلى الريف : ولكن السر الأكبر ولا ريب ، إنما هو تلك النزعة القتالية التي تسري اليها من عشرائها الآدميين» .

أرأيتم إذن ؟

إنه الإنسان الذي يلقح الحيوان بلقاح الحرب والعدوان : وليس الحيوان بالأستاذ السابق له في هذا الميدان .

والمسألة بعد واضحة من غير حاجة إلى هذه الدراسات الحديثة وإن كانت هذه الدراسات مضيفة في الغد بعض المعرفة الجديدة بالطبائع والأخلاق .

فواضح قبل هذه الدراسات أن الإنسان يستعين بالحيوان في حروبه ، ولم يحدث قط أن حيواناً استعان بإنسان في افتراس ضحاياه واغتيال أعدائه .

ومن قديم الزمن يستعين الإنسان بالحصان والكلب كلما وقع في نزاع بينه وبين أبناء جنسه : وأقل من ذلك عذراً أنه يستعين بالحمامة وهي رمز السلام والسلامة في تبليغ أوامر الفتك والهجوم . فقد يعذر المستعين بالحصان والكلب على أغراض الحرب لأنهما كانا عصراً من العصور الغابرة معدودين في حساب الوحوش .. أما الحمامة فما عذر من يقحمها هذا المقحم المخيف ، وهي في غير ماقاله المعري عنها :

ظلم الحمامة في الدنيا وإن حسبت
في الصالحات كظلم الصقر والباز
لا تتعرض لاتهام !

* * *

ومضى الناس في الحرب الحاضرة على سنة آبائهم من قديم الزمن . فلم يعتقوا الحصان بعد كل ما كشفوه من الآلات والمركبات ، ولايزال رجال من قادة الحرب يقولون إن له لدوراً لا يغني فيه غناءه شيء ولا يلحقه فيه اختراع .

ولم يعتقوا الكلب بعد اختراعهم من أدوات التجسس والاستنشاء ما يرغم أنوف الكلاب ، بل ضاعفوا الحرص عليها وصدرت أوامر الحكومة الروسية بتحريم خروجها من أرضها إلا أن تكون معها شهادة إعفاء تثبت أنها «غير صالحة للخدمة العسكرية !»

والجديد فيما سمعنا به من مخترعات الحرب الحاضرة أنهم استخدموا الخنازير في بعض الجزر ببحر الشمال للتنبيه إلى الغارات الجوية ، فإذا هبطت الطائرة المغيرة إلى الأرض على غرة من الرقباء صرخت الخنازير صرخة معلومة فتنبه الحراس إلى مكان الغارة .

كان الخنزير متهماً بالخبث قبل اليوم في غير برهان .

أما اليوم فيحق لمن يقع في شراكه أن يقول مقال الغيظ أو مقال الاعتراف : ياله من خنزير !

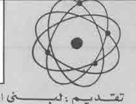
* * *

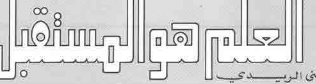
لكن في الحرب براً من الإنسان بالحيوان وليست كلها شراً في شر وعدواناً على عدوان .

فإذا قلب الناس غداً صفحات الحروب الناصعة فسيجدون بينها صفحة من أنصع صفحاتها في هذه الحرب الحاضرة : تلك هي المصلحة التي أنشئت خصيصاً بالجزر البريطانية لوقاية الحيوانات أثناء الغارات الجوية . فأعدت الحكومة مئات الألوف من الصفائح التي تنقش عليها مواطن تلك الحيوانات وأسماء أصحابها وعنواناتهم للدلالة عليها وردها إلى موطنها كلما شردت من الذعر إلى مكان بعيد عنها ، وندبت الحكومة ألوفاً من متطوعيها للطواف على البيوت والحقول ابتغاء تسجيل ما فيها من فصائل الحيوانات المختلفة وتزويدها بالعلامات الدالة عليها . وأقامت ملاجىء للأسعاف متفرقة هنا وهناك لإيواء مايحتاج إلى العلاج والإنقاذ من الحيوانات المصابة أثناء الغارات ؛ ودبرت الأمر للعناية بها كما دبرت الأمر للعناية بالآدميين .

صفحة ناصعة من التاريخ الحديث ، وحيوان من يجهل أنها مكسب روحي للإنسان قبل أن تكون مكسباً جسدياً للحيوان المصاب ، حتى لو كان باعث التدبير فيها مقروناً بباعث العطف والإشفاق .

عباس محمود العقاد
١٩٤٠





تقديم : لبنى الريدي

* عندما تتحكم الأشجار ! *

نجح باحث فرنسي في جعل الأشجار تعبر عن احتياجاتها الغذائية ، وذلك بمساعدة الكمبيوتر .

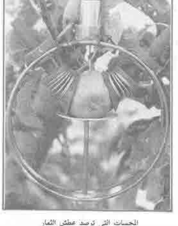
وتتلخص التجربة المثيرة في تثبيت مجسات صغيرة على بعض ثمار أشجار الفاكهة لترصد أول صرخات الجوع أو العطش التي تطلقها الأشجار . فهذه المجسات المرتبطة بجهاز ميكروكمبيوتر تسجل تغيرات حجم الثمار بحيث يحتفظ الميكروكمبيوتر في ذاكرته بمنحنى نمو الثمار .

وتمكن الباحثون عن طريق هذه القياسات من تحديد احتياجات الشجرة من الماء ، وذلك بناء على التغير في قطر الفرع الحامل للثمرة . فالفرع يتأثر أولاً بنقص الماء ، ومن ثم ترصد علامات العطش قبل ظهور أي دلائل ذبول على الثمار بوقت كاف .

وبناء على دورات النمو التي تم تسجيلها وضع الفريق الفرنسي برنامجاً لمراقبة المحاصيل . فعندما تصل الشجرة إلى حد العطش المسجل في ذاكرة الكمبيوتر يقوم الأخير على الفور بتشغيل عملية ري أتوماتيكي .

وبعد نجاح التجربة على أشجار الفاكهة تم اختبارها على حقول الذرة وعباد الشمس . ويتيح هذا النظام المتطور للمزارع أن ينام مطمئناً ، لأن ثلاثة أجهزة رصد موزعة على قطعة أرض تكفي لتأمين مراقبة نمو المحصول ، وحصوله على مايحتاجه من ماء ..

ويتوقع الخبراء أن يؤدي تعميم استخدام هذا النظام إلى إحداث ثورة خضراء جديدة .



المجسات التي ترصد عطش الثمار

* مصارف عن بعد ! *



الميكروكمبيوتر الذي يتحكم في عملية الري الاتوماتيكي

يعتبر هذا الجهاز الصغير الذي يشبه الآلة الحاسبة أحدث وسيلة لإجراء العمليات المصرفية عن بعد .. إذ يكفي أن يثبته العميل على ميكروفون سماعة الهاتف للاتصال من أي مكان وفي أي وقت من الليل أو النهار بالكمبيوتر المركزي ، للبنك الذي يتعامل معه ، والحصول منه على كل المعلومات التي يحتاجها عن رصيده ، وآخر عمليات الإيداع والسحب التي سجلت للرصيد .

كما يمكنه بواسطة هذا الجهاز الصغير والهاتف القيام بعمليات تحويل من جانب آخر داخل نفس المصرف ، وتسجيل ملاحظاته وأوامره فيما يتعلق بمعاملاته المصرفية .

ونظراً لأن الجهاز غير مزود بشاشة ، فإنه يعتمد على تكنيك أكثر تطوراً فالكمبيوتر يرد شفوياً على أسئلة العميل ، وقد أتاح ذلك تصغير حجم الجهاز بحيث يسهل نقله من مكان إلى مكان ، مما يوفر الكثير من الوقت والجهد لرجال الأعمال .

ويأمل الباحثون التوصل قريباً إلى نظام أكثر تطوراً يتيح للعميل اجراء تحويلات إلى أي بنك من البنوك الأخرى ، وتسديد الفواتير أو المستحقات لدى الغير بواسطة مثل هذا الجهاز .

* التصوير المجسّم في خدمة الطب *

أصبح التصوير المجسم لمختلف أجزاء الجسم ممكنا بفضل عالم بريطاني تمكن من تطوير تكنيك جديد للتصوير ثلاثي الأبعاد .

وتعتمد الطريقة الجديدة على وضع المريض وسط مجموعة معينة من الكشافات وفي مواجهة الكاميرا . وتقوم الكشافات باسقاط شبكات مكونة من شرائط ضوئية متوازية على المريض . وللحصول على الصورة المجسمة يجب العمل على تطابق هذه الشبكات على الجزء المراد تصويره .

وتساعد هذه الصور المجسمة على اكتشاف وقياس أي خلل في الأنسجة يظهر على صورة زيادة في الحجم مثل الأورام أو الاستسقاء الموضعي ، والارتشاح داخل الأنسجة وغير ذلك .

وتتعدد تطبيقات هذا التكنيك الجديد خاصة في مجال الجراحة التعويضية . فالصور المجسمة لصمامات القلب الثلاثية الشرفات مثلا (الصورة الأولى) يمكن استخدامها كنموذج لصنع صمام صناعي يماثل تماماً الصمام الطبيعي .

وفي مجال جراحة العظام توضح الصور المجسمة تشوهات القوام مثل (الصورة الثانية) التي تبين وجود تشوه خطير في العمود الفقري ، وكذلك تكشف مدى التشوه في عظام الفك والأسنان (الصورة الثالثة) . كما يتيح التكنيك الجديد للباحثين دراسة التغيرات العضلية التي تحدث أثناء التقلص والارتخاء .

فلأول مرة يملك الأطباء أداة دقيقة لقياسات الحجم التي كانت تقدر حتى الآن بشكل تقريبي .

ومن المتوقع استخدام هذا التكنيك في المستقبل لدراسة الأحجام الداخلية لأجهزة الجسم بمساعدة المناظير .





هذا ليس ورما ضخما ، وانما البالونة السحرية التى تجعل الجلد يتمدد



بعد الجراحة وقد اختفت البقعة السوداء

البالونات السحرية

استغل جراح يوغسلافي قدرة الجلد الآدمي على التمدد ، ليجعل جسم المصاب يكون بنفسه الجلد اللازم لعمليات التجميل التي يحتاجها .

انه يقوم بزرع بالونة صغيرة قابلة للانتفاخ على مقربة من المنطقة المصابة بحيث يسمح للجلد السليم بالتمدد . وتتم عملية الزرع تحت تأثير مخدر موضعي . وبعد عشرة أيام يبدأ حقن البالونة الفارغة بمصل فسيولوجي لتنتفخ تدريجيا .وفي غضون فترة تتراوح بين أربعة وثمانية أسابيع يحصل الطبيب على تمدد جلدي كاف .

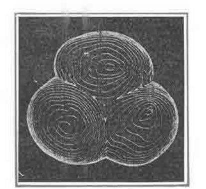
ويمكن زرع هذه البالونات المصنوعة من السليكون في أي مكان من الجسم فهو يتقبلها بسهولة ولا يطردها .

وقد يبدو الجلد الجديد مشدوداً ولونه وردياً وكأن به التهاباً . ولكن سرعان مايزول هذا اللون . في المراحل الأولى يكون الجلد أقل سمكا ثم يبدأ النسيج في النمو ويحدث بالفعل تكاثر خلوي . ومن ثم لا ينكمش هذا الفائض الجلدي . لأنه ليس ناتجا من مجرد عملية شد للجلد . وانما نتيجة لنمو نسيج جلدي جديد .

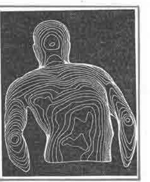
ويعتبر التكنيك الجديد سلاحاً فعالاً في مجال جراحة التجميل . لإخفاء الندوب الكبيرة وعلاج الإصابات الجلدية . ولقد حققت هذه البالونات نتائج باهرة في علاج تساقط الشعر الذي يتركز في جزء معين من فروة الرأس . فيقوم الجراح بزرع البالونة السحرية تحت فروة الرأس في الجزء الخلفي منها . وبعد عدة أسابيع يكون الجزء النامي من فروة الرأس كافياً لإخفاء المنطقة التي تساقط منها الشعر .

ونظراً لأن كثافة الشعر على الجزء النامي تماثل كثافة باقي شعر الرأس . فإن المنطقة الخالية تختفي تماما .

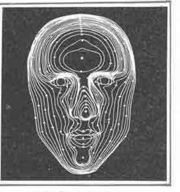
كما تستخدم هذه البالونات بعد عمليات استئصال الأورام من الثدي . فهي تسمح للجراح بالحصول في وقت قصير على كمية جلد كافية لإجراء الجراحة التجميلية اللازمة .



صورة مجسمة لصمام القلب الثلاثى الشرفات



التشوه الواضح فى العمود الفقرى



صورة توضح تشوهات الفك والأسنان



بقلم: رءوف توفيق

«عبد الودود» المواطن بلا وطن.. ينجح في أن يجمع حرس الحدود بين البلدين.. ويرفع علم البلدين معا.. في أثناء احتفاله معهم ببناء كوخه

فيلم «الحدود» حدث فني عربي أصيل

الفن الذي يجمع القلوب



« رغدة » فى دور المرأة الجبلية « صدفة » .. لعبت دورا سينمائيا متميزا .. أضاء الكثير من امكانياتها الفنية

استقبلت القاهرة بحفاوة بالغة .. الفيلم السورى « الحدود » وكان عرض هذا الفيلم بمثابة حدث فنى .. فجر الكثير من المشاعر العربية الأصيلة . انعكست فى حجم التعليقات وردود الأفعال التلقائية التى تجسدت فى هذه الأغانى والأهازيج العربية التى ظل جمهور دار العرض فى القاهرة يرددها بحماس وحب وشوق ..

وفيلم « الحدود » يعزف بابتسامة ، ومرارة ، على وتر الوطن العربى الذى تمزقه التقسيمات .. وقد استقبل الفيلم استقبالا رائعاً فى مهرجان قرطاج السينمائى .. ثم توج هذا الاستقبال بعرضه فى مهرجان القاهرة السينمائى (ديسمبر الماضى) .. وكان هذا هو أول فيلم سورى يعرض فى القاهرة بعد سنوات طويلة من الغياب .. ولأول مرة بعد ثلاثة عشر عاماً يعود الفنان السورى « دريد لحام » الى القاهرة .. والى اصدقائه وعشاقه .. واحتفلت به الصحافة المصرية وكل أجهزة الاعلام ..

وكان بالتأكيد يستحق هذا الاحتفال ..



وفيلم « الحدود » هو أول تجربة اخراج سينمائى ، للفنان البارع « دريد لحام » .. وبالطبع يلعب هو نفسه بطولة الفيلم .. وقد شارك فى كتابة السيناريو والحوار مع الشاعر الكاتب السورى « محمد الماغوط » .

وفكرة الفيلم ــ كما وضعها دريد لحام ــ تناقش هذا الشعار الحلم ، الذى ينادى « وطن واحد .. بلا جواز سفر » ومن خلال أسلوب ساخر وممتع ، تتعرى الحقيقة عن زيف الشعارات .. وجمود السياسات .. وحيرة المواطن العربى مع الواقع التعس ، الذى يفرض التقسيمات ، والذى يؤمن بالأوراق والأختام أكثر مما يؤمن بالانسان ! .

ويحشد الفنان « دريد لحام » كل موهبته فى الاضحاك .. دون ابتذال أو تهريج .. ولكن بمنتهى الذكاء والحكمة والوعى ..

إنه يأخذ مادته من الواقع ، ويعيد تقديمها لنا من خلال مصفاة دقيقة تجسد اللامعقول فى حياتنا العربية .. لنضحك من الأعماق .. ولكنه الضحك الشبيه بالبكاء !

فكيف نضحك من مأساتنا ؟ . واذا ضحكنا فإلى متى ؟ ..

يبدأ الفيلم بهذا المواطن العربى « عبد الودود » الذى يقوم بسياحة فى الوطن العربى متنقلا بسيارته الصفراء القديمة التى رسم على هيكلها الخارجى ، خريطة الوطن وخط سير رحلته .. (بالطبع لجأ دريد لحام الى استخدام اسماء وهمية لبلاد عربية ، وحتى لا يقع فى ورطة الحساسيات .. فالمهم هو تمرير الفكرة .. وليس تحديد اسماء بلاد بالذات) .

وفى الدقائق الأولى من الفيلم نتعرف على تلك المرأة الجبلية التى تبدو حاملا فى شهورها الأخيرة (تلعب الدور الممثلة السورية رغدة) .. والتى تقف فى الطريق لتشير للسيارات أن تقف لها لتحملها عبر الحدود .. وتقف لها سيارة « عبد الودود » لتجلس فى المقعد الخلفى ، تتحسس بطنها .. لنكتشف ــ نحن المتفرجين ــ أنها تخفى تحت ثيابها المنتفخة أجهزة وسلعاً لتقوم بتهريبها من بلد لآخر .. ولا يلحظ « عبد الودود » هذه الخدعة ، لأنه يتعامل مع الأشياء ببساطة وبراءة .. ولكنه عندما يقع فى مأزق فقد جواز السفر الخاص به ، والجواز الخاص بتلك المرأة ــ أثناء استبداله لاطار السيارة المثقوب ــ تتخلى تلك المرأة عن كذبتها وتخلع اكوام الأجهزة التى ربطتها حول بطنها .. ولا تبدو على « عبد الودود » أى ملامح غضب لاكتشافه الخدعة .. ولكنه يتأمل ما حدث كأنه يتأمل احدى حقائق هذا المكان !

وهو عندما تتقاذفه بوابات الحدود بين البلدين شرقستان وغربستان (كما اسماهما الفيلم) يتناقش بكل ما أوتى من منطق .. وهو منطق بسيط ومذهل .. ولكن منذ متى يسود المنطق فى ظل الاجراءات الروتينية المكتبية ، التى لا تعترف الا بالأوراق الرسمية والأختام الحكومية ، ؟!

يخضع لتحقيق طويل ومثير مع أحد ضباط الحدود .. ويتساءل « عبد الودود » فى النهاية هل هو برىء ؟ . يومىء له الضابط برأسه .. « نعم أنت برىء » .. فيقفز عبد الودود فرحاً وهو يهتف بإنتصار « لقد ثبت بالتحقيق اننى أول برىء فى هذا الوطن » ! .. وهى عبارة لاذعة ، شديدة المرارة .. ولكن حتى مع هذه النتيجة التى تثبت براءته .. الا أنها بلا قيمة .. لأنها لا يمكن أن تكتب فى ورقة رسمية .. ذلك لأن الاوراق الرسمية لابد أن تصدر لأشخاص لهم هوية .. وهو بلا هوية .. وبلا أى اثبات لشخصيته !

والحلقة مفرغة .. وبلا نهاية !

ويستسلم « عبد الودود » لهذا الوضع الغريب .. ويضطر أن يعيش على الخط الفاصل بين حدود البلدين .. مواجهاً كل التحذيرات التى تمنعه من الاقتراب أو الدخول .. فهناك الاسلاك الشائكة .. والكلاب البوليسية .. والخطوط المكهربة .. وأبراج الحراسة .. والجنود الذين يشهرون أسلحتهم .

محاولات الخلاص من المأزق

ويبدع « دريد لحام » فى استخراج الكوميديا من هذا المأزق ومن محاولاته للهروب ..

فهو يحاول الاختباء داخل صفوف رحلة مدرسة تستقل أتوبيساً خاصاً .. يعزف لهم ويغنى .. ويصفقون ويرددون وراءه (واحداً من أجمل مشاهد الفيلم) ولكن شرطى الحدود يكتشف وجوده فيطرده خارج الأتوبيس .

يحاول مرة أخرى ، بالاختباء داخل الحقيبة الخلفية لسيارة عابر .. ولكن كلاب الحراسة تكتشف وجوده .. وينال نصيبه من الضرب !

ويحاول مرة ثالثة .. بالانضمام الى صفوف المسجونين الذين ينفذون عقوبة الاشغال الشاقة باصلاح الطريق .. ويكتشف الحراس أمره فيلقون به على الأرض .

ويحاول أخيراً أن يكون خروفا ضمن قطيع الخراف .. ولكن راعى القطيع لا يتركه ! .

وفى كل هذه المحاولات .. لا يكرر « دريد لحام » أسلوبه .. ولكن يقدم تنويعات من الكوميديا المرئية ، السريعة الايقاع ، التى تذكرنا بأفلام شارلى شابلن الصامتة .. ودون أن ينزلق الى خطأ التقليد ! .



دريد لحام « عبد الودود » يصنع صندوق بريد على جذع شجرة .. فى انتظار أى خطاب يصله من أى إنسان .. وبعض أفراد حرس الحدود يلتفون حوله يشاركونه مشاعره

الاتفاق المستحيل !

ونصل الى أهم جزء بالفيلم .. عندما يضطر « عبد الودود » ــ هذا الانسان الذى فقد هويته ــ أن يقيم بيتاً ليأوى إليه .. فيبنى كوخاً من أخشاب الأشجار على الحدود الفاصلة بين البلدين .. وفى حوار شديد الذكاء والسخرية ... يبرر « عبد الودود » ما يفعله أمام تساؤلات دورية الحراسة التابعة لحدود أحد البلدين الذى يبنى نصف كوخه على أرضه .

يسألونه لحساب من يقيم هذا « المخيم » .. فيرد بسخرية لاذعة « لحساب هيئة الأمم .. فمن غيرها يبنى المخيمات » ! !

يسألونه لماذا بنى هذا المخيم على الخط الفاصل بين البلدين ؟ .. يرد بأنه فعل هذا حتى يحمى نفسه .. فإذا ضايقه حرس الحدود فى أحد البلدين فإنه ينتقل بخطوة من قدمه الى النصف الثانى من بيته فى البلد الآخر . !

يسألونه : وماذا تفعل اذا اتفق حرس الحدود بين البلدين على مضايقتك ؟!

يرد بسرعة .. « عمركم ما اتفقتم » !

وتصفق قاعة العرض .. لهذه الجملة المركزة الحادة كنصل السيف والتى تلخص المأساة العربية ككل . !

إن أهم ما يميز هذا الجزء من الفيلم .. قوة الحوار ، وبساطته المذهلة .. والذى يرصع نسيج الأحداث ليعطى أبعاداً أعمق ، تخاطب وجدان المتفرج مهما كان موقعه على خريطة الوطن العربى ..

وعندما ينتهى « عبد الودود » من اقامة كوخه على الحدود .. مستخدماً كل مفردات المكان .. ومستغلا أجزاء سيارته فى عبقرية كوميدية متميزة .. يحين موعد الاحتفال حيث ينجح « عبد الودود » فى جمع حرس الحدود بين البلدين فى مكان واحد ..

لقد كان كل منهما يساعده على انفراد .. ولكن حان الوقت ليجمعهما معاً .. ويردد بحب وصفاء .. « كلنا أهل » .

وهى حقيقة بديهية .. ولكنها تغيب مع الحدود المصطنعة ...

اللغة واحدة .. والوجوه واحدة .. والطباع واحدة .. فلماذا كل منا فى جانب .. لماذا لا نلتقى معاً .. ونحتفل ونغنى معاً . ؟!

وتأتى ذروة الفيلم ــ مضموناً واخراجاً ــ بهذا المشهد الرائع الذى يلتقى فيه حرس الحدود من البلدين ليجلسوا معاً .. وتتوالى الاهازيج والأغانى .. ويردد أحدهم وقد وصل الى قمة النشوة « الأرض بتتكلم عربى » .

وتهتز قاعة العرض من التصفيق .. لقد وصل المعنى كاملا !



« عبد الودود » يعزف ويغنى فى احتفال بناء كوخه على الحدود

الحوار مع الخراف والدواجن

ويتحول كوخ « عبد الودود » الى « استراحة المسافر » ويساعده أصدقاؤه من حرس الحدود وعابرى الطريق فى امداده بالتموين اللازم لتقديم المشروبات الخفيفة والوجبات السريعة للمسافرين بين البلدين ..

لقد أصبح « عبد الودود » أسيراً للمكان .. ولكنه لم يستسلم .. بل صنع من المكان قيمة وأعطى له من روحه وحيويته ..

وبنفس الايقاع المركز من الكوميديا الراقية تتوالى مشاهد الفيلم .. و « عبد الودود » يحلب الماعز ليقدم اللبن الطازج لزبائنه .. ومن الدجاج الذى يربيه يأخذ البيض . !

وعرف الزوار المكان .. ولكن راحة البال لم تعرف طريقها الى « عبد الودود » .. فهو فى الصباح مشغول مع زبائنه ولكن عندما يهبط الظلام .. تثقل عليه الوحدة .. إنه يريد أن يحادث أحداً ويفرج عن همومه .. فلا يجد غير طيوره وماشيته !

وفى مشهد بليغ .. جمع خرافه ودواجنه داخل كوخه .. أنام بعضهم على سريره .. ووضع الدجاج فى مكتبته .. وأجلس بجانبه احدى الماعز .. واخذ يتحدث معهم ..

« صدفة » تعود

وذات ليلة يسمع طرقا ملهوفا على باب كوخه .. ليجد امامه تلك المرأة الجبلية (رغدة) مصابة فى ذراعها والدماء تسيل منها .. ونفهم انها تعرضت هى وعشيرتها من المهربين ، لهجوم من حرس الحدود .. وأفلتت منهم لتحتمى بهذا الكوخ .

ويرحب بها .. بكل شهامته .. ويترك لها فراشه .. ويعاملها بمنطق يعبر عنه بقوله « أنت بلا أهل .. وأنا بلا وطن » !

كلاهما أطبقت عليه الظروف .. فلماذا لا يلتقيان ؟ ..

وعودة تلك المرأة الجبلية .. هى صدفة رسمها سيناريو الفيلم لكى يتصاعد بأزمة هذا المواطن غير المعترف به .. ويبدو ان دريد لحام ومحمد الماغوط قد شعرا بحرج الوقوع فى براثن المصادفات التى تنوء بها الأفلام العربية .. لذلك أطلق على هذه المرأة أسم « صدفة » لكى يبررا هذه التركيبة الفنية التقليدية .. ولكى يخرجا منها الى ما هو أهم ..

فوجود هذه المرأة فى هذا المكان .. ينبت فى قلب « عبد الودود » مشاعر الحب .. والاحتياج الى

دريد لحام « عبد الودود » فى لحظات الوحدة .. ولايجد من يحكي له سوى خرافه ودجاجة



وتيس وشريك .. وهى مشاعر انسانية خالصة .. يعبر عنها الفيلم بالتغيير الذى حدث فى شكل « عبد الودود » .. واهتمامه بمظهره .. انه يطيل النظر فى المرآة .. ويحلق شعر ذقنه المسترسل فى اهمال .. ويغنى لنفسه .. ويغار على الفتاة من عيون زوار المكان .. ويشعر بدبيب الحيوية والأمل ..

إنه يحبها .. ولكنه لا يستطيع ان يبوح بمشاعره .. فيحكى لها عن حالته ، كأنها حالة صديق له ..

وهى تدرك مشاعره .. ولكنها تلعب نفس لعبته .. تسأله ، وقد طال به السهر .. « لماذا لا تنام » .. يجيب بعفوية وسخرية « انا نمت .. ولكن صديقى لا ينام » !

ويغذى الفيلم هذا الجزء ، ببعض المشاهد الرقيقة التى لا تخلو من الابتسامات .. ويتم الزواج بينهما بتدخل أحد اصدقائه من حرس الحدود .. لنصل الى مشهد سينمائى بارع ... مشهد حفل الزفاف الذى يشترك فيه جنود حرس الحدود بالرقص والغناء .. مشهد يفيض بالبهجة وينبض بإيقاع سريع مركز مستخدماً كل عناصر المكان .

مرض الخوف والتردد

ولكن مشكلة المواطن « عبد الودود » لم تحل .. بل يشعر هو أن المسائل تتعقد أكثر .. وهو يقفز بينها حائراً متردداً .. فعندما أحب كان متردداً فى اعلان حبه .. وعندما تزوج كان قلقاً من أن زوجته لن تنجب .. وعندما حملت زوجته كان خائفاً مرعوباً أن يكون له طفل ..

المأزق الذى يعيشه .. أورثه الخوف والشك .. لا يشعر بالآمان أو الاستقرار .. انه بلا هوية .. بلا وطن .. فكيف ينجب للحياة انساناً آخر يعيش نفس المأساة ؟!

يصرخ فى زوجته .. كيف يتربى الطفل ؟ . وفى أى مدارس يتعلم بها ؟ .. وهل نسميه « طرزان ابن الغابات » ! !

وتلتقط احدى زائرات المكان هذه القصة .. لنعرف أنها صحفية مبتدئة اعجبها الموضوع فكتبت عنه (تلعب الدور الممثلة السورية الجديدة صباح السالم) .. وتدخل فى نقاش طويل مع رئيس تحرير المجلة التى تعمل بها ، حول نشر الموضوع .. فرئيس التحرير يبدى ريبته فى أن يكون « عبد الودود » هذا .. له انتماءات سياسية معينة .. وهو لا يحب أن يورط مجلته فى دروب شائكة ..

ويدخل الفيلم الى قضية الصحافة العربية ..



الصحفية « صباح » تصافح الزوجة « رغدة » ويقفز عبد الودود « دريد لحام » سعيدا متفائلا بقرب حل مشكلته مع الحدود

وهى تفريعات بالتأكيد صادقة ولكنها اخلت بإيقاع الفيلم .. فهذه التفريعات ادت الى تفريعات أخرى متعلقة بردود فعل الرأى العام وأحاديث وبرامج التليفزيون .. وبدا هذا الجزء من الفيلم دخيلا على النسيج العام .. ولكننا نعود مرة أخرى الى الذروة بمشهد ساخر من المؤتمرات التى تعقد .. ومكبرات الصوت التى تعتلى الأعمدة .. والخطب الجوفاء .. والشعارات التى استهلكت تماماً ..

إن كل المتحدثين فى هذا المؤتمر يصرخون بأعلى أصواتهم .. لا .. ولن .. واللافتات مكتوبه عليها « اشقاء .. اشقاء » .

ويظن « عبد الودود » وزوجته .. أن مشكلتهما قد حلت بهذه المظاهرة الصاخبة .. فيتقدم الى الحدود مع زوجته .. ويطلق امامه دواجنه وماشيته .. كأنه يطلق سراحهم .. ويتقدم ليركل الحاجز بين البلدين .. ولكن جنود الحراسة يشهرون أسلحتهم وهم يصيحون « قف » .. وتثبت الصورة .. وينتهى الفيلم .. ليقول ان الواقع شىء .. والشعارات شىء آخر .. وان هذه المؤتمرات والخطب ما هى الا مجرد كلام فى الهواء .. ويظل « عبد الودود » بلا وطن .. أو هوية !

المنطق مع اللامنطق

والفيلم يقول كلمته .. بجرأة .. وبفن يهز المشاعر..

انه يناقش بمنطق .. كل ما هو خارج عن المنطق ! فكيف نكون أمة عربية واحدة .. ونحن نتربص ببعضنا البعض .. ونسقط الانسان من حساباتنا .. وننشغل بالأوراق والاختام والشعارات .. !

إن هذا الفيلم بالتأكيد .. يثبت لنا ان الفن العربى من الممكن أن يتجاوز السياسة وخلافاتها المعقدة .. ليجمع بين الجمهور العربى الذى يرفض فى أعماقه الحدود والتقسيمات .. ويحلم بالحرية والقوة ..

لقد اعطى الفنان « دريد لحام » فى هذا الفيلم .. كل خلاصه تجاربه الطويلة مع المسرح والتليفزيون والسينما .. البساطة والعمق .. وكان طبيعيا أن يستقبل الجمهور هذا الفيلم بالحفاوة والتقدير والحب .. لأن ما يصدر عن القلب لا يمكن أن يخطىء طريقه الى قلوب الآخرين ..

وهذا الفيلم يجعلنا نتساءل : إذا كانت السينما العربية قادرة على أن تصنع مثل هذه الأفلام الجيدة والمؤثرة .. فلماذا تفقد الوعى احياناً ؟

رءوف توفيق

النظرات الأخيـرة

بقلم : الدكتورة زهـرة المالكي

... وألجأ إلى الصمت فالكلمات لاتفيد في هذه اللحظات ، وتتبدل كل ذرة في كياني إلى شفتين تبتهلان إلى الله ...



طوى الطبيب أوراقه واستعد للنهوض من مكانه فقد كان أحمد آخر مريض يكشف عليه هذا الصباح .. وقال لوالد أحمد وهو يهم بالوقوف : لابد من أن يبقى معنا بضعة أيام نجرى له فيها بعض الفحوصات الهامة لمعرفة السبب في هذا النزيف الذى أنهك صحته ..

أومأ والد أحمد برأسه موافقاً ومضى في طريقه لإتمام الإجراءات المعتادة لإدخال ابنه المستشفى .. وتتابعت في ذهنه فصول المرض منذ البداية .. حين غافله أحمد وشارك أطفال القرية في النزول إلى الترعة ، حيث المياه الملوثة والبلهارسيا التي لا ترحم .. تتشبث بالجسد وتفتك به رويداً رويداً حتى يتم لها الانقضاض التام والانتصار على الحيوية والصحة ..

أحمد .. ياله من مسكين هذا الابن الطيب الوديع .. بالرغم من هزاله ومرضه الذى حوله إلى جسد واهن مرتعش مازالت البسمة تعرف طريقها إلى شفتيه .. ومازال يحاول إضفاء جو المرح على من حوله أينما ذهب .. وحين تفاجئه نوبات النزيف يبتعد وينزوى ويحاول أن يكتم آلامه ودماءه التى تتدفق حارة غزيرة لتسلبه قواه وتهلك البقية الباقية من صحته .. ينصحونني يا بني بعلاجك وهل تأخرت عليك يوماً ما بأى علاج ومهما غلا ثمنه ؟ يبدو أن هذا المرض اللعين سيظل قدرك الذى يستنزف شبابك حتى النهاية ..

انتهت الإجراءات وها أنت تتمدد على سريرك أخيراً والتعب يأخذ منك كل مأخذ .. واللون الأصفر يزرع آثاره بعنف على ملامحك .. وأصابع يديك ترتجف بوهن شديد كأنها أوراق جافة تسلل إليها الخريف قبل الأوان وهى تصارع السقوط بمجهود شديد .. أحس بك تقاوم النوم لتقنعني بأنك على ما يرام وأن الآلام قد انتهت وفارقتك إلى غير رجعة .. كم أتمنى هذا يا بني لكنني أعرف أنه صعب جداً ، خاصة في هذه المرحلة من المرض ..

حضر الأطباء وكشفوا عليك مراراً وتكراراً .. وذراعك النحيلة غرزت فيها عشرات الحقن المقوية والمغذية .. وها هم الآن يبحثون عن وريد آخر ليعوضوا دمك المسكوب .. نظراتي تتابع قطرات الدم وهى تنساب قطرة فقطرة وتمتصها خلاياك الظمأى ، ومع كل قطرة تنسكب داخل أوردتك يخفق قلبي لك بالدعاء والرجاء بأن يرحمك الله وينقذك من هذا العذاب المضني الذى بت أعانيه أكثر منك ، وليتني أستطيع أن أتحمل منك جزءاً منه ، لكن الأماني تتبخر وتتطاير أفكارها في الفضاء الواسع ليظل لي الواقع الملون بالألم والحسرة على شبابك الذى قضيت معظمه على أسرة المستشفيات ..

يمر اليوم ويزحف الليل بطيئاً ثقيلا .. وأنا إلى جوار سريرك لا يغمض لي جفن ولا يهدأ لي بال حتى أرى الطبيب المناوب لهذه الليلة وأعرف منه ماذا قرروا بشأنك .. وأخيراً يتناهى إلى سمعي صوت الطبيب وهو يخاطب الممرضة ويطلب منها أن ترسل المريض أحمد سيد إلى غرفة العمليات ؟! .. غرفة العمليات ؟؟ .. هل سيجرون لك عملية يا ولدي ؟ .. وهل يتحمل جسدك الضعيف عملية جراحية ؟ .. نهضت من جلستي مفزوعاً ومضيت نحو الطبيب أسأله بلهفة : لم العملية يا دكتور؟ .. إن ابني بخير الآن ولا أظنه يحتاج إلى تدخل جراحي ..

رد علي الطبيب بهدوء محاولا إدخال الأمل والتفاؤل إلى نفسي القلقة المرتاعة : لابد من ذلك .. والآن فوراً وإلا عاودت أحمد نوبات النزيف من جديد ، أتراك تود أن ينزف مرة أخرى ؟! .. بالطبع لا يا دكتور .. أجبته على تساؤله وهويت على أول مقعد صادفني مستسلماً راضياً بقضاء الله .. أخذوك من أمامي يا ولدى ومازالت نظراتك المغلفة بالابتسام تبعث في الشجاعة كلما هاجمني القلق بجيوشه الزاحفة التى لا تخضع للمنطق أو العقل .. وبقيت في مكاني ساعات معدودة مرت كأنها

دهر طويل لا تتحرك فيه عقارب الساعات أبداً .. وأخيراً عدت إلي ، لكنك هذه المرة لم تكن تبتسم لي فقد كنت غائباً عن الوعي تحلق في دنيا لا أستطيع أن أشاركك فيها ..

وحضر الطبيب المناوب ليطمئنني من جديد لكن الشعور بالخوف والقلق لم يفارق جوانحي بالرغم من محاولاته . خاصة حين رأيته يقوم بالكشف على أحمد كل عشرة دقائق ويسجل ملاحظاته في الأوراق المخصصة لذلك .. وكلما بادرته بالسؤال عن حالة ابني يرد علي بأنها على أحسن ما يكون ، وينصحني بالخلود إلى الراحة والاستعداد للنوم .. النوم ؟! .. وهل سيعرف النوم إلي طريقاً قبل أن أرى ابتسامتك من جديد يا بني وأنت تتطلع إلي مشفقاً علي من القلق والألم والدموع التي أصبحت صديقتي منذ أصبح المرض صديق جسدك هو الآخر..

لكنك لم تستعد وعيك يا أحمد ومازال الطبيب يجيء ويروح فاحصاً ومسجلا لكل ما يطرأ على جسدك من تغيير .. وهذا الليل الطويل .. أليس له نهاية ؟ .. هل ستظل النجوم العليلة تطل علي من نافذة غرفتك كأنما تشاركني السهر وتدعو لك بالشفاء والمعاناة سريعاً !! .. ألن يبزغ نور الصباح لأرى الشمس مشرقة فرحة تنشر النشاط وتمحو عني أشباح الهموم المتراكمة كأكوام الرمل الجافة داخل نفسي الحزينة ؟ ..

ويحضر الطبيب مرة أخرى ليكشف عليك . لن أسأله شيئاً فأنا أعرف الجواب مقدماً .. لكنه هو الذي يتجه إلي بالحديث هذه المرة ليقول : لن أخفي عليك حالة أحمد .. إنها تزداد سوءا بالرغم من كل ما فعلناه وسنبذل كل ما في وسعنا ، والشفاء بيد الله وحده ..

تنهال علي كلماته الأخيرة كحجارة تشتعل ناراً ، تحرق بقية الأمل اليائس داخلي ، وتتحول كل مشاعري إلى غابة يختلط فيها العويل والصراخ مع الأشواك الحادة العملاقة التي تدق لها داخل الشرايين أعمدة ملتهبة لا تنطفيء .. وألجأ إلى الصمت فالكلمات لا تفيد في هذه اللحظات ، وتتبدل كل ذرة في كياني الى شفتين تبتهلان بالدعاء الى الله بأن يرحم عجز ابني وضعفه ومرضه .. لكن اللون الأصفر يتغلب على الألوان .. ولا تجدي شيئاً قطرات الدم المتدفقة مع العقاقير المختلفة الى جسدك المنهك .. ترتعش شفتاك كأنما تود أن تهمس لي بشيء قبل الرحيل وأقترب منك حتي تكاد أذني تلتصق بوجهك ، لكنك لا تقول شيئاً .. فقط تمضي وحيداً لتتركني أجتر دوامة صاخبة من الألم واللوعة تضيء فيها قطرات الدموع .. وتمتد الأيدي لتغطيك ويبتعد وجهك الوديع عن عيني لكن تلك النظرات المغلفة بالابتسام مازال صداها يتردد في ذاكرتي وستظل تعزف لي أنغام طيفك إلى الأبد ..

هذا طائري

محمود صفر

وأفتح قلبي كتابا
بشوق يشدو
ورداً .. ونارا
أنا الذى قد توغلت
وسرت نحو صرير الباب
يضج دمى ...
من الأرض
حفرت دمى
حنيناً اليك
ينهض المجد

ـ المجد عبير الأرض ـ
من قلب شعرائنا البسطاء
أفتح قلبى كتابا
تدخلين فيه بعينين

حاملتين عبء الموت والصحوة
أيا وردة
سرحت شعرها
ليلها
أعادتنى لأمى
لتكن نهراً أو حجارة

عرش الحزن بقلبى
لم أكن قط يا وردتى ،
قاتلاً
بل أنا المذبوح
لا أبكى لذبحى

لكن دعينى
اذا كان اسمى يعرفه العشاق
هذا طائرى فى عنقى
كنت هناك ...
أو كنت هنا ...
فى منتصف الليل حادثتى
وحيداً مضى
لن أمد يدى
لن أمد يدى
لم آت ليودع فىّ اليابسة
بل غيث البؤساء
تعاطينا وجهينا
كبرنا معاً
تعالى بالحزن كحلا
هذا الغيم اعتراف
خفقى الوطأ
ودقى الهديل وتدا
المجد عبير الأرض
ولتكونى أول الدنيا
ولتكونى آخر الدنيا
تعالى حدثينى
مرة فى شهقة الدهشة
وأخرى فى الكتابة
صرت طفلا
تحت فيض العشب
لم يبق سوانا



دوحة القراء

إشــراف
سـنان المسـلمـاني

ملاحظات هامة

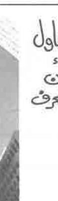
(١) اذكر على غلاف الرسالة اسم المسابقة ورقم العدد .

(٢) المسابقة الثقافية تتضمن (المسابقة الشعرية - عبارة شهيرة - جواز سفر - مدن العالم)

(٣) لايجوز الاشتراك فى أكثر من مسابقة فى العدد الواحد حتى لا يلغى الخطاب .

(٤) ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلة الدوحة ص . ب ٢٣٢٤ - الدوحة - قطر .

حاول أن تعرف





الصورة الأولى : لواحدة من أهم مدن العالم . بدأ تاريخ المدينة حوالى ١٦٢٥ م وكانت تسمى نيوأمستردام ، وفى سنة ١٦٦٤ م تم تغير إسمها الى اسمها الحالى ، وقد تغلبت على مشكلة النقل بإنشاء الأنفاق ، ومشكلة الاسكان بإنشاء ناطحات السحاب ، حتى أصبح يطلق عليها مدينة ناطحات السحاب ، وهى أيضاً أكبر ميناء فى العالم ومن أهم مدن المال والسياسة .

● ● ●



الصورة الثانية : أحد كبار علماء العرب فى الرياضيات والطبيعيات والطب ولد سنة ٩٦٥ م بالبصرة وتوفى عام ١٠٣٩ م ، ورحل الى مصر ليواصل أبحاثه العلمية ، وهو أول من شرح رؤية العين والابصار وتركيب العين ، وأثبت أن الرؤية تحصل من إنبعاث الأشعة من الجسم الى العين ، وذلك عكس النظرية اليونانية التى كانت سائدة قبله .. ترى من هو ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١٠٨



الصورة الأولى : مدينة دمشق استولى عليها العرب بقيادة خالد بن الوليد وأبى عبيدة الجراح عام ٦٣٥ م

• الفائز : زيادة بن نعيم حافظ — سورية
• الفائز فيصل حسن عباس — اليمن الديمقراطية

الصورة الثانية : الكاتب العالمى ليوتولستوى

• الفائزة : رفيدة عبد الوهاب مصطفى — قطر
• الفائز : أحمد محسن حسن — مصر

الزهد في الدنيا

أرسل عثمان بن عفان مع عبد له كيساً من النقود إلى أبي ذر الغفاري . وقال له إن قبل هذا فأنت حر . فأتى الغلام بالكيس إلى أبي ذر وألح عليه بقبوله . فرفض أبو ذر فقال له الغلام أرجوك أن تقبله ففيه عتقي . فقال أبو ذر ولكن فيه أيضاً رقي .

بله محمد عبد الرحمن
كورتي ــ السودان

مثالي حتى النهاية

سئل ممثل فرنسي أعزب . لماذا لم تتزوج ؟

فأجاب : حينما كنت في سن الشباب قررت ألا أتزوج حتى ألتقي بالمرأة المثالية . وبعد سنوات طويلة التقيت بها . ولسوء الحظ لم أتزوجها ، حيث كانت هي أيضاً تبحث عن الرجل المثال ، الذي لم تجده بعد !

على جابر عبد الرضا
البصرة ــ العراق

قرأت

الفرق بين الشلالات والجنادل :

قد يختلط في ذهنك حين تسمع كلمة شلالات إلى مايطلق عليه خطأ شلالات النيل النوبي بين أسوان والخرطوم بينما هي في الحقيقة جنادل (جمع جندل) التي هي ليست سوى سلسلة من جبال صخرية توجد في مجرى النهر لم يفلح بعد نحتها وإزالتها مثل جزيرة النباتات بمصر وجزيرة السردار في مدينة أسوان فهي مجرد عقبات في طريق النهر ويصح أنها تشكل بعض العقبات الملاحية ولكنها ليست بأي حال شلالات .

أما الشلالات (المساقط المائية) فهي مواضع في مجاري الأنهار يسقط منها الماء سقوطاً يصل إلى عشرات بل مئات الامتار . فترى الماء يرغى ويزبد وتسمع له هديراً وهو يهوى إلى حضيض المسقط أو الشلال .

وتوجد أسباب لنشأة الشلالات ألا وهي وجود هضبة ذات حافة شديدة الإنحدار كحافات الهضبة الأفريقية الوسطى والجنوبية مثل شلالات لفنجستون في نهر زائير (الكونغو سابقاً) مما يؤدي الى مساقط مائية في الأنهار عند هبوطها من هذه أو بفعل النهر الجليدي بما له من مقدرة على تعميق الأودية التي تحيلها بينما تكون روافده أقل عمقاً لقلة جليدها فإذا ذاب الجليد وأصبحت الأودية أنهاراً عادية هبطت هذه الروافد نحو الوادي الرئيسي وكونت مسقط مائي وقد يصل هذا الهبوط إلى مئات الأمتار . وأشهر هذه الشلالات التي تنشأ عن وجود طبقة صخرية صلبة في مجرى النهر مثل شلالات نياجرا في أحد روافد نهر سنت لورنس على الحدود بين كندا والولايات المتحدة وشلالات فيكتوريا على الزمبيزي .

عوني فوزي عبد النور
ج . م . ع - محافظة أسيوط
مديرية الطب البيطري

لقطة الشهر



صــداقــة

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى مبارك محمد أحمد الأمين ــ جامعة أم درمان الاسلامية ــ السودان

من سخريات برناردشو

كتبت إيزادورا دا نكان وكانت أجمل وأشهر فنانة في القرن العشرين رسالة إلى الكاتب الانجليزي الشهير برناردشو ، تعرض فيها رغبتها في الزواج منه لانجاب طفل رائع يجمع بين جمالها وذكاء برناردشو ... فأجابها الكاتب الساخر برسالة قال فيها :

وأية مصيبة تحل بنا لو جاء الطفل يحمل عقلك أنت وشكلي أنا » .

المصطفى بن عبد الرحيم
نواكشوط ــ موريتانيا

استراحة الدوحة



مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :



أصل وصورة





بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى للفنانة الكويتية سعاد عبدالله هناك سبعة اختلافات طفيفة إذا استطعت التعرف عليها ستحصل على جائزة

المثل يقول



هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى متداول ، حاول أن تعرفه لتحصل على جائزة

دوري الكاريكاتير



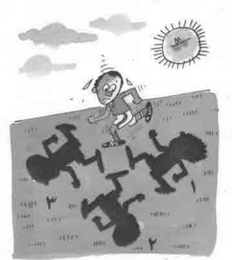
اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. حدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته .. وارسل الحل الينا لتفوز بالجائزة

هات أجمل تعليق



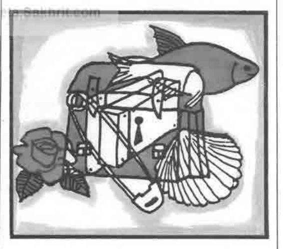
حاول أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى .. قد يسعدك الحظ وتفوز بجائزة

لعبة الظلال



هذا اللاعب فشل تماما فى العثور على ظله الحقيقى .. ساعده فى حل مشكلته .. وإذا عرفت الحل ارسله إلينا لتحصل على جائزة

لأقوياء الملاحظة فقط!

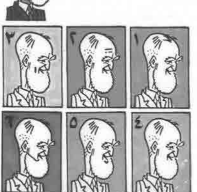


أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، حاول التعرف عليها وإرسل لنا الحل لتحصل على جائزة

يخلق من الشبه أربعين







اللوحات الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بالكاتب الساخر جورج برناردشو .. ومن بين هذه اللوحات واحده تشبهه تماما وفى البقية اختلافات بسيطة .. إذا استطعت العثور على اللوحة المطلوبة أرسل رقمها لتحصل على جائزة

الورقة الأخيرة



بقلم : عبد الله الجفري

العقاد والوجه الآخر

قالوا عن العقاد : أنه مغرور .. الكلمة التي يكتبها لايغيرها . والرأي الذي يطرحه لايمكن أن يتنازل عنه أو يحوره ، فهو كاتب حر وعنيد ، وصاحب رسالة بلاشك .. مثلما كان صاحب إرادة استطاع بها أن يصبح عظيماً .. يدافع عن الحق ، ولا ينافق من أجل المال أو الجاه أو حتى من أجل السلامة . فقد تعرض للسجن ، وحرم من الكتابة وهي غذاؤه وروحه ونبضه واحتمل ، وبقي حراً لم تستعبده السياسة أو المتغيرات السياسية حتى مات .

وقالوا عن العقاد أيضاً : انه «جامد» حتى انطبع هذا الجمود على أسلوبه . فليست له عبارة رقيقة ، وليست لكلماته شفاه ندية بالقبل .. طرية بالغزل ، لكنه كاتب الأسلوب العلمي .. يضع عبارات لها وزن في الرأي ، ولكن ليس فيها خفقة قلب .

واتهموه بعدوانيته للأنثى .. حتى أنهم (صوروا) لوحة زيتية كان يضعها فوق رأسه في غرفة نومه .. تمثل ذبابة وإناء عسل ، وزعموا أن اللوحة تفسر رأي العقاد في الأنثى ، وكان دليلهم على كراهيته للأنثى أنه لم يكتب عنها كثيراً ، ولم يحاول أن يفسر خصائصها في الحياة ، وحتى القليل الذي كتبه عن الأنثى كان فيه كنقطة ماء تسقط على حجر .. حتى عندما كتب عن «سارة» وكانت عشقه وقدومه ورحيله معاً .. كان يكتب عنها بحذر .!

لكن حياة العقاد ــ في رأيي ــ غير هذا الزعم ، ومشاعره غير هذا الغمط .

لقد أحب العقاد بكل جوارحه ، وربما كان احترامه للأنثى وفلسفته لمعطياتها هو ما دفعه إلى الاقتصاد في الكلام عنها .

إنه بالفعل رفض أن يخاف الأنثى .. لكنه حاول أن يقترب منها ، وأن يفهمها ، وأن يرحمها .. فارتوى وتألم وبكى أيضاً . والكاتب لايبدع إلا حينما يمتلك تجارب الرؤية أبدا ، والكاتب لا يعطي إلا إذا تألم أكثر ورأى جراحه تنزف .. فالفرح شعور مؤقت !

والعقاد كان إنساناً وكان عاشقاً ، وقد عكس مشاعره ، وتمسكه بحنان الأنثى على الرجل في حكاية حدثت قبل وفاته بعامين ، وقد جلل الشيب رأسه ، وكانت الصحافة تلمح إلى كراهيته للأنثى ، وأرادت أن تعطي شاهدا ، فأوفدت إليه ممثلة مشهورة ، كانت ــ حينذاك ــ حلوة ومثيرة الأنوثة ، والتقطت عدسات التصوير عشرات اللقطات لهما معا ، وكان يضحك من قلبه ، ولكنه التفت إلى الممثلة الأنثى وقال لها : إن فيك شبها من سارة !

ربما لم يكن بين سارة وتلك الممثلة أدنى شبه . ولكن العقاد أراد أن يقول : إنني أرى سارة في كل أنثى ، أو أنها هي كل النساء .

وهذا شاهد أيضاً على شفافية العقاد كعاشق ، وكإنسان ، وشاهد على التزامه حتى في العاطفة ، وعلى وفائه !

وفي الكتاب الذي أصدره عامر العقاد بعنوان : «لمحات في حياة العقاد المجهولة» .. نتوقف عند صفحة قارن في سطورها بين «سارة» ، وهي التي أسماها «هند» ، فقال عن الاثنتين هذا التصوير الشفاف الغدق :

ــ (لقد كانت سارة وهند على مثالين من الأنوثة متناقضين . كلتاهما أنثى حقاً لاتخرج عن نطاق جنسها .. غير أنهما من التباين والتنافر بحيث لاتتمنى إحداهما أن تحل محل الثانية ، وتوشك أن تزدريها . تلك مشغولة بأن تحطم من القيود أكثر ما استطاعت ، وهذه مشغولة بأن تصوغ حولها أكثر ما استطاعت من قيود ثم توشيها بطلاء الذهب ، وترصعها بفرائد الجوهر . الحزن الرفيع ، والألم العزيز شفاعة عند هند مقبولة إذا لم تكن هي وحدها الشفاعة المقبولة ، أما عند سارة فالشفاعة الأولى .. بل الشفاعة العليا هي النعيم والسرور ، تلك يومها جمعة الآلام ، وهذه يومها شم النسيم . تلك مولعة بمداراة نقائصها لتبدو كما تتمنى أن تكون ، وهذه مولعة بكشف نقائصها لتمسح عنها وضر الخجل والمسبة في معرض الزينة والمباهاة . كلتاهما جميلة ، ولكن الجمال في هند كالحصن الذي يحيط به الخندق ، أما الجمال في سارة فكالبستان الذي يحيط به جدول من الماء النمير .. هو جزء من البستان لا حاجز دون البستان ، وهو للعبور أكثر مما يكون للصد والنفور) !

هذا هو العقاد ، ولست أدري كيف نقدر على الاقتناع بأن كاتباً فنانا ومفكراً وعالما أيضا يقضي حياته عبداً لعقله ، وعقله عبداً لخوفه .. ظالما لروحه !

ولم يكن العقاد بهذه الصفات .. بل كان عطاؤه كمفكر هو لتاريخه ، ولعقيدته ، ولانتمائه للأرض التي دافع عنها بقلمه ، وتعرض بسببها للعنت ، وكان عطاؤه كفنان حرفا وعبارة نابعين من روح ورحمة الإنسان في أعماقه .

لقد كانت «سارة» أجمل بسمة رافقت هذا الفنان وقبلهما معا .. كان العقاد عربيا ومسلماً قضى عمره وهو يفضح زيف الفكر المنحرف .

جــدة